عمر مد وكارا ولكرا

المجلد الاول من احيا العلوم عدد س ١٧

آغا جود

١٦٢٤

١٦٧٤

الربع الأول من إحياء علوم الدين

تاليف الشيخ الإمام
العالم الزاهد العلامة حجة
الإسلام أبي حامد محمد بن محمد
الغزالي الطوسي رحمه الله

ملك هذا الجزو
وما بعده من كتاب
الاحيا للامام الغزالي
الفقير الى الله تعالى
شحاذه الحلبي

قد وقف [illegible] سلطاننا الأعظم [illegible]
خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان [illegible] محمود خان [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن

احمد الله اولا حمدا كثيرا متواليا وان كان يتضاءل دون حق جلاله
حمد الحامدين واصلي على رسوله ثانيا صلاة تستغرق مع سيد البشر
ساير المرسلين واستخيره سبحانه وتعالى ثالثا فيما انبعث له عزمي
من تحرير كتاب في احيا علوم الدين وانتدب لقطع تعجبك
رابعا ايها العاذل المغالي في العذل من بين زمرة الجاحدين المسرف في
التقريع والانكار من طبقات المنكرين الغافلين فلقد حل عن لساني
عقدة الصمت وطوقني عهدة الكلام وقلادة النطق ما انت مثابر
عليه من العمى عن جلية الحق مع اللجاج في نصرة الباطل وتحسين الجهل
والتشغيب على من آثر النزوع قليلا عن مراسم الخلق ومال ميلا يسيرا
عن ملازمة الرسم الى العمل بمقتضى العلم طمعا في نيل ما تعبده الله به من
تزكية النفس واصلاح القلب وتداركا لبعض ما فرط من اضاعة العمر
يأسا عن تمام التلافي والجبر وانحيازا عن غمار من قال فيهم صاحب الشرع
صلوات الله عليه اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لا ينفعه الله بالعلم
ولعمري لا سبب لاصرارك على التكبر الا الداء الذي عم الجم الغفير بل شمل
الجماهير من القصور عن ملاحظة ذروة هذا الامر والجهل بان الامر
اد والخطب جد والآخرة مقبلة والدنيا مدبرة والاجل قريب والسفر

بعلمه

بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم والطريق سد وما سوى الخالص
لوجه الله من العلم والعمل عند الناقد البصير رد وسلوك طريق الآخرة مع
كثرة الغوائل من غير دليل ولا رفيق متعب ومكد فادلة الطريق هم العلماء
الذين هم ورثة الانبيا وقد شغر عنهم الزمان ولم يبق الا المترسمون وقد
استحوذ على اكثرهم الشيطان فاستغواهم الطغيان واصبح كل واحد
بعاجل حظه مشغوفا فصار يرى المعروف منكرا والمنكر معروفا حتى ظل
علم الدين مندرسا ومنار الهدى في اقطار الارض منطمسا ولقد خيلوا
الى الخلق ان لا علم الا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام
عند تهارش الطغام او جدل يتدرع به طالب المباهاة الى الغلبة والافحام
او سجع مزخرف يتوسل به الواعظ الى استدراج العوام اذ لم يروا سوى
هذه الثلثة مصيدة للحرام وشبكة للحطام فاما علم طريق الآخرة وما
درج عليه السلف الصالح مما سماه الله في كتابه فقها وحكمة
وعلما وضياء ونورا وهداية ورشدا فقد اصبح بين الخلق مطويا وصار
نسيا منسيا ولما كان هذا ثلما في الدين ملما وخطبا مدلهما رأيت
الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهما احياء لعلم الدين وكشفا عن مناهج
الايمة المنقرضين وايضاحا لمباهي العلوم النافعة عند النبيين والسلف
الصالحين ولقد اسسته على اربعة ارباع ربع العبادات وربع

العادات وربع المهلكات وربع المنجيات وصدّرت الجملة بكتاب العلم لأنه غاية المهم لأكشف أولاً عن العلم الذي تعبّد رسول الله صلى الله عليه الأعيان بطلبه إذ قال عليه السلام طلب العلم فريضة على كل مسلم وأميّز فيه العلم النافع عن الضار إذ قال صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من علم لا ينفع وأحقق ميل أهل العصر عن شاكلة الصواب وانخداعهم بلامع السراب واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب ويشتمل ربع العبادات على عشرة كتب كتاب العلم، كتاب العقائد، كتاب أسرار الطهارة، كتاب أسرار الصلاة، كتاب أسرار الزكاة، كتاب أسرار الصيام، كتاب أسرار الحج، كتاب تلاوة القرآن، كتاب الأذكار والدعوات، كتاب الأوراد في الأوقات. وأما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب، كتاب آداب الأكل، كتاب آداب النكاح، كتاب آداب الكسب، كتاب الحلال والحرام، كتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق، كتاب العزلة، كتاب آداب السفر، كتاب السماع والوجد، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة. وأما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب، كتاب شرح عجائب القلب، كتاب رياضة النفس، كتاب آفة الشهوتين شهوة البطن والفرج، كتاب آفات اللسان، كتاب آفات الغضب والحقد والحسد، كتاب ذم الدنيا، كتاب ذم المال والبخل، كتاب ذم الجاه والرياء، كتاب ذم الكبر والعجب،

قواعد

كتاب الغرور. وأما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب، كتاب التوبة، كتاب الصبر والشكر، كتاب الخوف والرجا، كتاب الفقر والزهد، كتاب التوحيد، كتاب المحبة والشوق والرضا، كتاب النية والصدق والإخلاص، كتاب المراقبة والمحاسبة، كتاب التفكر، كتاب ذكر الموت وما بعده. فأما ربع العبادات فأذكر فيها من خفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معانيها ما يضطر العالم العامل إليه بل لا يكون من علما الآخرة من لم يطلع عليه وأكثر ذلك مما أهمل في الفقهيات ٥ وأما ربع العادات فأذكر فيه أسرار المعاملات الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها وخفايا الورع في مجاريها وهي مما لا يستغني متدين عنها ٥ وأما ربع المهلكات فأذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن بإماطته وتزكية النفس وتطهير القلب عنه وأذكر في كل واحد من تلك الأخلاق حده وحقيقته ثم سببه الذي منه يتولد ثم الآفات التي عليها تترتب ثم العلامات التي بها تتعرف ثم طرق المعالجة التي بها يتخلص منها كل ذلك مقروناً بشواهد الآيات والأخبار والآثار ٥ وأما ربع المنجيات فأذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين التي بها يتقرب العبد من رب العالمين وأذكر في كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها الذي به تجتلب وثمرتها التي منها تستفاد وعلامتها التي بها تتعرف وفضيلتها التي لأجلها

بها مرغب مع ما اوردته منها من شواهد الشرع والعقل ، ولقد صنف في
بعض هذه المعاني كتب ولكن يتميز هذا الكتاب عنها بخمسة امور الاول
حل ما عقدوه وكشف ما اجملوه ، الثاني ترتيب ما بددوه ونظم ما
فرقوه ، الثالث ايجاز ما طولوه وضبط ما قرروه ، الرابع حذف ما
كرروه ، الخامس تحقيق امور غامضة اعتاصت على الافهام لم يتعرض لها
في الكتب اصلا اذ الكل وان تواردوا على منهج واحد فلا مستنكر ان
ينفرد كل واحد من السالكين بالتنبيه لامر يخصه ويغفل عنه رفقاؤه او لا
يغفل عن التنبيه ولكن يسهو عن ايراده في الكتب او لا يسهو ولكن يصرفه
عن كشف الغطاء عنه صارف ، فهذه خواص هذا الكتاب مع كونه حاويا
لجميع هذه العلوم ، واما حملني على تاسيس الكتاب على اربعة ارباع
امران احدهما وهو الباعث الاصلي ان هذا الترتيب في التحقيق والتفهيم
كالضروري لان العلم الذي يتوجه به الى الاخرة ينقسم الى علم المعاملة والى
علم المكاشفة ما اطلب منه كشف المعلوم فقط واعني بعلم المعاملة ما يطلب
منه مع الكشف العمل به والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون
علم المكاشفة التي لا رخصة في ايداعها الكتب وان كانت هي غاية مقصد
الطالبين ومطمح نظر الصديقين وعلم المعاملة طريق اليه ولكن لم يتكلم
الانبياء صلوات الله عليهم مع الخلق الا في علم الطريق والارشاد اليه

واعني بالمكاشفة

واما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيها الا بالرمز والايماء على سبيل التمثيل
والاجمال علما منهم بقصور افهام الخلق عن الاحتمال والعلماء ورثة الانبياء
فما لهم سبيل الى العدول عن نهج التاسي والاقتداء ثم ان علم المعاملة ينقسم الى
علم ظاهر اعني العلم باعمال الجوارح والى علم باطن اعني العلم باعمال القلوب
والجاري على الجوارح اما عبادة واما عادة والوارد على القلوب التي هي بحكم
الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت اما محمود واما مذموم فبالواجب
انقسم هذا العلم الى شطرين ظاهر وباطن والشطر الظاهر المتعلق بالجوارح
انقسم الى عبادة وعادة والشطر الباطن المتعلق باحوال القلب واخلاق
النفس ينقسم الى مذموم ومحمود فكان المجموع اربعة اقسام ولا يشذ نظر في
علم المعاملة عن هذه الاقسام ، الباعث الثاني اني رايت الرغبة من طلبة
العلم صادقة في الفقه الذي صلح عند من لا يخاف الله للتدرع به الى المباهاة
والاستظهار بجاهه ومنزلته في المنافسات وهو مرتب على اربعة ارباع
والمتزيي بزي المحبوب محبوب فلم ابعد ان يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه
تلطفا في استدراج القلوب ولهذا تلطف بعض من رام استمالة قلوب الرؤساء
الى الطب فوضعه على هيئة تقويم النجوم موضوعا في الجداول والرقوم
وسماه تقويم الصحة ليكون انسهم بذلك الجنس جاذبا لهم الى المطالعة
والتلطف في اجتذاب القلوب الى العلم الذي يفيد حياة الابد اهم من التلطف

في اجتذابه الى الطب الذي لا يفيد الا صحة الجسد فثمرة هذا العلم طب القلوب
والارواح للتوصل به الى حياة تدوم ابد الاباد فاين منها الطب الذي يعالج
به الاجساد وهي معرضة بالضرورة للفساد في اقرب الاماد نسال الله
التوفيق للرشاد والسداد انه الكريم الجواد

كتاب العلم

وفيه سبعة ابواب . الباب الاول في فضل العلم والتعليم والتعلم .
الباب الثاني في فرض العين وفرض الكفاية من العلوم وبيان حد
الفقه والكلام من علم الدين وبيان علم الاخرة وعلم الدنيا . الباب
الثالث فيما يعده العامة من علوم الدين وليس منه وفيه بيان جنس العلم
المذموم وقدره . الباب الرابع في آفات المناظرة وسبب اشتغال
الناس بالخلاف والجدل . الباب الخامس في آداب المعلم والمتعلم .
الباب السادس في آفات العلم والعلماء والعلامات الفارقة بين علماء
الدنيا والاخرة . الباب السابع في العقل وفضيلته واقسامه وما جاء
فيه من الاخبار

الباب الاول في فضل العلم

والتعليم والتعلم وشواهده من النقل والعقل . في فضيلة العلم شواهدها من
القران قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم
فانظر كيف بدأ بنفسه وثنى بملائكته وثلث باهل العلم وناهيك بهذا شرفا
وفضلا وجلا لا ونبلا وقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا

العلم درجات قال ابن عباس للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبع مائة
درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمس مائة عام وقال تعالى قل هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء
وقال تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقال تعالى قال
الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به تنبيها على انه اقتدر عليه بقوة العلم وقال
تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير بين ان عظم قدر الاخرة يعلم
بالعلم وقال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون
وقال تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه
منهم رد حكمه في الوقائع الى استنباطهم والحق رتبتهم برتبة الانبياء في كشف
حكم الله وقيل في قوله تعالى يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم
يعني العلم وريشا يعني اليقين ولباس التقوى اي الحياء وقال تعالى ولقد
جئناهم بكتاب فصلناه على علم وقال فلنقصن عليهم بعلم وقال تعالى
بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وقال تعالى خلق الانسان
علمه البيان وانما ذكر ذلك في معرض الامتنان **الاخبار** قال صلى
الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ويلهمه رشده وقال العلماء
ورثة الانبياء ومعلوم انه لا رتبة فوق النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة
لتلك الرتبة وقال يستغفر للعالم ما في السموات والارض واي منصب

عليه الصلاة والسلام

يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السموات والارض بالاستغفار له فهو مشغول
بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له وقال ان الحكمة تزيد الشريف
شرفا وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك وتدبته بهذا على شرفهم في الدنيا
ومعلوم ان الاخرة خير وابقى وقال خصلتان لا يكونان في منافق حسن
سمت ولا فقه في دين ولا تشكن في الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان فانه
ما اراد به الفقه الذي ظننته وسياتي معنى الفقه وادنى درجات الفقيه ان
يعلم ان الاخرة خير من الدنيا وهذه المعرفة اذا صدقت وغلبت برأته عن
النفاق والريا وقال افضل الناس المومن العالم الذي ان احتيج اليه نفع
وان استغنى عنه اغنى نفسه وقال الايمان عريان فلباسه التقوى
وزينته الحيا وثمرته العلم وقال اقرب الناس من درجة النبوة اهل
العلم والجهاد فجاهدوا باسيافهم على ما جاءت به الرسل وقال لموت قبيلة
ايسر من موت عالم وقال الناس معادن فخيارهم في الجاهلية خيارهم في
الاسلام اذا فقهوا وقال يوزن يوم القيامة مداد العلما بدم الشهداء
وقال من حفظ على امتي اربعين حديثا من السنة حتى يوديها اليهم كنت له
شفيعا وشهيدا يوم القيامة وقال من حمل من امتي اربعين حديثا لقي الله
يوم القيامة فقيها عالما وقال من تفقه في دين الله كفاه الله همه ورزقه
من حيث لا يحتسب وقال اوحى الله الى ابرهيم يا ابرهيم اني عليم احب كل

عليم وقال العالم امين الله في الارض وقال صنفان من امتي اذا صلحوا
صلح الناس الامرا والفقها وقال اذا اتى علي يوم لا ازداد فيه علما
يقربني الى الله فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم وقال
في تفضيل العلم على العبادة والشهادة فضل العالم على العابد كفضلي
على ادنى رجل من اصحابي فانظر كيف نزل العلم مقارنا لدرجة النبوة وكيف
حط رتبة العمل المجرد عن العلم وان كان العابد لا يخلوا عن علم بالعبادة التي
يواظب عليها ولولاه لم تكن عبادة وقال فضل العالم على العابد كفضل
القمر ليلة البدر على ساير الكواكب وقال يشفع يوم القيمة ثلثة الانبياء
ثم العلما ثم الشهدا فاعظم برتبة هي تلو النبوة وفوق الشهادة مع ما ورد في
فضل الشهادة وقال ما عبد الله بشي افضل من فقه في دين ولفقيه اشد
على الشيطان من الف عابد ولكل شي عماد وعماد هذا الدين الفقه وقال
خير دينكم ايسره وافضل العبادة الفقه ولا يستغنا د وقال معاذ افضل
الناس العالم الذي ان احتيج اليه نفع وان استغني عنه اغنى نفسه وقال
فضل المومن العالم على المومن العابد سبعون درجة وقال انكم اصبحتم في
زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه العمل فيه خير
من العلم وسياتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه
كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل وقال بين العالم والعابد مائة درجة

بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وقيل يا رسول الله اي الاعمال افضل فقال العلم بالله عز وجل قيل الاعمال نريد قال العلم بالله فقيل نسال عن العمل وتجيب عن العلم فقال ان قليل العمل ينفع مع العلم وان كثير العمل لا ينفع مع الجهل وقال يبعث الله العباد يوم القيامه ثم يبعث العلما ثم يقول يا معشر العلما اني لم اضع علمي فيكم الا لعلمي بكم ولم اضع علمي فيكم لاعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم

الاثار

قال علي رضي الله عنه يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقه والعلم يزكو على الانفاق وقال ايضا العالم افضل من الصايم القايم المجاهد واذا مات العالم ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها الا خلف منه وقال ايضا نظما

ثلمة

- ما الفخر الا لاهل العلم انهم على الهدى لمن استهدى ادلاء
- ووزن كل امرء ما كان يحسنه والجاهلون لاهل العلم اعداء

وقال ابو الاسود ليس شي اعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلما حكام على الملوك وقال ابن عباس خير سليمن بن داود صلى الله عليهما بين العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطي المال والملك معه وسيل ابن المبارك من الناس فقال العلما قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفله قال الذي ياكل بدينه ولم يجعل غير العالم من الناس لان الخاصية

التي بها تميز الناس عن ساير البهايم هو العلم والانسان انسان بما هو شريف لاجله وليس ذلك بقوة شخصه فان الجمل اقوى منه ولا بعظمه فان الفيل اعظم منه ولا بشجاعته فان السبع اشجع منه ولا للاكل فان الجمل اوسع بطنا منه ولا للجامع فان اخس العصافير اقوى على السفاد منه بل لم يخلق الا للعلم وقال بعض الحكما ليت شعري اي شي ادرك من فاته العلم واي شي فاته من ادرك العلم وقال فتح الموصلي اليس المريض اذا منع الطعام والشراب والدوا يموت قالوا نعم قال كذلك القلب اذا منعت عنه الحكمة والعلم ثلاثة ايام يموت ولقد صدق فان غذا القلب العلم والحكمة وبه حياته كما ان غذا الجسد الطعام ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به اذ حب الدنيا وشغله بها ابطل احساسه كما ان غلبة الخوف قد تبطل احساس الم الجراح في الحال وان كان واقعا فاذا حط الموت عنه اعبا الدنيا احس بهلاكه وتحسر تحسرا لا ينفعه وذلك كاحساس المفيق عن سكره بما اصابه من الجراحات في حالة السكر والخوف فنعوذ بالله من كشف الغطا فان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وقال الحسن يوزن مداد العلما بدم الشهدا وقال ابن مسعود عليكم بالعلم قبل ان يرفع ورفعه ان تهلك رواته فوالذي نفسي بيده ليودن رجال قتلوا في سبيل الله شهدا ان يبعثهم الله علما لما يرون من كرامتهم وان احدا لم

يوم

يولد عالما وانما العلم بالتعلم وقال ابن عباس تذاكر العلم بعض ليلة
احب الى من احيايها وكذى عن ابى هريرة واحمد بن حنبل وقال الحسن
فى قوله آتنا فى الدنيا حسنة هى العلم والعبادة وفى الاخرة حسنة هى
الجنة وقيل لبعض الحكما اى الاشيا تقتنى قال الاشيا التى اذا غرقت
سفينتك سبحت معك يعنى العلم وقيل اراد بغرق السفينة هلاك بدنه
بالموت وقال بعضهم من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس اماما ومن عرف
بالحكمة لاحظته العيون بالوقار . وقال الشافعى رضى الله عنه من شرف
العلم ان كل من نسب اليه ولو فى شى حقير فرح ومن دفع عنه حزن .
وقال عمر رضى الله عنه ايها الناس عليكم بالعلم فان لله ردا يحبه فمن
طلب بابا من العلم رداه الله بردايه فان اذنب ذنبا استعتبه فان اذنب
ذنبا استعتبه لئلا يسلبه رداه ذلك وان تطاول به ذلك الذنب حتى
يموت وقال الاحنف كاد العلما ان يكونوا اربابا وكل عز لم يوطد
بعلم فالى ذل مصيره وقال سالم بن ابى الجعد اشترانى مولاى بثلثماية
درهم واعتقنى فقلت باى حرفة احترف فاحترفت بالعلم فما تمت لى سنة حتى
اتانى امير المدينة زايرا فلم اذن له وقال الزبير بن ابى بكر كتب الى ابى
بالعراق عليك بالعلم فانك ان افتقرت كان لك مالا وان استغنيت كان لك
جمالا وحكى ذلك فى وصايا لقمن لابنه وقال يا بنى جالس العلما وزاحمهم

بركبتيك فان الله يحيى القلوب بنور الحكمة كما يحيى الارض بوابل السماء
وقال بعض الحكما اذا مات العالم بكاه الحوت فى الماء والطير فى
السما ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره وقال الزهرى العلم ذكر ولا
يحبه الا ذكور الرجال

فى فضيلة التعلم

اما الايات فقوله تعالى
فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا فى الدين وقوله تعالى فسئلوا
اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون . واما الاخبار فقوله صلى الله عليه وسلم
من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة وقال
ان الملايكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وقال لان تغدو
فتتعلم بابا من العلم خير من ان تصلى ماية ركعة وقال باب من العلم
يتعلمه الرجل خير له من الدنيا وقال طلب العلم فريضة على كل مسلم
وقال اطلبوا العلم ولو بالصين وقال العلم خزاين مفاتيحه
السوال فسئلوا فانه يوجر فيه اربعة السايل والعالم والمستمع والمحب لهم
وقال لا ينبغى للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت عن علمه
وفى حديث ابى ذر حضور مجلس علم افضل من صلاة الف ركعة وعيادة الف مريض
وشهود الف جنازة فقيل يا رسول الله ومن قراة القران فقال وهل ينفع
القران الا بالعلم وقال من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الاسلام
فبينه وبين الانبيا فى الجنة درجة واحدة

واما الاثار

فقال

ابن عباس ذللت طالبا فعززت مطلوبا وكذلك قال ابن ابي مليكة ما رأيت
مثل ابن عباس اذا رأيته رأيت احسن الناس وجها واذا تكلم فاعرب الناس
لسانا واذا افتى فاكثر الناس علما وقال ابن المبارك عجبت لمن لم يطلب
العلم كيف تدعوه نفسه الى مكرمة وقال بعض العلماء اني لا ارحم رجلا
كرحمتي لاحد رجلين رجل يطلب العلم ولا يفهم ورجل يفهم ولا يطلب وقال ابو
الدرداء لان اتعلم مسئلة احب الي من قيام ليلة وقال ايضا العالم والمتعلم
شريكان في الخير وساير الناس همج لا خير فيهم وقال كن عالما او متعلما
او مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك وقال عطا مجلس ذكر يكفر سبعين
مجلسا من مجالس اللهو وقال عمر موت الف عابد قايم بالليل والنهار اهون
من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه وقال الشافعي طلب العلم افضل
من النافلة وقال ابن عبد الحكم كنت عند مالك اقرا عليه العلم فدخل الظهر
فجمعت الكتب لاصلي فقال يا هذا ما الذي قمت اليه بافضل مما كنت فيه اذا
صحت النية وقال ابو الدرداء من رأى ان الغدو الى العلم ليس بجهاد
فقد نقص في رأيه وعقله

فضيلة التعليم

اما الايات
فقوله تعالى ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم والمراد هو التعليم والارشاد
وقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا
تكتمونه وهو ايجاب للتعليم وقال وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم
يعلمون وهو تحريم للكتمان كما قال في الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه
وقال صلى الله عليه وسلم ما آتى الله عالما علما الا اخذ عليه من الميثاق
ما اخذ من النبيين ان يبينه ولا يكتمه وقال تعالى ومن احسن قولا ممن
دعا الى الله وعمل صالحا وقال ادع الى سبيل ربك بالحكمة وقال
ويعلمهم الكتاب والحكمة ٥ واما الاخبار فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما بعث معاذا الى اليمن لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا
وما فيها وقال من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس اعطي ثواب سبعين
نبيا صديقا وقال عيسى عليه السلام من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما
في ملكوت السموات وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة
يقول الله للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا
تعبدوا وجاهدوا فيقول الله عز وجل انتم عندي كبعض ملائكتي اشفعوا
تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة وهذا انما يكون للعلم المتعدي بالتعليم
لا للازم الذي لا يتعدى وقال ان الله لا ينزع العلم انتزاعا من الناس
بعد ان يؤتيهم اياه ولكن يذهب بذهاب العلماء فكلما ذهب عالم ذهب بما معه
من العلم حتى اذا لم يبق الا رؤسا جهالا ان سئلوا افتوا بغير علم فيضلون ويضلون
وقال عليه السلام من علم علما فكتمه الجم يوم القيمة بلجام من نار
وقال نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتنطوي عليها ثم تحملها

الى اخ لك مسلم تعلمه اياها تعدل عبادة سنة وقال الدنيا ملعونة
ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه او معلما او متعلما وقال ان الله
وملايكته واهل السموات والارض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت فى البحر
ليصلون على معلم الناس الخير وقال ما افاد المسلم اخاه فايدة افضل
من حديث حسن بلغه فبلغه وقال كلمة من الخير يسمعها المومن فيعمل
بها ويعلمها خير له من عبادة سنة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات
يوم فراى مجلسين احدهما يدعون الله ويرغبون اليه والثانى يعلمون الناس
فقال اما هولا فيسالون الله ان شا اعطاهم وان شا منعهم واما هولا فيعلمون
الناس وانما بعثت معلما ثم عدل اليهم وجلس معهم وقال مثل ما بعثنى الله به
من العلم والهدى كمثل الغيث الكثير اصاب ارضا فكانت منها بقعة قبلت الماء
فانبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها بقعة امسكت الما فنفع الله
بها الناس شربوا منها وسقوا وزرعوا وكانت منها طايفة لا تمسك ما ولا
تنبت كلأ فالاول ذكره مثلا للمنتفع بعلمه والثانى للنافع والثالث للمحروم
منهما وقال اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا من ثلث علم ينتفع به وقال
الدال على الخير كفاعله وقال لا حسد الا فى اثنين رجل اتاه الله حكمة
فهو يقضى بها ويعلمها وقال عليه السلام على خلفاى رحمة الله فقيل
ومن خلفاوك فقال الذين يحبون سنتى ويعلمونها عباد الله

الناس

الآثار

قال عمر من حدث بحديث فعمل به فله مثل اجر ذلك العمل وقال ابن
عباس معلم الخير يستغفر له كل شى حتى الحوت فى البحر وقال بعض العلماء
العالم يدخل فيما بين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل وقد روى ان سفين
الثورى قدم عسقلان فمكث ولا يساله الناس فقال اكتروا لى لاخرج من
هذا البلد هذا بلد يموت فيه العلم وانما قال ذلك حرصا على فضيلة
التعليم واستبقا للعلم به وقال عطا دخلت على سعيد بن المسيب
وهو يبكى فقلت ما يبكيك فقال ليس احد يسالنى عن شى وقال بعضهم العلماء
سرج الازمنة كل واحد مصباح زمانه يستضى به اهل عصره وقال الحسن
لولا العلما لصار الناس مثل البهايم اى بالتعليم يخرجون الناس من حد البهيمية
الى حد الانسانية وقال عكرمة ان لهذا العلم ثمنا قيل وما هو قال ان
تضعه فيمن يحسن حمله ولا يضيعه وقال يحيى بن معاذ العلما ارحم بامة
محمد من ابايهم وامهاتهم قيل وكيف ذلك قال لان اباهم وامهاتهم يحفظونهم
من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الاخرة وقيل اول العلم الصمت ثم الاستماع
ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره وقيل علم علمك من يجهل وتعلم ممن يعلم فانك اذا فعلت
ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت وقال معاذ بن جبل فى التعليم والتعلم
ورايته ايضا مرفوعا تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته
تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلم صدقة وبذله لاهله قربة وهو

الناس

الانس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل على السراء والضراء والوزير
عند الاخلاء والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة يرفع الله تعالى به اقواما
فيجعلهم في الخير قادة هداة يقتدى بهم ادلة في الخير تقتص اثارهم وترمق
افعالهم وترغب الملايكة في خلتهم وباجنحتها تمسحهم وكل رطب ويابس لهم
يستغفر حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه والسما ونجومها
لان العلم حياة القلب من العمى ونور الابصار من الظلم وقوة الابدان من الضعف
يبلغ العبد به منازل الابرار والدرجات العلى التفكر فيه يعدل بالصيام
ومدارسته بالقيام به يطاع الله وبه يعبد وبه يوحد وبه وبه يتورع
وبه توصل الارحام هو امام والعمل تابعه يلهمه السعدا ويحرمه الاشقيا

في الشواهد العقلية

اعلم ان المطلوب من هذا الباب
معرفة فضيلة العلم ونفاسته وما لم تفهم الفضيلة في نفسها ولم يتحقق المراد
منها لم يمكن ان يعلم وجودها صفة للعلم او لغيره من الخصال فلقد ضل عن الطريق
من طمع ان يعرف ان زيدا حكيم ام لا وهو بعد لم يفهم معنى الحكمة وحقيقتها فالفضيلة
ماخوذة من الفضل وهو الزيادة فاذا تشارك شيئان في امر واختص احدهما
بمزيد يقال فضله وله الفضل مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشي كما
يقال الفرس افضل من الحمار بمعنى انه يشاركه في قوة الحمل ويزيد عليه بقوة الكر
والفر وشدة العدو وحسن الصورة فلو فرض حمار اختص بسلعة زايدة لم يقل انه
افضل لان تلك زيادة في الجسم وهي نقصان من المعنى وليس من الكمال في شي
والحيوان مطلوب لمعناه وصفاته لا لجسمه واذا فهمت هذا لم يخف عليك ان العلم
فضيلة ان اخذته بالاضافة الى ساير الحيوانات بل شدة العدو فضيلة في الفرس
وليس فضيلة على الاطلاق والعلم فضيلة في ذاته وعلى الاطلاق من غير اضافة فانه
وصف كمال الله تعالى وبه شرف الملايكة والانبيا بل الكيس من الفرس خير من البليد
فهي فضيلة على الاطلاق من غير اضافة واعلم ان الشي النفيس المرغوب فيه
ينقسم الى ما يطلب لغيره والى ما يطلب لذاته والى ما يطلب لذاته ولغيره وما
يطلب لذاته اشرف وافضل مما يطلب لغيره والمطلوب لغيره الدراهم والدنانير فانهما
حجران لا منفعة لهما ولولا ان الله تعالى يسر قضا الحاجات بهما لكانتا والحصبا بمثابة
واحدة و[اما] الذي يطلب لذاته فالسعادة في الاخرة ولذة النظر الى وجه الله تعالى و[اما] الذي
يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن فان سلامة الرجل مثلا مطلوب من حيث انه
سلامة عن الالم مطلوب للمشي بها والتوصل الى المارب والحاجات وبهذا الاعتبار
اذا نظرت الى العلم رايته لذيذا في نفسه فيكون مطلوبا لذاته ووجدته وسيلة
الى دار الاخرة وسعادتها وذريعة الى القرب من الله تعالى ولا يتوصل اليه الا به واعظم
الاشيا رتبة في حق الادمي السعادة الابدية وافضل الاشيا ما هو وسيلة اليها
ولن يتوصل اليها الا بالعلم والعمل ولا يتوصل الى العمل ايضا الا بالعلم بكيفية العمل
فاصل السعادات في الدنيا والاخرة هو العلم فهو اذن افضل الاعمال وكيف لا يعرف

فضيلة الشى ايضا بشرف ثمرته فقد عرفت ان ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق
بافق الملايكة ومقارنة الملا الاعلى هذا فى الاخرة فاما فى الدنيا فالعز والوقار ونفوذ
الحكم على الملوك ولزوم الاحترام فى الطباع حتى ان اغبيا الترك واجلاف العرب
يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من
التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الانسان لشعورها بتميز الانسان بكمال مجاوز
لدرجتها هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم كما سياتى بيانه وتتفاوت لا
محالة فضايلها بتفاوتها ٥ اما فضيلة التعليم والتعلم فظاهر مما ذكرناه
فان العلم اذا كان افضل الامور كان تعلمه طلبا للافضل وكان تعليمه افادة
للافضل، وبيانه أن مقاصد الخلق مجموعة فى الدين والدنيا ولا نظام للدين الا
بنظام الدنيا فان الدنيا مزرعة الاخرة وهى الالة الموصلة الى الله لمن اتخذها
الة ومنزلا ولم يتخذها مستقرا ووطنا وليس ينتظم امر الدنيا الا باعمال الادميين
واعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر فى ثلثة اقسام احدها اصول لا قوام للعالم
دونها وهى اربعة الزراعة وهى للمطعم والحياكة وهى للملبس والبنا وهى للمسكن
والسياسة وهى للتالف والاجتماع والتعاون على اسباب المعيشة وضبطها
الثانى، ما هى مهياة لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة لها كالحدادة
فانها تخدم الزراعة وجملة من الصناعات باعداد الاتها وكالحلاجة والغزل فانها
تخدم الحياكة باعداد محلها، الثالث ما هى متممة للاصول ومزينة كالطحانة

والخبز للزراعة وكالقصارة والخياطة للحياكة وذلك بالاضافة الى قوام امر
العالم الارضى مثل اجزا الشخص بالاضافة اليه فانها ثلاثة اضرب اما اصول
كالقلب والكبد والدماغ واما خادمة لها كالمعدة والعروق والشراين
والاعصاب والاوردة واما مكملة لها ومزينة كالاظفار والاصابع والحاجبين
واشرف هذه الصناعات اصولها واشرف اصولها السياسة بالتاليف والاستصلاح
ولذلك تستدعى هذه الصناعة من الكمال فى من يتكفل بها ما لا
يستدعيه ساير الصناعات ولذلك يستخدم لا محالة صاحب هذه الصناعة
ساير الصناع والسياسة فى استصلاح الخلق وارشادهم الى الطريق المستقيم
المنجى فى الدنيا والاخرة على اربعة مراتب الاولى وهى العليا سياسة الانبيا
وحكمهم على الخاصة والعامة فى ظاهرهم وباطنهم، والثانية الخلفا والملوك
والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا ولكن على ظاهرهم لا على
باطنهم، والثالثة العلما بالله وبدينه الذين هم ورثة الانبيا وحكمهم على
باطن الخاصة فقط ولا يرتفع فهم العامة الى الاستفادة منهم ولا ينتهى
قوتهم الى التصرف فى ظواهرهم بالالزام والمنع، والرابع الوعاظ وحكمهم
على بواطن العوام فقط واشرف هذه السياسات الاربعة بعد النبوة افادة
العلم وتهذيب نفوس الناس عن الاخلاق المذمومة المهلكة وارشادهم الى الاخلاق
المحمودة المسعدة وهو المراد بالتعليم وانما قلنا ان هذا افضل من ساير الحرف

والصناعات لان شرف الصناعات يعرف بثلثة امور اما بالالتفات الى الغريزة التي بها يتوصل الى معرفتها كفضل العلوم العقلية على اللغوية اذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة بالسمع والعقل اشرف من السمع واما بالنظر الى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة واما بملاحظة المحل الذي فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة اذ محل احدهما الذهب ومحل الاخر الميتة وليس يخفى ان العلوم الدينية وهي فقه طريق الاخرة انما تدرك بكمال العقل وصفا الذكا والعقل اشرف صفات الانسان كما سيأتي بيانه اذ به قبل امانة الله تعالى وبه يصل الى جوار الله تعالى واما عموم النفع فلا تسترب فيه فان نفعه وثمرته سعادة الاخرة واما شرف المحل فكيف يخفى والمعلم متصرف في قلوب البشر ونفوسهم واشرف موجود على الارض جنس الانس واشرف جزء من جوهر الانسان قلبه والمعلم مشتغل بتكميله وتحليته وتطهيره وسياقته الى القرب من الله تعالى فتعليم العلم من وجه عبادة الله ومن وجه خلافة لله تعالى وهو اجل خلافة فان الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذي هو اخص صفاته فهو كالخازن لانفس خزائنه ثم هو ماذون له في الانفاق على كل محتاج اليه فاية رتبة اجل من كون العبد واسطة بين ربه وبين خلقه في تقريبهم الى الله تعالى زلفى وسياقتهم الى جنة المأوى ٥

الباب الثاني

في العلم المحمود والمذموم واقسامهما واحكامهما وفيه بيان ما هو فرض عين

وما هو فرض كفاية وبيان موقع الفقه والكلام من علم الدين الى اي حد هو وتفصيل علم الاخرة في العلم الذي هو فرض عين قال النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال اطلبوا العلم ولو بالصين واختلف الناس في العلم الذي هو فرض على كل مسلم وتحزبوا فيه اكثر من عشرين فرقة ولا نطول بنقل التفصيل ولكن حاصله ان كل فريق نزل الوجوب على العلم الذي هو بصدده فقال المتكلمون هو علم الكلام اذ به يدرك التوحيد وتعلم ذات الله وصفاته وقال الفقها هو علم الفقه اذ به تعرف العبادات والحلال والحرام وما يحرم من المعاملات وما يحل وعنوا به ما يحتاج اليه الاحاد دون الوقايع النادرة وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة اذ بهما يتوصل الى العلوم كلها وقال المتصوفة المراد به هذا العلم فقال بعضهم هو علم العبد بحاله ومقامه من الله وقال بعضهم هو العلم بالاخلاص وافات النفوس وتمييز لمة الملك من لمة الشيطان وقال بعضهم هو علم الباطن وذلك يجب على اقوام مخصوصين هم اهل ذلك وصرفوا اللفظ عن عمومه وقال ابو طالب المكي هو العلم بما يتضمنه الحديث الذي فيه مباني الاسلام وهو قوله بني الاسلام على خمس لان الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب والذي ينبغي ان يقطع به المحصل ولا يسترب فيه ما نذكره وهو ان العلم كما

قدمناه في خطبة الكتاب ينقسم الى علم معاملة وعلم مكاشفة وليس المراد
بهذا العلم الا علم المعاملة والمعاملة التي كلف العبد العاقل البالغ
بها ثلثة اعتقاد وفعل وترك فاذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام او السن
ضحوة نهار مثلا فاول واجب عليه تعلم كلمتي الشهادة وفهم معناها
وهو قوله لا اله الا الله محمد رسول الله وليس يجب عليه ان يحصل
كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الادلة بل يكفيه ان يصدق به
ويعتقده جزما من غير اختلاج ريب واضطراب نفس وذلك قد يحصل
بمجرد التقليد والسماع من غير بحث ولا برهان اذ اكتفى رسول الله صلى الله
عليه من اجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل فاذا فعل
ذلك فقد ادى واجب الوقت وكان العلم الذي هو فرض عين في الوقت
تعلم الكلمة وفهمها وليس يلزمه امر وراء هذا في الوقت بدليل انه لو مات
عقيب ذلك مات مطيعا لله غير عاص وانما يجب غير ذلك بعوارض تعرض
وليس ذلك ضروريا في حق كل شخص بل يتصور الانفكاك عنها وتلك العوارض
اما في الفعل واما في الترك واما في الاعتقاد اما الفعل فبان يعيش من ضحوة
النهار الى وقت الظهر فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلوة
وان كان صحيحا وكان بحيث لو صبر الى زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم
والعمل في الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم فلا يبعد ان يقول الظاهر

بقاؤه يجب عليه تقديم التعلم على الوقت ويحتمل ان يقال وجوب العلم
الذي هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا في بقية
الصلوات فان عاش الى رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم وهو ان
يعلم ان وقته من الصبح الى غروب الشمس وان الواجب فيه النية والامسا. ك
من الاكل والوقاع وان ذلك يتمادى الى رؤية الهلال فان تجدد له مال
او كان له مال عند بلوغه لزمه تعلم ما يجب من الزكاة ولكن لا يلزمه في الحال
انما يلزمه عند تمام الحول من وقت اسلامه فان لم يملك الا الابل لم يلزمه
تعلم زكاة الغنم وهكذا في ساير الاصناف فاذا دخل اشهر الحج فلا يلزمه
المبادرة الى علم الحج مع ان فعله على التراخي فلا يكون علمه على الفور ولكن
ينبغي لعلماء الاسلام ان ينبهوه على ان الحج فرض على التراخي على كل من ملك
الزاد والراحلة اذا كان هو مالكا حتى ربما يرى الحزم لنفسه في المبادرة فعند
ذلك اذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه الا تعلم اركانه وواجباته
دون نوافله فان فعل ذلك نفل فعلمه ايضا نفل فلا يكون فرض عين وفي تحريم
السكوت عن التنبيه على وجوب اصل الحج في الحال نظر يليق بالفقه وهكذا
التدريج في علم ساير الاعمال التي هي فرض عين واما التروك فيجب علم ذلك بحسب
ما يتجدد من الحال وذلك يختلف بحال الشخص اذ لا يجب على الابكم تعلم ما يحرم
من الكلام ولا على الاعمى تعلم ما يحرم من النظر ولا على البدوي تعلم ما يحل الجلوس فيه

تعلم

من المساكن فذلك ايضا واجب بحسب ما تقتضيه الحال فما يعلم انه
ينفك عنه لا يجب تعليمه وما هو ملابس له يجب تنبيهه عليه كما لو كان عند
الاسلام لابسا للحرير وجالسا في الغصب وناظرا الى غير محرم فيجب تعريفه
ذلك وما ليس ملابسا له ولكنه بصدد التعرض له على القرب كالاكل
فيجب تعلمه حتى اذا كان في بلد يتعاطى فيه شرب الخمر واكل لحم الخنزير
فيجب تعليمه ذلك وتنبيههم عليه وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه
واما الاعتقادات واعمال القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر فان خطر
له شك في المعاني التي تدل عليها كلمتا الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به
الى ازالة الشك لم يخطر له ذلك ومات قبل ان يعتقد ان كلام الله
قديم وانه مرئي وانه ليس محلا للحوادث الى غير ذلك مما يذكر في
المعتقدات فقد مات على الاسلام اجماعا ولكن هذه الخواطر الموجبة
للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع وبعضها بالسماع من اهل البلد وان كان
في بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع فينبغي ان يصان في اول
بلوغه عنها بتلقين الحق فانه لو القي اليه الباطل لوجب ازالته من قلبه وربما
عسر ذلك كما انه لو كان هذا المسلم تاجرا وقد شاع في البلد
معاملة الربا وجب عليه تعلم الحذر من الربا فهذا هو الحق في العلم
الذي هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب فمن علم العلم الواجب

يتبع — فان صح

ووقت وجوبه علم العلم الذي هو فرض عين وما ذكره الصوفية من
فهم خواطر العدو ولمة الملك حق ايضا ولكن في حق من يتصدى له واذا
كان الغالب ان الانسان لا ينفك عن دواعي الشر والريا والحسد فيلزمه
ان يتعلم من علم ربع المهلكات ما يرى نفسه محتاجا اليه وكيف لا يجب
وقد قال عليه السلام ثلث مهلكات الحديث ولا ينفك عنها بشر
وبقية ما سنذكره من مذمومات احوال القلب كالكبر والعجب واخواتهما
تتبع هذه الثلث المهلكات وازالتها فرض عين ولا يمكن الا بمعرفة
حدودها ومعرفة اسبابها ومعرفة علاجها فان من لا يعرف الشر يقع فيه
والعلاج هو مقابلة السبب بضده فكيف يمكن دون معرفة السبب
والمسبب فاكثر ما ذكرناه في ربع المهلكات من فروض الاعيان وقد تركه
الناس كافة اشتغالا بما لا يعني ومما ينبغي ان يبادر في القائه اليه
اذا لم يكن قد انتقل عن ملة اخرى الايمان بالجنة والنار والحشر والنشر
حتى يؤمن به ويصدق وهو من تتمة كلمتي الشهادة فانه بعد التصديق
بكونه رسولا ينبغي ان يفهم الرسالة التي هو مبلغها وهو ان من اطاع الله
ورسوله فله الجنة ومن عصاه فله النار واذا تنبهت لهذا التدريج علمت
ان المذهب الحق هذا وتحققت ان كل عبد فهو في مجاري احواله في يومه
وليلته لا يخلو عن وقائع في عباداته ومعاملاته عن تجدد لوازم عليه

فقد — وقد

فيلزمه السؤال عن كل ما يقع من النوادر ويلزمه المبادرة الى تعلم
ما يتوقع وقوعه على القرب غالبا فاذاً تبين انه اراد بالعلم المعرّف
بالألف واللام في قوله طلب العلم فريضة علم العمل الذي هو مشهور الوجوب
على المسلمين لا غير وقد اتضح وجه التدريج في وقت وجوبه. بيان العلم
الذي هو فرض كفاية اعلم ان الفرض لا يتميز عن غيره الا بذكر اقسام
العلوم والعلوم بالاضافة الى الفرض الذي نحن بصدده ينقسم الى شرعية وغير
شرعية واعني بالشرعية ما استفيد من الانبياء صلوات الله عليهم ولا
يرشد العقل اليه مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل
اللغة فالعلوم التي ليست شرعية تنقسم الى ما هو محمود والى ما هو مذموم
والى ما هو مباح فالمحمود ما يرتبط به مصالح الدنيا كالطب والحساب
وذلك ينقسم الى ما هو فرض كفاية والى ما هو فضيلة وليس بفريضة
اما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام امور الدنيا
كالطب اذ هو ضروري في حاجة بقاء الابدان وكالحساب فانه
ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما وهذه هي
العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج اهل البلد واذا قام بها واحد
كفى وسقط الفرض عن الآخرين ولا يتعجب من قولنا ان الطب والحساب
من فروض الكفايات فان اصول الصناعات ايضا من فروض الكفايات

(هامش: والحياكة)

كالفلاحة والسياسة بل الحجامة فلو خلا البلد عن الحجام تسارع الهلاك
اليهم وحرجوا بتعريضهم انفسهم للهلاك فان الذي انزل الداء انزل
الدواء وارشد الى استعماله واعد الاسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض
للهلاك باهماله واما ما يعد فضيلة لا فريضة فالتعمق في دقائق الحساب
وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في
القدر المحتاج اليه واما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات وعلم
الشعبذة والتلبيسات واما المباح منه فالعلم بالاشعار التي لا
سخف فيها وتواريخ الاخبار وما يجري مجراه اما العلوم الشرعية
وهي المقصودة بالبيان فهي محمودة كلها ولكن قد يلتبس بها ما يظن
انها شرعية وتكون مذمومة فتنقسم الى المحمودة والمذمومة. اما
المحمودة فلها اصول وفروع ومقدمات ومتممات فهي اربعة اضرب
الضرب الاول الاصول وهي اربعة كتاب الله وسنة رسوله واجماع الامة
وآثار الصحابة والاجماع اصل من حيث انه يدل على السنة فهو اصل في
الدرجة الثانية وكذلك الاثر فانه يدل ايضا على السنة لان الصحابة
قد شاهدوا الوحي والتنزيل وادركوا بقرائن الاحوال ما غاب عن غيرهم
عيانه وربما لا تحيط العبارات بما ادرك بالقرائن فمن هذا الوجه رأى
العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم وذلك بشرط مخصوص على وجه

(هامش: فلا التعمق)

مخصوص عند من رآه ولا يليق بيانه بهذا الفن. الضرب الثاني الفروع
وهو ما فهم من هذه الاصول لا بموجب الفاظها بل بمعان تنبهت لها العقول
فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ وغيره كما فهم من قوله لا
يقضي القاضي وهو غضبان انه لا يقضي اذا كان حاقنا وجايعا او متالما
لمرض وهذا على ضربين احدهما يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقه والمتكفل
به الفقهاء وهم علماء الدنيا والثاني ما يتعلق بالاخرة وهو علم احوال
القلب واخلاقه المذمومة والمحمودة وما هو مرضي عند الله وما هو مكروه
وهو الذي يحويه الشطر الاخير من هذا الكتاب اعني جملة كتاب احيا علوم
الدين ومنه العلم بما يترشح من القلب على الجوارح في عباداتها وعاداتها وهو
الذي يحويه الشطر الاول. الضرب الثالث المقدمات وهو الذي يجري منها
مجرى الالات كعلم اللغة والنحو فانهما آلة لعلم كتاب الله وسنة رسوله
وليس علم اللغة والنحو من العلوم الشرعية في انفسها ولكن لزوم الخوض فيها
بسبب الشرع اذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكل شريعة فلا تظهر
الا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة ومن الالات علم كتابة الخط الا ان ذلك
ليس ضروريا اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اميا ولو تصور
استقلال الحفظ لجميع ما يسمع لاستغنى عن الكتابة ولكنه صار بحكم
العجز في الغالب ضروريا. الضرب الرابع المتممات وذلك في علم القران

فينقسم الى ما يتعلق باللفظ كعلم القراات ومخارج الحروف والى ما يتعلق
بالمعنى كالتفسير فان اعتماده ايضا على النقل اذ اللغة بمجردها لا تستقل به
والى ما يتعلق باحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظا هر
وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذي يسمى اصول الفقه
ويتناول السنة ايضا واما المتممات في الاثار والاخبار فالعلم بالرجال
واسمايهم واسامي الصحابة وصفاتهم والعلم بالعدالة في الرواة والعلم
باحوالهم ليتميز الضعيف عن القوي والعلم باعمارهم ليتميز المرسل عن المسند
وكذلك ما يتعلق به فهذه هي العلوم الشرعية وكلها محمودة بل كلها من
فروض الكفايات فان قلت فلم الحقت الفقه بعلم الدنيا والحقت الفقهاء بعلماء
الدنيا فاعلم ان الله اخرج آدم من التراب واخرج ذريته من سلالة من ماء دافق
واخرجهم من الاصلاب الى الارحام ومنها الى الدنيا ثم الى القبر ثم الى العرض
ثم الى الجنة او الى النار فهذا مبداهم وهذه غايتهم وهذه منازلهم وخلق الدنيا
زادا للمعاد ليتناول منها ما يصلح للتزود فلو تناولوها بالعدل لانقطعت الخصوما ت
وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات فمست
الحاجة الى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان الى قانون يسوسهم به فالفقيه
هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق اذا تنازعوا بحكم
الشهوات فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده الى طريق سياسة الخلق

وضبطهم لينتظم باستقامتهم امورهم في الدنيا ولعمري هو متعلق ايضا بالدين
ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا فان الدنيا مزرعة الاخرة ولا يتم الدين
الا بالدنيا والملك والدين توأمان والدين اصل والسلطان حارس وما لا
اصل له فهو مهدوم وما لا حارس له فضايع ولا يتم الملك والضبط الا بالسلطان
وطريق الضبط في فصل الحكومات بالفقه كما ان سياسة الخلق بالسلطنة
ليس من علم الدين في الدرجة الاولى بل هو معين على ما لا يتم الدين الا به فكذلك
معرفة طريق السياسة فمعلوم ان الحج لا يتم الا ببذرقة تحرس من العرب في
ولكن الحج شي وسلوك الطريق الى الحج شي ثاني آخر والقيام بالحراسة التي لا يتم
الحج الا بها شي آخر ومعرفة طرق الحراسة وحيلها وقوانينها شي آخر وحاصل
فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة ويدل على ذلك ما روي مسندا لا
يفتي الناس الا ثلثة امير او مأمور او متكلف فالامير هو الامام وقد كانوا
هم المفتون والمأمور نائبه والمتكلف غيرهما وهو الذي يتقلد تلك العهدة
من غير حاجة وقد كان الصحابة يحترزون عنه حتى كان يحيل كل واحد
على صاحبه وكانوا لا يحترزون اذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة وفي بعض
الروايات بدل المتكلف المرائي فان من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة
فلا يقصد به الا طلب الجاه والمال فان قلت هذا ان استقام لك في احكام
الحدود والجراحات والغرامات وفصل الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل

عليه ربع العبادات من الصيام والصلاة ولا فيما يشتمل عليه ربع المعاملات
من بيان الحلال والحرام فاعلم ان اقرب ما يتكلم الفقيه فيه من الاعمال التي
هي اعمال الآخرة ثلثة الاسلام والصلاة والحلال والحرام واذا تاملت منتهى
نظر الفقيه فيها علمت انه لا يجاوز حدود الدنيا الى الاخرة واذا عرفت هذا
في هذه الثلثة فهو في غيرها اظهر اما الاسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح
منه وما يفسد وفي شروطه وليس يلتفت فيه الا الى اللسان اما القلب
فخارج عن ولاية الفقيه لعزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب السيوف
والسلطنة عنه حيث قال هلا شققت عن قلبه في الذي قتل من تكلم
بكلمة الاسلام معتذرا بانه قال ذلك من خوف السيف بل يحكم الفقيه بصحة
الاسلام تحت ظلال السيوف مع انه يعلم ان السيف لم يكشف له عن شبهة
ولم يرفع عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة ولكنه مشير على صاحب السيف فان
السيف ممتد الى رقبته واليد ممتدة الى ماله وهذه الكلمة باللسان تعصم
رقبته وماله ما دامت له رقبة ومال وذلك في الدنيا ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها فقد
عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها جعل اثر ذلك في الدم والمال واما الآخرة
فلا ينفع فيها الاقوال بل انوار القلوب واسرارها واخلاقها وليس ذلك من
فن الفقه وان خاض الفقيه فيه كما لو خاض في الكلام والطب وكان خارجا عن فنه

وأما الصلاة فالفقيه يفتي بالصحة إذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط
وإن كان غافلاً في جميع صلوته من أولها إلى آخرها مشغولاً بالتفكر في حساب
معاملاته في السوق إلا عند التكبير وهذه الصلاة لا تنفع في الآخرة لشيء
نفع كما أن القول باللسان في الإسلام لا ينفع ولكن الفقيه يفتي بالصحة أي أن
ما فعله حصل به امتثال صيغة الأمر وانقطع به عنه القتل والتعزير فأما
الخشوع وإحضار القلب الذي هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر لا يتعرض
له الفقيه ولو تعرض له كان خارجاً عن فنه وأما الزكاة فالفقيه ينظر
إلى ما يقطع مطالبة السلطان حتى إنه إذا امتنع فأخذ السلطان منه قهراً
حكم بأنه برئت ذمته وحكي أن أبا يوسف كان يهب ماله لزوجته في
آخر الحول ويستوهب مالها لإسقاط الزكاة فحكي لأبي حنيفة فقال ذلك من
فقهه وصدق فإن ذلك من فقهه في الدنيا ولكن مضرته في الآخرة أعظم من كل
جناية ومثل هذا العلم هو الضار وأما الحلال والحرام فالورع عن الحرام
من الدين ولكن الورع له أربع مراتب الأولى الورع الذي يشترط في عدالة
الشهادة وهو الذي يخرج به الإنسان عن أهلية الشهادة والقضاء والولاية
وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر الثانية ورع الصالحين وهو التوقي من
الشبهات التي تتقابل فيه الاحتمالات قال صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك
إلى ما لا يريبك وقال الإثم حزاز القلوب الثالثة ورع المتقين وهو ترك

الحلال المحض الذي يخاف منه أداؤه إلى الحرام قال صلى الله عليه وسلم
لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة مما به بأس وذلك مثل
التورع عن التحدث بأحوال الناس خيفة من الانجرار إلى الغيبة والتورع
عن أكل الشهوات خيفة من هيجان النشاط والبطر المؤدي إلى مقارفة
المحظورات الرابعة ورع الصديقين وهو الإعراض عما سوى الله خوفاً
من صرف ساعة من العمر إلى ما لا يفيد زيادة قرب عند الله وإن كان يعلم
ويتحقق أنه لا يفضي إلى حرام فهذه الدرجات كلها خارجة عن نظر الفقيه
إلا الدرجة الأولى وهو ورع الشهود والقضاة وما يقدح في العدالة
والقيام بذلك لا ينفي الإثم في الآخرة قال صلى الله عليه وسلم لوابصة
استفت قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك والفقيه لا يتكلم في حزازات
القلوب وكيفية العمل بها بل فيما يقدح في العدالة فقط فإذن جميع نظر الفقيه
يرتبط بالدنيا التي بها صلاح طريق الآخرة فإن تكلم في الإثم وصفات القلب وأحكام
الآخرة فذلك يدخل في كلامه على سبيل التطفل كما قد يدخل في كلامه شيء من
الطب والحساب والنحو وعلم الكلام وكما يدخل الحكمة في النحو والشعر وكان
سفيان الثوري وهو إمام في علم الظاهر يقول إن طلب هذا ليس من زاد الآخرة
كيف وقد اتفقوا على أن الشرف في العلم العمل به فكيف يظن أنه علم اللعان والظهار
والسلم والإجارة والصرف ومن تعلم هذه الأمور ليتقرب بتعاطيها إلى الله فهو مجنون

واما العمل لقلب والجوارح في الطاعات والشريف هو علم تلك الاعمال
فان قلت فقد سويت بين الفقه والطب اذ الطب ايضا يتعلق بالدنيا وهو
صحة الجسد وذلك يتعلق به ايضا صلاح الدين وهذه التسوية تخالف
اجماع المسلمين فاعلم ان التسوية غير لازمة بل بينهما فرق فان الفقه اشرف
منه من ثلثة اوجه احدها انه علم شرعي اي هو مستفاد من النبوة بخلاف
الطب فانه ليس من علم الشرع والثاني انه لا تستغني عنه احد من سالكي
طريق الاخرة البتة لا الصحيح ولا المريض واما الطب فلا يحتاج اليه الا المرضى
وهم الاقلون والثالث ان علم الفقه مجاور لعلم طريق الاخرة لانه نظر
في اعمال الجوارح ومصدر الاعمال ومنشاها صفات القلوب فالمحمود من الاعمال
يصدر عن الاخلاق المحمودة المنجية في الاخرة والمذموم يصدر من المذموم
وليس يخفى اتصال الجوارح بالقلب واما الصحة والمرض فمنشاهما صفات في
المزاج والاخلاط وذلك من اوصاف البدن لا من اوصاف القلب فمهما اضيف
الفقه الى الطب ظهر شرفه واذا اضيف علم طريق الاخرة الى الفقه ظهر ايضا
شرف علم الاخرة فان قلت فصل لي علم الاخرة تفصيلا يشير الى تراجمه
وان لم يمكن استقصا تفاصيله فاعلم انه قسمان علم مكاشفة وعلم معاملة
اما علم المكاشفة فهو علم الباطن وذلك غاية العلوم فقد قال بعض
العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم اخاف عليه سوء الخاتمة وادنى

النصيب منه التصديق به وتسليمه لاهله وقال اخر من كان فيه
خصلتان لم يفتح له بشيء من هذا العلم بدعة اوكبر وقيل من كان محبا للدنيا
او مصرا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بساير العلوم واقل عقوبة من ينكره
انه لا يرزق منه شيئا وهو علم الصديقين والمقربين اعني علم المكاشفة فهو
عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاتها المذمومة
ينكشف في ذلك النور امور كان يسمع من قبل اسماءها ويتوهم لها معاني مجملة
غير متضحة فتتضح اذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله
وبصفاته الباقيات وبافعاله وبحكمته في خلق الدنيا والاخرة ووجه ترتيبه
الاخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوة والنبي ومعنى الوحي ومعنى لفظ الملايكة
والشياطين وكيفية معاداة الشيطان للانسان وكيفية ظهور الملك
للانبيا وكيفية وصول الوحي اليهم والمعرفة بملكوت السموات والارض
ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملايكة والشياطين فيه ومعرفة
الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الاخرة والجنة والنار وعذاب
القبر والصراط والميزان والحساب ومعنى قوله كفى بنفسك اليوم عليك
حسيبا ومعنى قوله وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ومعنى لقا الله
والنظر الى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول في جواره ومعنى حصول
السعادة بمرافقة الملا الاعلى ومقارنة الملايكة والنبيين ومعنى تفاوت

اقرا كتابك صح

درجات اهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يرى الكوكب الدرى في جو السما
الى غير ذلك مما يطول تفصيله اذ للناس في معاني هذه الامور بعد التصديق
باصولها مقامات فبعضهم يرى ان جميع ذلك امثلة وان الذى اعد لعباد الله
الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وانه ليس
مع الخلق من الجنة الا الصفات والاسما وبعضهم يرى ان بعضها امثلة وبعضها
توافق حقايقها المفهومة من الفاظها وكذا يرى بعضهم ان منتهى معرفة الله الاعتراف
بالعجز عن معرفته وبعضهم يدعى امورا عظيمة في المعرفة بالله وبعضهم يقول حد
المعرفة الله ما انتهى اليه اعتقاد جميع العوام وهو انه موجود عالم قادر سميع
بصير متكلم فنعني بعلم المكاشفة ان يرتفع الغطا حتى يتضح جلية الحق في هذه
الامور اتضاحا يجرى مجرى العيان الذى لا يشك فيه وهذا ممكن في جوهر الانسان
لولا ان مراة القلب قد تراكم صداها وخبثها بقاذورات الدنيا وانما نعني بعلم
طريق الاخرة العلم بكيفية تصقيل هذه المراة عن هذه الخبايث التي هي الحجاب
عن الله وعن معرفة صفاته وافعاله وانما تصفيته وتطهيره بالكف عن الشهوات
والاقتدا بالانبيا في جميع احوالهم فبقدر ما ينجلى من القلب ويحاذى به شطر الحق
يتلالا فيه حقايقه ولا سبيل اليه الا بالرياضة التي ياتي تفصيلها في موضعه
وبالتعلم وهذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من انعم الله عليه
منها بشي الا مع اهله وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الاسرار

وهذا العلم الخفي هو الذى اراده صلى الله عليه وسلم بقوله ان من العلم
كهيئة المكنون لا يعلمه الا اهل المعرفة بالله فاذا نطقوا به لم يجهله الا اهل
الاغترار بالله فلا تحقروا عالما اتاه الله تعالى علما فان الله لم يحقره اذ اتاه اياه
واما القسم الثاني وهو علم المعاملة فهو علم احوال القلب اما ما يحمد منها
كالصبر والشكر والخوف والرجا والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخا
ومعرفة المنة لله تعالى في جميع الاحوال والاحسان وحسن الظن وحسن
الخلق وحسن المعاشرة والصدق والاخلاص فمعرفة حقايق هذه الاحوال
وحدودها واسبابها التي بها تكتسب وثمراتها وعلاماتها ومعالجة ما ضعف
منها حتى يقوى وما زال حتى يعود من علم الاخرة واما ما يذم فخوف الفقر وسخط
المقدور والغل والحقد والحسد والغش وطلب العلو وحب الثنا وحب طول
البقا في الدنيا للتمتع والكبر والريا والغضب والانفة والعداوة والبغضا
والطمع والبخل والرغبة والبذخ والاشر والبطر وتعظيم الاغنيا والاستهانة
بالفقرا والفخر والخيلا والتنافس والمباهاة والاستكبار عن الحق والخوض
فيما لا يعني وحب كثرة الكلام والصلف والتزين للخلق والمداهنة والعجب
والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج
الخشية منه وشدة الانتصار للنفس اذا نالها ذل وضعف الانتصار للحق واتخاذ
اخوان العلانية على عداوة السر والامن من مكر الله في سلب ما اعطى والاتكال

على الطاعة والمكر والخيانة والمخادعة وطول الامل والعشوة والفظاظة
والفرح بالدنيا والاسف على فواتها والانس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم
والجفا والطيش والعجلة وقلة الحيا وقلة الرحمة فهذه وامثالها من صفات
القلب مغارس الفواحش ومنابت الاعمال المحظورة واضدادها وهي الاخلاق
منبع الطاعات والقربات فالعلم بحدود هذه الامور وحقايقها واسبابها
وثمرتها وعلاجها هو علم الاخرة وهو فرض عين في فتوى علماء الاخرة فالمعرض
عنها هالك بسطوة ملك الملوك في الاخرة كما ان المعرض عن الاعمال الظاهرة
هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا فنظر الفقهاء في فروض
العين بالاضافة الى صلاح الدنيا وهذا بالاضافة الى صلاح الاخرة ولو سئل
فقيه عن هذه المعاني حتى عن الاخلاص مثلا او عن التوكل او عن وجه الاحتراز
عن الريا لتوقف فيه مع انه فرض عينه الذي في اهماله هلاكه في الاخرة
ولو سألته عن اللعان والظهار والسبق والرمي لسرد عليك مجلدات من التفريعات
الدقيقة التي تنقضي الدهور ولا يحتاج الى شيء منها وان احتيج لم تخل البلد عمن يقوم
بها ويكفيه مؤونة التعب فيها ولا يزال يتعب فيه ليلا ونهارا في حفظه ودرسه
ويغفل عما هو مهم نفسه في الدين فاذا روجع فيه قال اشتغلت به لانه علم الدين
وفرض الكفاية ويلبس على نفسه وعلى غيره في تعلله والفطن يعلم انه لو كان
غرضه اداء حق الامر في فرض الكفاية لقدم عليه فرض العين بل قدم عليه كثيرا من

فروض الكفايات فكم من بلد ليس فيها طبيب الا من اهل الذمة ولا يجوز قبول
شهادتهم فيما يتعلق بالاطبا من احكام الفقه ثم لا ترى احدا يشتغل به ويتهافتون
على علم الفقه لا سيما الخلافيات والجدليات والبلد مشحون من الفقها بمن يشتغل
بالفتوى والجواب عن الوقايع فليت شعري كيف يرخص الدين في الاشتغال بفرض
كفاية قد قام به جماعة واهمال ما لا قايم به هل لهذا سبب الا ان الطب ليس
يتيسر التوصل به الى تولي الاوقاف والوصايا وحيازة مال الايتام وتقلد القضاء
والحكومة والتقدم به على الاقران والتسلط به على الاعداء هيهات هيهات قد
اندرس علم الدين بتلبيس العلماء السوء فالله المستعان واليه اللياذ في ان يعيذنا
من هذا الغرور الذي يسخط الرحمن ويضحك الشيطان فقد كان اهل الورع من علما
الظاهر مقرين بفضل علماء الباطن وارباب القلوب كان الشافعي رضي الله عنه
يجلس بين يدي شيبان الراعي كما يقعد الصبي في المكتب ويسأله كيف يفعل في كذا
وكذا فيقال له مثلك يسأل هذا البدوي فيقول ان هذا وفق لما اغفلناه وكان احمد بن
حنبل ويحيى بن معين يختلفان الى معروف الكرخي ولم يكن في علم الظاهر بمنزلتهما وكانا يسألانه
كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم لما قيل له كيف نفعل اذا جانا امر لم نجده في
كتاب الله ولا في سنة فقال سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم ولذلك قيل
علماء الظاهر زينة الارض والملك وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت وقال الجنيد
قال لي السري شيخي اذا قمت من عندي فمن تجالس فقلت المحاسبي فقال نعم خذ من علمه

ولأبيه ودع عنك شقشقة الكلام ورده على المتكلمين ثم لما وليت سمعته يقول
جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث اشار الى
ان من حصل الحديث والعلم ثم تصوف افلح ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه
فان قلت لم لم تورد في اقسام العلوم الكلام والفلسفة وتبين انهما مذمومان
او محمودان فاعلم ان حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الادلة التي ينتفع بها
فالقرآن والاخبار مشتملة عليه وما خرج عنهما فهو اما مجادلة مذمومة
وهي من البدع كما سيأتي بيانه واما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق وتطويل
بنقل المقالات التي اكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الاسماع
وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شيء منه مالوفا في العصر الاول وكان
الخوض فيه بالكلية من البدع ولكن تغير الان حكمه اذ حدثت البدع الصارفة عن مقتضى
القرآن والسنة ونبغت جماعة لفقوا لها شبها ورتبوا فيها كلاما مولفا فصار ذلك
المحذور بحكم الضرورة ماذونا فيه بل صار من فروض الكفايات وهو القدر الذي
يقابل به المبتدع اذا قصد الدعوة الى البدعة وذلك الى حد محدود وسنذكره
في الباب الذي يلي هذا واما الفلسفة فليست علما برأسها بل هي اربعة اجزاء
احدها الهندسة والحساب وهما مباحان كما سبق ولا يمنع عنهما الا من يخاف
عليه ان يتجاوز بهما الى علوم مذمومة فان اكثر الممارسين لها قد خرجوا منها الى
البدع فيصان الضعيف عنه لا لعينه كما يصان الصبي عن شاطئ النهر خيفة من الوقوع

في النهر وكما يصان حديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار خوفا عليه مع ان
القوي يندب الى مخالطتهم والثاني المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه
ووجه الحد وشروطه وهما داخلان في علم الكلام والثالث الالهيات وهو بحث
عن ذات الله وصفاته وهو داخل في الكلام والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر
من العلم بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر وبعضها بدعة وكما ان الاعتزال ليس علما برأسه
بل اصحابه طائفة من المتكلمين واهل البحث والنظر وانفردوا بمذاهب باطلة
فكذلك الفلسفة والرابع الطبيعيات وبعضها يخالف الشرع والدين الحق فهو
جهل وليس بعلم حتى يورد في اقسام العلوم وبعضها بحث عن صفات الاجسام
وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الاطباء الا ان الطبيب
ينظر في بدن الانسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح وهم ينظرون في جميع
الاجسام من حيث تتغير وتتحرك ولكن للطب فضل عليه وهو انه محتاج اليه
واما علومهم في الطبيعيات فلا حاجة اليها فاذن الكلام صار من جملة الصناعات
الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تخييلات المبتدعة وانما حدث
ذلك بحدوث البدع كما حدثت حاجة استئجار البذرقة في طريق الحج بحدوث ظلم
العرب وقطعهم الطريق ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن استئجار الحراس من شروط
طريق الحج فكذلك لو ترك المبتدع هذيانه لما افتقر الى الزيادة على ما عهد في عصر
الصحابة وليعلم المتكلم حده من الدين وان موقعه منه موقع الحارس في طريق

الحج فان تجرد الحارس للحراسة لم يكن من جملة الحاج والمتكلم ان تجرد للمناظرة
والمدافعة ولم يسلك طريق الاخرة ولم يشتغل بتعهد القلب وصلاحه لم يكن من
جملة علماء الدين اصلا وليس عند المتكلم من الدين الا العقيدة التي يشاركه سائر
العوام فيها وهو من جملة اعمال ظاهر القلب واللسان وانما تميز عن العامي بصنعة
المجادلة والحراسة فاما معرفة الله وصفاته وافعاله وجميع ما اشرنا اليه في علم
المكاشفة فلا تحصل من علم الكلام بل يكاد يكون الكلام حجابا ومانعا منه وانما
الوصول اليه بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فان قلت قد رددت حد المتكلم الى حراسة
عقيدة العوام عن تشويش المبتدعة كما ان حد البذرقة حراسة امتعة الحجيج عن نهب
العرب ورددت حد الفقيه الى حفظ القانون الذي به يكف السلطان شر بعض اهل
العدوان عن بعض وهاتان رتبتان نازلتان بالاضافة الى علم الدين وعلماء الامة
المشهورون بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون وهم افضل الخلق عند الله فكيف تنزل
درجاتهم الى هذه المنزلة السافلة بالاضافة الى علم الدين فاعلم ان من عرف الحق
بالرجال حار في متاهات الضلال فاعرف الحق تعرف اهله ان كنت سالكا طريق الحق
وان قنعت بالتقليد والنظر الى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل
عن الصحابة وعلو منصبهم فقد اجمع الذين عرضت بذكرهم على تقدمهم وانهم لا يدرك
في الدين شاوهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل بعلم الاخرة

حديث ما فضلكم ابو بكر
الناس بكثرة صيام ولا
بكثرة صلاة الحديث قال العراقي
الترمذي الحكيم في النوادر
من قول بكر بن عبد الله
المزني ولم اجده مرفوعا م

وسلوك طريقها وما فضل ابو بكر رضي الله عنه الناس بكثرة صلاة ولا كثرة
صيام ولا بكثرة رواية وفتوى وكلام ولكن بشيء وقر في صدره كما شهد له سيد
البشر صلوات الله عليه فليكن حرصك في طلب ذلك السر فهو الجوهر النفيس والدر
المكنون ودع عنك ما تطابق اكثر الناس على تفخيمه وتعظيمه لاسباب ودواعي
يطول تفصيلها فلقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالوف من الصحابة
كلهم علماء بالله اثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن منهم احد يحسن
صنعة الكلام ولم ينصب نفسه للفتوى منهم احد الا بضعة عشر رجلا وكان
ابن عمر منهم وكان اذا سئل عن الفتوى يقول اذهب الى هذا الامير الذي تقلد امور
الناس وضعها في عنقه اشارة الى ان الفتوى في القضايا والاحكام من توابع الولاية
والسلطنة ولما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود مات تسعة اعشار العلم
فقيل له اتقول ذلك وفينا جلة الصحابة فقال لست اريد علم الفتوى والاحكام
وانما اريد العلم بالله افترى انه اراد صنعة الكلام والجدل فما لك لا تحرص على معرفة
ذلك العلم الذي مات بموت عمر وهو الذي سد باب الكلام والجدل وضرب صبيغا
بالدرة لما اورد عليه سوالا في تعارض آيتين من كتاب الله تعالى وهجره وامر
الناس بهجره واما قولك ان المشهورين من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون فاعلم ان ما
ينال به الفضل عند الله شيء وما ينال به الشهرة عند الناس شيء آخر ولقد كان شهرة
ابي بكر الصديق بالخلافة وكان فضله بالسر الذي وقر في صدره وكان شهرة عمر

بلغ مقابلة

تسعة اعشار

بالسياسة وكان فضله بالعلم بالله الذي مات تسعة اعشاره بموته وبقصده
التقرب الى الله في ولايته وعدله وشفقته على خلقه وهو امر باطن في سره
فاما سائر افعاله الظاهرة فيتصور صدورها من طالب الجاه والاسم والسمعة والراغب
في الشهرة فتكون الشهرة فيما هو المهلك والفضل فيما هو سر لا يطلع عليه احد
والفقهاء والمتكلمون مثل الخلفاء والقضاة وقد انقسموا فمنهم من اراد الله بعلمه
وفتواه وذبه عن سنته ولم يطلب به رياء ولا سمعة فاولئك اهل رضوان الله
وفضلهم عند الله لعملهم بعلمهم ولارادتهم وجه الله بفتواهم ونظرهم وفضلهم
عند فان كل علم عمل فانه فعل مكتسب وليس كل علماً والطبيب يقدر على التقرب
الى الله بعلمه فيكون مثابا على علمه من حيث انه عامل لله به والسلطان يتوسط بين
الخلق لله فيكون مرضيا عند الله لا من حيث انه متكفل بعلم الدين بل هو متقلد
لعمل يقصد به التقرب الى الله واقسام ما يتقرب به الى الله ثلاثة علم مجرد وهو
علم المكاشفة وعمل مجرد كعدل السلطان مثلا وضبطه للناس ومركب من علم
وعمل وهو علم طريق الاخرة فان صاحبه من العلماء والعمال جميعا فانظر الى نفسك
اتكون يوم القيمة في حزب عمال الله او علماء الله او في حزبهما وتضرب بسهمك مع
كل فريق منهما فهذا اهم لك من التقليد بمجرد الاشتهار ه

؞ خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل ؞

على انا سننقل من سير فقهاء السلف ما تعلم ان الذين انتحلوا مذاهبهم ظلموهم

عمل

علاماتهم

وانهم من اشد خصمائهم يوم القيمة فانهم ما قصدوا بالعلم الا وجه الله وقد
شوهد من احوالهم ما هو علامات علماء الاخرة كما سياتي بيانه في باب علماء
الاخرة وانهم ما كانوا متجردين لعلم الفقه بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب
ومراقبين لها ولكن صرفهم عن التصنيف والتدريس فيه ما صرف الصحابة عن
التصنيف والتدريس في الفقه مع انهم كانوا فقهاء مشتغلين بعلم الفتاوى
والصوارف والدواعي متفقة ولا حاجة الى ذكرها ونحن الان نورد من احوال فقهاء
الاسلام ما تعلم به ان ما ذكرناه ليس طعنا فيهم بل هو طعن فيمن اظهر الاقتداء بهم
منتحلا مذهبهم ومخالفا لهم في علمهم وسيرتهم فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه
وقادة الخلق اعني الذين كثر اتباعهم في المذاهب خمسة الشافعي ومالك
وابو حنيفة واحمد بن حنبل وسفين الثوري رحمهم الله وكل واحد منهم كان عابدا
وزاهدا وعالما بعلوم الاخرة وفقيها في مصالح الخلق في الدنيا ومريدا بفقهه
وجه الله فهذه خمس خصال اتبعهم فقهاء الفرق من جملتها على خصلة واحدة وهو
التشمر والمبالغة في تفاريع الفقه لان الخصال الاربعة لا تصلح الا للاخرة
وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والاخرة ان اريد بها الاخرة فلصلاحها
للدنيا تشمروا لها وادعوا بها مشابهة اولئك الائمة هيهات لا تقاس الملائكة
بالحدادين فلنورد من احوالهم ما يدل على هذه الخصال الاربعة فان معرفتهم
بالفقه ظاهرة اما الشافعي فيدل على كونه عابدا ما روي انه كان يقسم الليل

ثلثة اجزا ثلث للعلم وثلث للصلاة وثلث للنوم وقال الربيع كان الشافعي
يختم القران في رمضان ستين مرة كل ذلك في الصلاة وكان البويطي احد اصحابه
يختم القران في كل يوم مرة وقال حسين الكرابيسي بت مع الشافعي غير ليلة
فكان يصلي نحوا من ثلث الليل فما رايته يزيد على خمسين اية فاذا اكثر فماية وكان
لا يمر باية رحمة الا يسال الله لنفسه وللمومنين وكانما جمع له الرجا
والرهبة معا فانظر كيف يدل اقتصاره على خمسين اية على تبحره في اسرار القران
وتدبره فيها وقال الشافعي ما شبعت منذ ستة عشر سنة لان الشبع
يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة
فانظر الى حكمته في ذكر افات الشبع ثم في جده في العبادة اذا طرح الشبع لاجله
وراس التعبد تقليل الطعام وقال الشافعي ما حلفت بالله عز وجل لا
صادقا ولا كاذبا فانظر الى حرمته وتوقيره لله ودلالة ذلك على علمه بجلال
الله وسيل الشافعي عن مسلة فسكت فقيل الا تجيب رحمك الله تعالى فقال حتى
ادري الفضل في سكوتي او في الجواب فانظر في مراقبته للسانه مع انه اشد
الاعضا تسلطا على الفقها واعصاها على الضبط والقهر وبه يستبين انه
لا يتكلم ولا يسكت الا لنيل الفضل وطلب الثواب وقال احمد بن يحيى
الوزير خرج الشافعي يوما من سوق القناديل فتبعناه فاذا رجل يسفه على
رجل من اهل العلم فالتفت الشافعي الينا فقال نزهوا اسماعكم عن استماع الخنا

كما تنزهون السنتكم عن النطق به فان المستمع شريك القايل وان السفيه
لينظر الى اخبث شي في وعايه فيحرص ان يفرغه في اوعيتكم ولو ردت كلمة
السفيه لسعد رادها كما يشقى بها قايلها وقال الشافعي كتب حكيم الى
حكيم قد اوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى اهل
العلم بنور علمهم واما زهده فقد قال الشافعي من ادعى انه جمع بين حب الدنيا
وحب خالقها في قلبه فقد كذب وقال الحميدي خرج الشافعي الى اليمن مع بعض
الولاة وانصرف الى مكة بعشرة الف درهم فضرب خباه في موضع خارج من مكة
وكان الناس ياتونه فما برح من موضعه ذلك حتى فرقها كلها وخرج من الحمام مرة
فاعطى الحمامي مالا كثيرا وسقط سوطه مرة من يده فرفعه اليه انسان فاعطاه
جزا عليه خمسين دينارا وسخاوة الشافعي اشهر من ان يحكى وراس الزهد السخا
لان من احب شيا امسكه ولم يفارقه فلا يفرق المال الا من صغرت الدنيا في عينه
وهو معنى الزهد ويدل على قوة زهده وشدة خوفه من الله واشتغال همته
بالاخرة ما روي انه روى سفين بن عيينه حديثا من الرقايق فغشي على الشافعي
فقيل له قد مات قال ان مات فقد مات افضل اهل زمانه وما روى عبد الله
ابن محمد البلوي قال كنت انا وعمر بن نباتة جلوسا نتذاكر العباد والزهاد فقال لي عمر
ما رايت اورع ولا افصح من محمد بن ادريس الشافعي خرجت انا وهو والحرث بن لبيد
الى الصفا وكان الحرث تلميذ الصالح المري فافتتح يقرا وكان حسن الصوت فقرا

صح سوطه

هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فرأيت الشافعي قد تغير لونه
واقشعر جلده فاضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه فلما افاق جعل
يقول اعوذ بك من مقام الكذابين واعراض الغافلين اللهم لك خضعت قلوب
العارفين وذلت هيبة المشتاقين الهي هب لي جودك وجللني بسترك واعف عن
تقصيري بكرم وجهك قال ثم قمنا فانصرفنا فلما دخلت بغداد وكان هو بالعراق
فقعدت على الشط اتهيأ للصلاة اذ مر بي رجل فقال يا غلام احسن وضوءك
احسن الله اليك في الدنيا والاخرة فالتفت فاذا انا برجل يتبعه جماعة
فاسرعت في وضوءي وجعلت اقفو اثره فالتفت الي فقال هل لك حاجة فقلت
نعم تعلمني مما علمك الله شيئا فقال لي اعلم ان من صدق الله نجا ومن اشفق على
دينه سلم من الردى ومن زهد في الدنيا قرت عيناه بما يرى من ثواب الله غدا
افلا ازيدك قلت نعم قال من كان فيه ثلث خصال فقد استكمل الايمان من امر
بالمعروف وايتمر ونهى عن المنكر وانتهى وحافظ على حدود الله الا ازيدك قلت
بلى قال كن في الدنيا زاهدا وفي الاخرة راغبا واصدق لله في جميع امورك
تنج مع الناجين ثم مضى فسألت من هذا فقالوا هذا الشافعي فانظر الى
سقوطه مغشيا عليه ثم الى وعظه كيف يدل ذلك على زهده وغاية خوفه
ولا يحصل هذا الخوف والزهد الا من معرفة الله وانما يخشى الله من عباده
العلماء ولم يستفد الشافعي هذا الخوف من علم كتاب السلم والاجارة

وسائر كتب الفقه بل من علوم الاخرة المستخرجة من القران والاخبار اذ
حكم الاولين والاخرين مودعة فيهما واما كونه عالما باسرار القلب وعلوم
الاخرة فتعرفه من الحكم المأثورة عنه روي انه سئل عن الرياء فقال على
البديهة الرياء فتنة عقدها الهوى حيال ابصار قلوب العلماء فنظروا اليها
بسوء اختيار النفوس فاحبطت اعمالهم وقال الشافعي اذا انت خفت على
عملك العجب فاذكر رضى من تطلب وفي اي نعيم ترغب ومن اي عقاب ترهب واي
عافية تشكر واي بلاء تذكر فانك اذا فكرت في واحد من هذه الخصال صغر في
عينك عملك فانظر كيف ذكر حقيقة الرياء وعلاج العجب وهما من كبار افات
القلب وقال الشافعي من لم يصن نفسه لم ينفعه علمه وقال من اطاع
الله بالعلم نفعه سره وقال ما من احد الا له محب ومبغض فاذا كان
كذلك فكن مع اهل طاعة الله وروي ان عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلا صالحا
ورعا وكان يسأل الشافعي ايما افضل الصبر او المحنة او التمكين فقال
الشافعي التمكين درجة الانبياء ولا يكون التمكين الا بعد المحنة فاذا امتحن
صبر واذا صبر مكن الا ترى ان الله تعالى امتحن ابرهيم ثم مكنه وامتحن
سليمن ثم اتاه ملكا والتمكين افضل الدرجات قال الله تعالى وكذلك
مكنا ليوسف وايوب بعد المحنة العظيمة مكن قال الله تعالى واتيناه
اهله ومثلهم معهم الاية فهذا الكلام من الشافعي يدل على تبحره في اسرار

القران واطلاعه على مقامات السابقين الى الله من الانبيا والاوليا وكل
ذلك من علوم الاخرة وقيل للشافعي متى يكون الرجل عالما قال اذا تحقق في علم يعلمه
وتعرض لساير العلوم فينظر فيها فانه قيل لجالينوس انك تامر للداء الواحد بالادوية
الكثيرة المجتمعة قال انما المقصود منها واحد وانما يجعل معه غيره ليسكن حدته
لان الافراد قاتل فهذا واشباهه مما لا يحصى يدل على عظم رتبته في معرفة الله
وعلوم الاخرة واما ارادته بالفقه خاصة وبالمناظرة فيه وجه الله يدل عليه
ما روي عنه انه قال وددت ان الناس انتفعوا بهذا العلم وما ينسب الي منه شي
فانظر كيف اطلع على افة العلم وطلب الاسم به وكيف كان منزه القلب عن الالتفات
اليه متجردا للنية فيه لوجه الله وقال الشافعي ما ناظرت احدا قط فاحببت
ان يخطي وقال ما كلمت احدا قط الا احببت ان يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه
رعاية من الله عز وجل وحفظ وما كلمت احدا قط وانا ابالي ان يبين الله الحق على
لساني او على لسانه وقال ما اوردت الحق والحجة على احد فقبلها مني الا هبته
واعتقدت مودته ولا كابرني على الحق احد ودافع الحجة الا سقط من عيني
ورفضته فهذه العلامات هي التي تدل على ارادة الله بالفقه والمناظرة
فانظر كيف تابعه الناس من جملة هذه الخصال على خصلة واحدة فقط ثم كيف
خالفوه فيه ولهذا قال ابو ثور ما رايت ولا راى الراوون مثل الشافعي وقال
احمد بن حنبل ما صليت صلاة منذ اربعين سنة الا وانا ادعو فيها للشافعي فانظر الى

انصاف الداعي والى درجة المدعو له وقس به الاقران والامثال من العلماء
في هذه الاعصار وما بينهم من المشاحنة والبغضاء لتعلم تقصيرهم في دعوى
الاقتداء بهولاء ولكثرة دعائه له قال له ابنه اي رجل كان الشافعي
حتى تدعو له كل هذا الدعاء فقال احمد يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا
وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف وقال احمد بن حنبل ما احد مس بيده
محبرة الا وللشافعي في عنقه منة وقال يحيى بن سعيد القطان ما صليت
صلاة منذ اربعين سنة الا وانا ادعو فيها للشافعي لما فتح الله عليه من العلم ووفقه
للسداد فيه ولنقتصر على هذه النبذة من احواله فان ذلك خارج عن الحصر واكثر
هذه المناقب نقلناه من الكتاب الذي صنفه الشيخ نصر بن ابراهيم المقدسي في مناقب
الشافعي ٥ واما مالك رحمه الله فانه كان ايضا متحليا بهذه الخصال الخمس فانه
سيل ما تقول يا مالك في طلب العلم فقال حسن جميل ولكن انظر الذي يلزمك من
حين تصبح الى حين تمسي فالزمه وكان رحمه الله في تعظيم علم الدين مبالغا حتى كان
اذا اراد ان يحدث توضا وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته واستعمل الطيب وتمكن
في الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث فقيل له في ذلك فقال احب ان اعظم حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مالك العلم نور يجعله الله حيث يشاء
وليس بكثرة الرواية وهذا الاحترام والتوقير يدل على قوة معرفته بجلال الله
تعالى واما ارادته وجه الله بالعلم يدل عليه قوله الجدال في الدين ليس بشي ٥

ويدل عليه قول الشافعي اني شهدت مالكا سئل عن ثمان واربعين مسئلة
فقال في اثنتين وثلثين منها لا ادري ومن يرد غير وجه الله بعلمه فلا تسمح
نفسه بان يقر على نفسه بانه لا يدري ولذلك قال الشافعي اذا ذكر العلماء
فمالك النجم وما احد امن علي من مالك وروي ان ابا جعفر من الخلفا منعه من
روايته الحديث في طلاق المكره ثم دس عليه من يسأله فروى على ملا من الناس
ليس على مستكره طلاق فضربه بالسياط ولم يترك رواية الحديث وقال
مالك ما كان رجل صادق في حديثه لا يكذب الا متع بعقله ولم تصبه مع
الهرم آفة ولا خرف واما زهده في الدنيا فيدل عليه ما روي ان المهدي امير
المومنين سأله وقال هل لك دار فقال لا ولكن احدثك سمعت ربيعة
ابن ابي عبد الرحمن يقول نسب المرء داره وسأله الرشيد هل لك دار فقال لا
فاعطاه ثلثة الف دينار وقال اشتر بها دارا فاخذها ولم ينفقها فلما
اراد الرشيد الشخوص قال لمالك ينبغي ان تخرج معنا فاني عزمت ان احمل الناس
على الموطا كما حمل عثمن الناس على القران فقال له اما حمل الناس على الموطا
فليس الى ذلك سبيل لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم افترقوا بعده
في الامصار فحدثوا فعند كل اهل مصر علم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اختلاف امتي رحمة واما الخروج معك فلا سبيل اليه قال صلى الله عليه وسلم
المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث

الحديد وهذه دنانيركم كما هي ان شئتم فخذوها وان شئتم فدعوها يعني
انك انما تكلفني مفارقة المدينة بما اصطنعته لدي فلا اوثر الدنيا على
مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهكذا كان زهد مالك في الدنيا
ولما حمل اليه الاموال الكثيرة من اطراف الدنيا لانتشار علمه واصحابه كان
يفرقها في وجوه الخير ودل سخاوه على زهده وقلة حبه للدنيا وليس الزهد
فقد المال وانما الزهد فراغ القلب عنه فلقد كان سليمن عليه السلام
في ملكه من الزهاد ويدل على احتقاره للدنيا ما روي عن الشافعي انه
قال رايت على باب مالك كراعا من افراس خراسان وبغال مصر ما رايت
احسن منه فقلت لمالك ما احسنه فقال هو هدية مني اليك يا ابا عبد الله
فقلت دع لنفسك منها دابة تركبها فقال اني استحيي من الله عز وجل
ان اطا تربة فيها نبي الله عليه السلام بحافر دابة فانظر الى سخاوته اذ وهب
جميع ذلك دفعة والى توقيره لتربة المدينة ويدل على ارادته بالعلم
وجه الله واستحقاره الدنيا ما روي عنه انه قال دخلت على هرون الرشيد
فقال لي يا ابا عبد الله ينبغي ان تختلف الينا حتى يسمع صبياننا منك الموطا
قال قلت اعز الله الامير ان هذا العلم منكم خرج فان انتم اعززتموه عز
وان اذللتموه ذل والعلم يؤتى ولا يأتي فقال صدقت اخرجوا الى المسجد حتى
تسمعوا مع الناس واما ابو حنيفة رضي الله عنه فلقد كان ايضا عابدا

زاهدا عارفا بالله خائفا منه مريدا وجه الله بعلمه فاما كونه عابدا فيعرف
بما روي عن ابن المبارك انه قال كان ابو حنيفة له مروءة وكثرة صلاة
وروى حماد بن ابي سليمان انه كان يحيي الليل كله وروي انه كان يحيي نصف
الليل واشار اليه انسان وهو يمشي وقال لغيره هذا هو الذي يحيي كل
الليل فلم يزل بعد ذلك يحيي كل الليل وقال انا استحيي من الله ان اوصف بما
ليس فيّ من عبادته واما زهده فقد روي عن الربيع بن عاصم قال ارسلني يزيد بن
عمر بن هبيرة فقدمت بابي حنيفة عليه فاراده على بيت المال فابى فضربه
عشرين سوطا فانظر كيف هرب عن الولاية واحتمل العذاب وقال الحكم بن هشام
الثقفي حدثت بالشام عن ابي حنيفة انه كان من اعظم الناس امانة واراده
السلطان على ان يتولى مفاتيح خزائنه او يضرب ظهره فاختار عذابهم على عذاب
الله وروي انه ذكر ابو حنيفة عند ابن المبارك فقال اتذكرون رجلا عرضت
عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها وروي عن محمد بن شجاع عن بعض اصحابه انه
قيل لابي حنيفة قد امر لك ابو جعفر امير المومنين بعشرة آلاف درهم قال
فما رضي ابو حنيفة فلما كان اليوم الذي توقع ان يوتى بالمال صلى الصبح ثم
تغشى بثوبه فلم يتكلم فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه
فلم يكلمه فقال بعض من حضر ما يكلمنا الا بالكلمة بعد الكلمة اي هذه
عادته فقال ضعوا المال في هذا الجراب في زاوية البيت ثم اوصى ابو حنيفة

بعد ذلك بمتاع بيته فقال لابنه اذا مت ودفنتموني فخذ هذه البدرة
فاذهب بها الى الحسن بن قحطبة فقل له هذه وديعتك التي اودعتها قال
ابنه ففعلت ذلك فقال الحسن رحمة الله على ابيك لقد كان شحيحا
على دينه وروي انه دعي الى ولاية القضا فقال انا لا اصلح له فقيل لم
فقال ان كنت صادقا فلا اصلح وان كنت كاذبا فالكاذب لا يصلح للقضاء واما
علمه بامور الآخرة وطرق الدين ومعرفته بالله فيدل عليه شدة خوفه من
الله وزهده في الدنيا وقد قال ابن جريج قد بلغني عن كوفيكم هذا النعمان بن ثابت
انه شديد الخوف لله وقال شريك النخعي كان ابو حنيفة طويل
الصمت دائم الفكر قليل المحادثة للناس وهذا من اوضح الامارات على العلم
الباطن والاشتغال بمهمات الدين فمن اوتي الصمت والزهد فقد اوتي
العلم كله فهذه احوال الايمة الثلث ٥ واما احمد بن حنبل وسفين الثوري
فاتباعهما اقل من هولاء وسفين اقل اتباعا من احمد ولكن اشتهارهما بالورع
والزهد اظهر وجميع هذا الكتاب مشحون بحكايات افعالهما واقوالهما فلا حاجة
الى التفصيل الآن فانظر الآن في سير هولاء الايمة وتامل ان هذه الاحوال
والاقوال والاعمال في الاعراض عن الدنيا والتجرد لله هل يثمرها مجرد
العلم بفروع الفقه من معرفة السلم والاجارة والظهار واللعان او يثمرها
علم آخر اعلى واشرف منه وانظر الى الذين ادعوا الاقتدا بهولاء صدقوا

في دعواهم ام لا

الباب الثالث

فيما يعده العامة من العلوم المحمودة وليست منه وفيه بيان الوجه الذي به يكون بعض العلوم مذموما وبيان تبديل اسامي العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها

بيان علة ذم العلم المذموم لعلك تقول العلم هو معرفة الشيء على ما هو به وهو من صفات الله سبحانه فكيف يكون الشيء علما ويكون مع كونه علما مذموما فاعلم ان العلم لا يذم لعينه وانما يذم في حق العباد لاحد اسباب ثلاثة الاول ان يكون مؤديا الى ضرر اما بصاحبه واما بغيره كما يذم علم السحر والطلسمات وهو حق اذ شهد القرآن له وانه سبب يتوسل به الى التفرقة بين الزوجين وقد سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومرض بسببه حتى اخبره جبريل واخرج السحر من تحت حجر في قعر بير وهو نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبامور حسابية في مطالع النجوم فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور ويترصد له وقت مخصوص من المطالع وتقترن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ويتوسل بسببها الى الاستعانة بالشياطين ويحصل من مجموع ذلك بحكم اجراء الله العادة احوال غريبة في الشخص المسحور ومعرفة هذه الاسباب من حيث انها معرفة ليست مذمومة ولكنها ليست تصلح الا للاضرار بالخلق والوسيلة

الى الشر شر وكان ذلك هو السبب في كونه مذموما بل من اتبع وليا من اولياء الله ليقتله وقد اختفى منه في موضع حريز اذا سال الظالم عن محله لم يجز تنبيهه عليه بل وجب الكذب فيه وذكر موضعه ارشاد وافادة علم بالشيء على ما هو عليه ولكنه مذموم لادائه الى الضرر الثاني ان يكون مضرا بصاحبه في غالب الامر كعلم النجوم فانه في نفسه غير مذموم لذاته اذ هو قسمان قسم حسابي وقد نطق القرآن بان سير الكواكب محسوب اذ قال تعالى والشمس والقمر بحسبان وقال والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم والثاني الاحكام وحاصله يرجع الى الاستدلال على الحوادث بالاسباب وهو يضاهي استدلال الطبيب بالنبض على ما سيحدث من المرض وهو معرفة بمجاري سنة الله تعالى وعادته في خلقه ولكن قد ذمه الشرع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال اخاف على امتي بعدي ثلاثا حيف الائمة وايمانا بالنجوم وتكذيبا بالقدر وقال عمر تعلموا من النجوم ما تهتدوا به في البر والبحر ثم امسكوا وانما زجر عنه من ثلاثة اوجه احدها انه مضر باكثر الخلق فانه اذا القي اليهم ان هذه الاثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع في نفوسهم ان الكواكب هي المؤثرة وانها الالهة المدبرة لانها جواهر شريفة سماوية ويعظم وقعها في القلوب فيبقى القلب ملتفتا اليها

ويرى الخير والشر محذورا ومرجوا من جهتها وينمحي ذكر الله عن القلب فان الضعيف
يقصر نظره على الوسايط والعالم الراسخ هو الذي يطلع على ان الشمس والقمر
والنجوم مسخرات بأمره سبحانه وتعالى ومثال نظر الضعيف الى حصول ضوء
الشمس عقيب طلوع الشمس مثال النملة لو خلق لها عقل وكانت على سطح قرطاس
وهي تنظر الى سواد الخط يتجدد فتعتقد انه فعل القلم ولا يترقى نظرها الى
مشاهدة الاصابع ثم منها الى اليد ثم منها الى الارادة المحركة لليد ثم منها الى الكاتب
القادر المريد ثم منه الى خالق اليد والقدرة والارادة فاكثر نظر الخلق
مقصور على الاسباب القريبة السافلة مقطوع عن الترقي الى مسبب الاسبا
فهذا احد اسباب النهي عن النجوم ثانيها ان احكام النجوم تخمين محض ليس
يدرك في حق آحاد الاشخاص لا يقينا ولا ظنا فالحكم به حكم بجهل فيكون
ذمه على هذا من حيث انه جهل لا من حيث انه علم ولقد كان ذلك معجزة
لادريس صلوات الله عليه فيما يحكى وقد اندرس ذلك وقد انمحى ذلك العلم
وانمحق وما يتفق من اصابة المنجم على ندور فهو اتفاق لانه قد يطلع على بعض الاسبا
ولا يحصل المسبب عقيبها الا بعد شروط كثيرة ليس في قدرة البشر الاطلاع
عليها فان اتفق ان قدر الله بقية الاسباب وقعت الاصابة وان لم يقدر
اخطأ ويكون ذلك كتخمين الانسان في ان السما تمطر اليوم مهما راى الغيم
يجتمع وينبعث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك وربما يحمى النهار بالشمس

ويبدد الغيم وربما يكون بخلافه ومجرد الغيم ليس كافيا في المطر وبقية
الاسباب لا تدرى وكذلك تخمين الملاح ان السفينة تسلم اعتمادا على ما
الفه من العادة في الرياح ولتلك الرياح اسباب خفية هو لا يطلع
عليها فتارة يصيب في تخمينه وتارة يخطئ ولهذه العلة يمنع القوي
عن النجوم ايضا ثالثها انه لا فايدة فيه واقل احواله انه خوض في فضول
لا يغني وتضييع العمر الذي هو انفس بضاعة الانسان بغير فايدة غاية الخسران
فقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل والناس مجتمعون عليه فقال
ما هذا قالوا رجل علامة فقال بماذا قالوا بالشعر وانساب العرب فقال
علم لا ينفع وجهل لا يضر وقال انما العلم آية محكمة او سنة قايمة او
فريضة عادلة فالخوض في النجوم وما يشبهه اقتحام خطر وخوض جهالة من غير
فايدة فان ما قدر كاين والاحتراز غير ممكن بخلاف الطب فان الحاجة ماسة اليه
واكثر ادلته مما يطلع عليه وبخلاف التعبير وان كان تخمينا لانه
جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة ولا خطر فيه السبب الثالث الخوض
في علم لا يستقل الخايض به فانه مذموم في حقه كتعلم دقيق العلوم قبل
جليلها وكالبحث عن اسرار الالهية اذ تطلع الفلاسفة والمتكلمون اليها
ولم يستقلوا بها ولا يستقل بها وبالوقوف على طرق بعضها الا الانبيا
والاوليا فيجب كف الناس عن البحث عنها وردهم الى ما نطق الشرع به ففي

ذلك مقنع للموفق وكم من شخص خاض في العلوم واستضر بها ولو لم يخض
فيها لكان حاله احسن في الدين منه ولا ينكر كون العلم ضارا لبعض الناس كما
يضر لحم الطير وانواع الحلاوي اللطيفة بالصبي الرضيع بل رب شخص ينفعه الجهل
ببعض الامور فلقد حكي ان بعض الناس شكى الى الطبيب عقم زوجته وانها لا تلد
فجس الطبيب نبضها فقال لها لا حاجة بك الى دواء الولادة فانك ستموتين الى
اربعين يوما فقد دل النبض عليه فاستشعرت المراة خوفا عظيما وتنغص عليها
عيشها واخرجت اموالها وفرقتها واوصت وبقيت لا تاكل ولا تشرب حتى
انقضت المدة فلم تمت فجاء زوجها الى الطبيب وقال لم تمت فقال الطبيب
علمت ذلك فجامعها الان فانها تلد فقال كيف ذلك قال رايتها سمينة
وقد انعقد الشحم على فم رحمها وعلمت انها لا تهزل الا لخوف الموت فخوفتها
بذلك حتى هزلت وزال المانع من الولادة فهذا ينبهك على استشعار
خطر بعض العلوم ويفهمك معنى قوله صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من علم
لا ينفع فاعتبر بهذه الحكاية ولا تكن بحاثا عن علوم ذمها الشرع وزجر عنها
ولازم الاقتداء بالصحابة واقتصر على اتباع السنة فالسلامة في الاتباع
والخطر في البحث والاستقلال ولا تكثر اللهج برايك ودليلك وبرهانك
وزعمك اني ابحث عن الاشياء لاعرفها على ما هي عليها فاي ضرر في العلم
فان ما يعود عليك من ضرره اكثر وكم من شيء تطلع عليه فيضرك اطلاعك

ضررا يكاد يهلكك في الاخرة ان لم يتداركك الله برحمته واعلم انه
كما يطلع الطبيب الحاذق على اسرار في المعالجات يستبعدها من لا يعرفها
فكذا الانبياء اطباء القلوب والعلماء باسباب الحياة الاخروية فلا تتحكم
على سننهم بمعقولك فتهلك فكم من شخص يصيبه عارض في اصبعه فيقتضي
عقله ان يطليه حتى ينبهه الطبيب الحاذق ان علاجه ان يطلى الكف من الجانب
الاخر من البدن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم كيفية
انشعاب الاعصاب ومنابتها ووجه التفافها على البدن فهكذا الامر في
طريق الاخرة وفي دقايق سنن الشرع وادابه وفي عقايده التي تعبد
الناس بها اسرار ولطايف ليس في سعة العقل وقوته الاحاطة به كما ان في
خواص الاحجار امورا غاب عن اهل الصنعة علمها حتى لم يقدر احد على ان يعرف
السبب الذي به يجذب المغناطيس الحديد والعجايب والغرايب في العقايد
والاعمال وافادتها لصفاء القلوب ونقائها وطهارتها وتزكيتها واصلاحها
للترقي الى جوار الله وتعرضها لنفحات فضله اكثر واعظم مما في الادوية
والعقاقير وكما ان العقول تقصر عن ادراك منافع الادوية مع ان التجربة
سبيلا اليها فالعقول تقصر عن ادراك ما ينفع في حياة الاخرة مع ان التجربة
غير متطرقة اليها انما كانت التجربة تتطرق اليه لو رجع الينا بعض الاموات
فاخبرنا عن الاعمال المقبولة النافعة المقربة اليه زلفى وعن الاعمال المبعدة عنه

وكذى عن العقايد وذلك لا مطمع فيه فيكفيك من منفعة العقل ان يهديك
الى صدق النبي صلى الله عليه وسلم ويفهمك موارد اشاراته فاعزل العقل
بعد ذلك عن التصرف ولازم الاتباع فلا تسلم الا به والسلم ولذلك قال
صلى الله عليه ان من العلم جهلا وان من القول عيلا ومعلوم ان العلم لا يكون
جهلا ولكنه يوثر تاثير الجهل في الاضرار وقال ايضا قليل من التوفيق
خير من كثير من العلم وقال عيسى عليه السلام ما اكثر الشجر وليس كلها
بمثمر وما اكثر الثمر وليس كلها بطيب وما اكثر العلوم وليس كلها بنافع

بيان ما بدل من الفاظ العلوم اعلم ان منشأ التباس العلوم المذمومة
بالعلوم الشرعية تحريف الاسامي المحمودة وتبديلها ونقلها بالاغراض الفاسدة
الى معاني غير ما اراده السلف الصالح والقرن الاول وهي خمسة الفاظ
الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة فهذه اسامي محمودة والمتصفو
بها ارباب المناصب في الدين ولكنها نقلت الان الى معاني مذمومة وصارت
القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع اطلاق هذه الاسامي عليهم
اللفظ الاول الفقه فقد تصرفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل اذ
خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة في الفتاوى والوقوف على دقايق عللها
واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها فمن كان اشد تعمقا
فيها واكثر اشتغالا بها يقال هو الافقه ولقد كان اسم الفقه في العصر

الاول مطلقا على علم طريق الاخرة ومعرفة دقايق افات النفوس ومفسدات
الاعمال وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع الى نعيم الاخرة
واستيلاء الخوف على القلب ويدلك عليه قوله تعالى ليتفقهوا في الدين
ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وما به الانذار والتخويف هو هذا الفقه
دون تفريعات الطلاق واللعان والسلم والاجارة فذلك لا يحصل به
انذار ولا تخويف بل التجرد له على الدوام يقسي القلب وينزع الخشية منه
كما يشاهد من المتجردين له وقال تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها واراد
به معاني الايمان دون الفتاوى ولعمري الفقه والفهم في اللغة اسمان لمعنى
واحد وانما تكلم في عادة الاستعمال قديما وحديثا وقال تعالى لانتم
اشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون احال قلة
خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه فانظر ان ذلك نتيجة
عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى او نتيجة ما ذكرناه من العلوم وقال عليه
السلام علما حكما فقها للذين وفدوا عليه وسيل سعد بن ابرهيم اي اهل
المدينة افقه فقال اتقاهم فكانه اشارة الى ثمرة الفقه والتقوى ثمرة
العلم الباطن دون الفتاوى والاقضية وقال صلى الله عليه الا انبئكم
بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى قال من لم يقنط الناس من رحمة الله
ولم يومنهم من مكر الله ولم يوئسهم من روح الله ولم يدع القران رغبة

ابو بكر بن لال في مكارم الاخلاق وابو بكر السني وابن عبد البر من حديث علي وقال ابن عبد البر الاشبه انه موقوف على علي

عنه الى ما سواه ولما روى انس بن مالك قوله صلى الله عليه وسلم لان
اقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة الى طلوع الشمس احب الي
من ان اعتق اربع رقاب قال فالتفت الى يزيد الرقاشي وزياد النميري وقال لم
تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص احدكم ويخطب على اصحابه
ويسرد الحديث سردا انما كنا نقعد فنذكر الايمان ونتدبر القران
ونتفقه في الدين ونعد نعم الله تعالى علينا فتسمى تدبر القران وعد النعم
تفقها وقال عليه السلام لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس
في ذات الله وحتى يرى للقران وجوها كثيرة وروي ايضا موقوفا على ابي
الدردا مع قوله ثم يقبل على نفسه فيكون لها اشد مقتا وسيل فرقد السبخي
عن شي فاجابه فقال ان الفقها يخالفونك فقال الحسن ثكلتك امك
فريقد وهل رايت فقيها بعينك انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في
الاخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف عن اعراض المسلمين
العفيف عن اموالهم الناصح لجماعتهم ولم يقل في جميع ذلك الحافظ لفروع
الفتاوي ولست اقول ان اسم الفقه لم يكن متناولا للفتاوي في الاحكام
الظاهرة ولكن كان بطريق العموم والشمول او بطريق الاستتباع وكان
اطلاقهم له على علم الاخرة اكثر فبان من هذا التخصيص تلبيس بعث الناس على
التجرد له والاعراض عن علم الاخرة واحكام القلب ووجدوا على ذلك معينا من

الطبع فان علم الباطن غامض والعمل به عسير والتوصل به الى طلب الولاية
والقضا والجاه والمال متعذر فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك في
القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذي هو اسم محمود في الشرع
اللفظ الثاني العلم فقد كان ذلك يطلق على العلم بالله وباياته وافعاله
في عباده وخلقه حتى انه لما مات عمر قال ابن مسعود رضي الله عنهما مات
تسعة اعشار العلم عرفه بالالف واللام ثم فسره بالعلم وقد تصرفوا فيه
ايضا بالتخصيص حتى شهروه في الاكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم في
المسايل الفقهية وغيرها فيقال هو العالم على الحقيقة وهو الفحل في العلم
ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفا ولا يعدونه في
زمرة اهل العلم وهذا ايضا تصرف بالتخصيص ولكن ما ورد من فضايل العلم
والعلما اكثره في العلما بالله وباحكامه وافعاله وصفاته وصار الان يطلق
على من لا يحيط من علوم الشرع بشي سوى رسوم جدلية في مسايل خلافية
فيعد بها من فحول العلما مع جهله بالتفسير والاخبار وعلم المذهب وغيره وصار
ذلك سببا مهلكا لخلق كثير من الطلبة اللفظ الثالث التوحيد وقد
جعل الان عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والاحاطة
لمناقضات الخصوم والقدرة على التشدق فيها بتكثير الاسولة واثارة
الشبهات وتاليف الالزامات حتى لقب طوايف منهم انفسهم باهل العدل

العدل والتوحيد وسمى المتكلمون العلماء بالتوحيد مع ان جميع ما هو خاصية
هذه الصناعة لم يكن يعرف منها شي في العصر الاول بل كان يشتد النكير
منهم على من نفتح ابواب الجدل والممارات فاما ما يشتمل عليه القرآن من الادلة
الظاهرة التي تسبق الاذهان الى قبولها في اول السماع فلقد كان ذلك معلوما
للكل وكان العلم بالقرآن هو العلم كله وكان التوحيد عندهم عبارة عن امر
اخر لا يفهمه اكثر المتكلمين وان فهموه لم يتصفوا به وهو ان يرى الامور كلها
من الله رؤية تقطع التفاته عن الاسباب والوسايط فلا يرى الخير والشر
الا منه وهذا مقام شريف احدى ثمراته التوكل كما سيأتي في كتاب التوكل
ومن ثمراته شكاية الخلق وترك الغضب عليهم والرضا والتسليم لحكم الله
وكان احدى ثمراته قول ابي بكر رضي الله عنه لما قيل له في مرضه انطلب لك
طبيبا فقال الطبيب امرضني وقول اخر لما مرض وقيل له ماذا قال لك الطبيب
في مرضك فقال قال اني فعال لما اريد وسيأتي شواهده في كتاب التوكل
وكان التوحيد جوهر نفيس وله قشران احدهما ابعد عن اللب من الاخر فخصص
الناس الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر واهملوا اللب بالكلية فالقشر
الاول ان تقول بلسانك لا اله الا الله وهذا يسمى توحيدا مناقضا للتثليث
الذي صرح به النصارى ولكنه قد يصدر من المنافق الذي يخالف سره جهره
القشر الثاني ان لا يكون في القلب مخالفة وانكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر

ترك

القلب على اعتقاد ذلك والتصديق به وهو توحيد عوام الخلق والمتكلمون
كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة والثالث وهو اللباب
ان يرى الامور كلها من الله رؤية تقطع التفاته عن الوسايط وان يعبده
عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره ويخرج من هذا التوحيد اتباع الهوى فكل
متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده قال تعالى افرأيت من اتخذ
الهه هواه وقال صلى الله عليه وسلم ابغض اله عبد في الارض عند
الله هو الهوى وعلى التحقيق من تأمل عرف ان عابد الصنم ليس يعبد الصنم انما
يعبد هواه اذ نفسه مايلة الى دين ابايه فيتبع ذلك الميل وميل النفوس الى
المألوفات احد المعاني التي يعبر عنه بالهوى ويخرج من هذا التوحيد التسخط على
الخلق والالتفات اليهم فان من يرى الكل من الله كيف يتسخط على غيره فقد
كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو من مقامات الصديقين فانظر الى ماذا
حول وبأي قشر قنع وكيف اتخذوا هذا معتصما في التمدح والتفاخر بما اسمه
محمود مع الافلاس عن المعنى الذي يستحق الحمد الحقيقي وذلك كافلاس من
يصبح بكرة ويتوجه الى القبلة ويقول وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
وهو اول كذب يفاتح الله به كل يوم ان لم يكن وجه قلبه متوجها الى الله على الخصوص
فانه ان اراد بالوجه وجه الظاهر فما وجهه الا الى الكعبة وما صرفه الا عن
سائر الجهات والكعبة ليست جهة للذي فطر السموات والارض حتى يكون

الموجه اليها متوجها اليه تعالى عن ان تحده الجهات والاقطار وان اراد
به وجه القلب وهو المطلوب المتعبد فكيف يصدق قوله وقلبه متردد في
اوطاره وحاجاته الدنيوية ومتصرف في طلب الحيل في جمع المال والجاه
واستكثار الاسباب ومتوجه بالكلية اليها فمتى وجه وجهه للذي فطر
السموات والارض وهذه الكلمة هو خبر عن حقيقة التوحيد فالموحد هو
الذي لا يرى الا الواحد ولا يوجه وجهه الا اليه وهو امتثال قوله تعالى
قل الله ثم ذرهم وليس المراد به القول باللسان انما اللسان ترجمان
يصدق مرة ويكذب اخرى وانما موقع نظر الله تعالى المترجم عنه وهو القلب
فهو معدن التوحيد ومنبعه • اللفظ الرابع الذكر والتذكير وقد قال
تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين • وقد ورد في الثنا على مجالس الذكر
اخبار كثيرة لقوله اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا فيها قيل وما رياض الجنة
قال مجالس الذكر وفي الحديث ان لله ملائكة سياحين في الهوا سوى ملائكة الخلق
اذا راوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضا الا هلموا الى بغيتكم فياتوهم ويحفون
بهم ويستمعون الا فاذكروا الله وذكروا بانفسكم فنقل ذلك الى ما ترى اكثر
الوعاظ في الزمان يواظبون عليه وهو القصص والاشعار والشطح والطامات

هذام

واما القصص فهي بدعة وورد نهي السلف عن الجلوس الى القصاص وقالوا لم يكن
ذلك في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في زمان ابي بكر وعمر حتى ظهرت

الفتنة فظهر القصاص وروي ان ابن عمر خرج من المسجد وقال ما اخرجني الا
القاص ولولاه لما خرجت وقال ضمرة قلت للثوري نستقبل القاص بوجوهنا
فقال ولوا البدع ظهوركم وقال ابن عون دخلت على ابن سيرين فقال ما كان
اليوم من خبر فقلت نهى الامير القصاص ان يقصوا ودخل الاعمش جامع البصرة
فراى قاصا يقص ويقول حدثنا الاعمش فتوسط الحلقة واخذ ينتف شعر
ابطه فقال القاص يا شيخ لا تستحي قال لم انا في سنة وانت في كذب انا الاعمش
وما حدثتك وقال احمد اكثر الناس كذبا القصاص والسوال واخرج
علي رضي الله عنه القصاص من مسجد البصرة ولما سمع كلام الحسن البصري
لم يخرجه اذ كان يتكلم في علم الاخرة والتذكير بالموت والتنبيه على عيوب
النفس وافات الاعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها ويذكر
بالاء الله ونعمايه وتقصير العبد في شكره ويعرف حقارة الدنيا وعيوبها
وتصرمها وقلة عهدها وخطر الاخرة واهوالها فهذا هو التذكير المحمود
شرعا الذي علم الحديث عليه في حديث ابي ذر حيث قال حضور مجلس ذكر

[illegible]

افضل من صلاه الف ركعة وحضور مجلس علم افضل من عيادة الف مريض وحضور
مجلس علم افضل من شهود الف جنازة قيل يا رسول الله ومن قراة القران فقال
وهل تنفع قراة القران الا بالعلم وقال عطا مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا
من مجالس اللهو فقد اتخذ المزخرفون هذه الاحاديث حجة على تزكية انفسهم ونقلوا

اسم التذكير الى خرافاتهم وذهلوا عن طريق الذكر المحمود واشتغلوا
بالقصص التي يتطرق اليها الاختلاف والزيادة والنقص وتخرج عن القصص
الواردة في القرآن وتزيد عليه فان من القصص ما ينفع سماعه ومنه ما يضر وان
كان صادقا ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب
والنافع بالضار فلهذا نهي عنه ولذلك قال احمد بن حنبل ما احوج الناس
الى قاص صادق فان كانت القصة من قصص الانبيا فيما يتعلق بامور دينهم وكان
صحيح الرواية فلست ارى به باسا فليحذر الكذب وحكاية احوال تومي الى هفوات
او مساهلات تقصر فهم العوام عن درك معانيها او عن كونها هفوة نادرة
مردفة بتكفيرات ومتداركة بحسنات تغطي عليها فان العامي يعتصم به في
مساهلاته وهفواته ويمهد لنفسه عذرا فيه ويحتج بانه حكي كيت وكيت
عن بعض المشايخ وبعض الاكابر وكلنا بصدد المعاصي فلا غرو ان عصيت
الله فقد عصى من هو اكبر مني ويفيده ذلك جراة على الله من حيث لا يدري
فبعد الاحتراز عن هذين المحذورين فلا باس به وعند ذلك يرجع القصص المحمودة
الى ما يشتمل عليه القرآن وصح في الكتب الصحيحة من الاخبار ومن الناس من
يستجيز وضع الحكايات المرغبة في الطاعات ويزعم ان قصده فيه دعوة الخلق
الى الحق وهذا من نزغات الشيطان فان في الصدق مندوحة عن الكذب وفيما
ذكره الله سبحانه ورسوله غنية عن الاختراع في الوعظ كيف وقد كره تكلف

السجع وعد ذلك من التصنع قال سعد بن ابي وقاص لابنه عمر وقد سمعه
يسجع هذا الذي يبغضك الي لا قضيت حاجتك ابدا وقد كان جاء في حاجة
وقد قال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن رواحة في سجع من ثلث كلمات [اياك]
والسجع يا ابن رواحة فكان السجع المحذور المتكلف ما زاد على كلمتين ولذلك
لما قال الرجل في دية الجنين كيف ندي من لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل
ومثل ذلك بطل فقال صلى الله عليه اسجع كسجع الكهان واما الاشعار
فتكثيرها في المواعظ مذموم قال الله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون
الم تر انهم في كل واد يهيمون وقال وما علمناه الشعر وما ينبغي له واكثر
ما اعتاده الوعاظ من الاشعار ما يتعلق بالتواصف في العشق وجمال المعشوق
وروح الوصال والم الفراق والمجلس لا يحوي الا اجلاف العوام وبواطنهم مشحونة
بالشهوات وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات الى الصور المليحة فلا تحرك
الاشعار من قلوبهم الا ما هو مستكن فيها فتشتعل فيها نيران الشهوة فيزعقون
ويتواجدون واكثر ذلك او كله يرجع الى نوع فساد فلا ينبغي ان يستعمل من
الشعر الا ما فيه موعظة وحكمة على سبيل استشهاد واستيناس فقد قال
صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة ولو حوى المجلس الخواص الذين وقع الاطلاع
على استغراق قلوبهم بحب الله ولم يكن معهم غيرهم فان ذاك لا يضر معهم الشعر
الذي يشير ظاهره الى الخلق فان المستمع ينزل كل ما يسمعه على ما يستولي

على قلبه كما سيأتي تحقيق ذلك في كتاب السماع ولذلك كان الجنيد
يتكلم على بضعة عشر فان كثروا لم يتكلم وما تم اهل مجلسه عشرين
وحضر جماعه باب دار ابن سالم فقيل له تكلم فقد حضر اصحابك فقال لا ما
هولاء اصحابي انما هم اصحاب المجلس اي اصحابي هم الخواص واما الشطح فنعني
به صنفين من الكلام احدثه بعض الصوفيه احدهما الدعاوى الطويله العريضه
في العشق مع الله والوصال المغني عن الاعمال الظاهره حتى ينتهي قوم الى دعوى
الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهده بالروية والمشافهه بالخطاب فيقولون
قيل لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون فيه بالحسين الحلاج الذي صلب لاجل اطلاقه
كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله انا الحق وبما يحكون عن ابي يزيد
البسطامي انه قال سبحاني سبحاني وهذا فن من الكلام عظم ضرره في العوام حتى
ترك جماعه من اهل الفلاحه فلاحتهم واظهروا مثل هذه الدعاوى فان هذا كلام
يستلذه الطبع اذ فيه البطاله عن الاعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات
والاحوال فلا تعجز الاغبيا عن دعوى ذلك لانفسهم ولا عن تلقف كلمات
مخبطه مزخرفه ومهما انكر عليهم ذلك لم يعجزوا ان يقولوا ان هذا انكار مصدره
العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس وهذا الحديث لا يلوح الا من الباطن
بمكاشفة نور الحق فهذا وامثاله مما قد استطار في بعض البلاد شرره وعظم
ضرره ومن نطق بشي منه فقتله افضل في دين الله من احيا عشره واما ابو يزيد

بضعة / صح / المتصوفه

البسطامي فلا يصح عنه ما حكي عنه وان سمع ذلك منه فلعله كان
يحكيه عن الله في كلام يردده في نفسه كما لو سمع وهو يقول انا الله لا
اله الا انا فاعبدني فانه ما كان ينبغي ان يفهم منه ذلك الا على سبيل
الحكايه الصنف الثاني من الشطح كلمات غير مفهومه لها ظواهر رائقه
وفيها عبارات هايله وليس وراها طايل وذلك اما ان يكون غير مفهومه عند
قايلها بل يصدرها عن خبط في عقله وتشويش في خياله لقلة احاطته بمعنى
كلام قرع سمعه وهذا هو الاكثر واما ان يكون مفهومه له ولكنه لا
يقدر على تفهيمه وايراده بعباره تدل على ضميره لقلة ممارسته العلم
وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني بالالفاظ الرشيقه ولا فايده
لهذا الجنس من الكلام الا انه يشوش القلب ويدهش العقول ويحير
الاذهان او يحمل على ان يفهم منها معاني ما اريدت بها ويكون فهم كل واحد
على مقتضى هواه وطبعه وقد قال صلى الله عليه وسلم ما حدث احدكم قوما
بحديث لا يفقهونه الا كان فتنة عليهم وقال صلى الله عليه كلموا الناس بما
يعرفون ودعوا ما ينكرون اتريدون ان يكذب الله ورسوله وهذا في
ما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه قايله فان
كان يفهمه القايل دون السامع فلا يحل ذكره وقال عيسى عليه السلام لا تضعوا
الحكمه عند غير اهلها فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم كونوا

العقيلي في الضعفا وابن السني وابو نعيم في الرياضه من حديث ابن عباس باسناد ضعيف ولمسلم في مقدمة صحيحه موقوفا على ابن مسعود نحوه

البخاري موقوفا على علي ورفعه ابو منصور الديلمي

كالطبيب الرفيق يضع الدوا في مواضع الداء وفي لفظ آخر من وضع الحكمة
في غير اهلها جهل ومن منعها اهلها ظلم ان للحكمة حقا وان لها اهلا فاعط
كل ذي حق حقه واما الطامات فيدخلها ما ذكرناه من الشطح وامر آخر
يخصها وهو صرف الفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة الى امور باطنة
لا يسبق منها الى الافهام كداب الباطنية في التاويلات وهذا ايضا
حرام وضرره عظيم فان الالفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير
اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعوا اليه من دليل
العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالالفاظ وسقط منفعة كلام الله
وكلام رسوله فان ما يسبق منه الى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له
بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى وهذا ايضا من
البدع الشايعة العظيمة ضررها وانما قصد اصحابها الاغراب فان
النفوس مايلة الى الغريب ومستلذة له وبهذا الطريق توصل الباطنية الى
هدم جميع الشريعة بتاويل ظواهرها وتنزيلها على رايهم كما حكيناه من مذهبهم
في الكتاب المستظهري المصنف في الرد على الباطنية ومثال تاويل اهل
الطامات قول بعضهم في تاويل قوله اذهب الى فرعون انه طغى اشار الى قلبه
وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغي على كل انسان وفي قوله الق عصاك
اي كل ما يتوكا عليه ويعتمده مما سوى الله فينبغي ان يلقيه وفي قوله عليه

السلام تسحروا فان في السحور بركة اراد به الاستغفار بالاسحار
وامثال ذلك حتى يحرفون القران من اوله الى اخره عن ظاهره وعن تفسيره
المنقول عن ابن عباس وساير العلما وبعض هذه التاويلات يعلم بطلانها
قطعا كتنزيل فرعون على القلب فان فرعون شخص محسوس تواتر الينا وجوده
ودعوة موسى له كابي لهب وابي جهل وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين
والملايكة مما لم يدرك بالحس حتى يتطرق التاويل الى الفاظها وكذلك حمل التسحر
على الاستغفار فانه كان صلى الله عليه وسلم يتناول الطعام ويقول
تسحروا وهلموا الى الغدا المبارك فهذه امور تدرك بالتواتر والحس بطلانها
وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك في امور لا يتعلق بها الاحساس وكل ذلك
حرام وضلاله وافساد للدين على الخلق لم ينقل من ذلك شي عن الصحابة ولا
عن التابعين ولا عن الحسن البصري مع اكبابه على دعوة الخلق ووعظهم ولا يظهر
لقوله صلى الله عليه وسلم من فسر القران برايه فليتبوا مقعده من النار
معنى الا هذا النمط وهو ان يكون غرضه ورايه تقرير امر وتحقيقه فيستجر
شهادة القران اليه ويحمله عليه من غير ان يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية
لغوية او نقلية ولا ينبغي ان يفهم منه انه يجب ان لا يفسر القران بالاستنباط
والفكر فان من الايات ما نقل منها عن الصحابة والمفسرين خمسة معاني وستة
وسبعة ويعلم ان جميعها غير مسموعة من النبي صلى الله عليه وسلم فانها تكون

متناهية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطاً بحسن الفهم وطول الفكر ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ومن يستجيز من اهل الطامات مثل هذه التأويلات مع علمه بانها غير مراده بالالفاظ ويزعم انه يقصد به دعوة الخلق الى الخالق يضاهي من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو في نفسه حق ولكنه لم ينطق به الشرع كمن يضع في كل مسئلة يراها حقاً حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ظلم وضلال ودخول في الوعيد المفهوم من قوله من كذب علي متعمداً فليتبوا مقعده من النار بل الشر في تاويل هذه الالفاظ اطم واعظم لانها مبطلة للثقة بالالفاظ وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعي الخلق من العلوم المحمودة الى المذمومة وكل ذلك تلبيس علماء السوء بتبديل الاسامي فان اتبعت هؤلاء اعتماداً على الاسم المشهور من غير التفات الى ما عرف في العصر الاول كنت كمن طلب الشرف بالحكمة باتباع من يسمى حكيماً في هذا العصر وذلك لغفلة عن تبديل اللفظ الخامس وهو الحكمة فان اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم حتى على الذي يدحرج القرعة على اكف السوادية في شوارع الطرق والحكمة هي التي اثنى الله

تعالى عليها فقال ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً وقال عليه السلام كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا فانظر ما الذي كانت الحكمة عبارة عنه والى ماذا نقل وقس به بقية الالفاظ واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء فان شرهم اعظم على الدين من شر الشياطين اذ الشيطان بواسطتهم يتدرج الى انتزاع الدين من قلوب الخلق ولهذا لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شر الخلق ابى وقال اللهم غفراً حتى كرروا عليه ثم قال هم علماء السوء فقد عرفت العلم المحمود والمذموم ومثار الالتباس واليك الخيرة في ان تنظر لنفسك فتقتدي بالسلف او تتدلى بحبل الغرور وتتشبه بالخلف فكل ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس وما اكب الناس عليه فاكثره مبتدع محدث وقد صح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدا فطوبى للغرباء فقيل ومن الغرباء فقال الذين يصلحون ما افسده الناس من سنتي والذين يحيون ما اماتوه من سنتي وفي خبر آخر هم المتمسكون بما انتم عليه اليوم وفي حديث آخر الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير من يبغضهم اكثر ممن يحبهم وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها ولذلك قال الثوري اذا رايت العالم كثير الاصدقاء فاعلم انه مخلط لانه ان نطق بالحق ابغضوه. بيان القدر المحمود من

حديث الدارمي بنحوه من رواية الاحوص ابن حكيم عن ابيه مرسلاً وهو ضعيف ورواه البزار في مسنده من حديث معاذ بسند ضعيف ع

حديث مسلم من حديث ابي هريرة مختصراً وهو بتمامه عند الترمذي من حديث عمرو بن عوف وحسنه ع

حديث احمد من حديث عبد الله بن عمرو وفيه ابن لهيعة ع

العلوم المحمودة اعلم ان العلم بهذا الاعتبار ثلاثة اقسام قسم
هو مذموم قليله وكثيره وقسم هو محمود قليله وكثيره وكل
ما كان اكثر كان احسن وافضل وقسم يحمد منه مقدار الكفاية
ولا يحمد الفاضل عليه والاستقصا فيه وهو مثل احوال البدن
فان منه ما يحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال ومنه ما يذم قليله وكثيره
كالقبح وسوء الخلق ومنه يحمد الاقتصاد فيه كبذل المال فان التبذير
لا يحمد فيه وهو بذل وكالشجاعة فان التهور لا يحمد وان كان من
جنس الشجاعة فكذلك العلم والقسم المذموم قليله وكثيره لا فايدة
فيه في دين ولا دنيا وفيه ضرر يغلب نفعه كعلم السحر والطلسمات
والنجوم فبعضه لا فايدة فيه اصلا وصرف العمر الذي انفس ما يملكه
الانسان اليه اضاعة واضاعة النفايس مذموم ومنه ما فيه ضرر
يربى على ما يظن انه يحصل به من قضا وطر في الدنيا فان ذلك لا
يعتد به بالاضافة الى الضرر الحاصل منه ⁘ واما القسم المحمود
الى اقصى غايات الاستقصا هو العلم بالله وبصفاته وافعاله
وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب الاخرة على الدنيا فان هذا علم
مطلوب لذاته وللتوصل به الى السعادة الاخرة وبذل المقدور فيه الى
اقصى الجهد قصور عن حد الواجب فانه البحر الذي لا يدرك غوره وانما

بلغ مقابلة

يحوم المحومون على سواحله واطرافه بقدر ما يسر لهم وما خاض
اطرافه الا الانبيا والاوليا والراسخون في العلم على اختلاف
درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله في حقهم وهذا
هو العلم المكنون الذي لا يسطر في الكتب ويعين على التنبيه له
التعلم ومشاهدة احوال علما الاخرة كما سياتي علاماتهم هذا في اول
الامر ويعين عليه في الاخر المجاهدة والرياضة وتصفية القلب
وتفريغه من علايق الدنيا والتشبه فيه بانبيا الله واوليايه ليتضح
منه لكل ساع الى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد ولكن لا غنا فيه
عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح الهداية لا مفتاح لها سواها ۞
واما العلوم التي لا يحمد منها الا مقدار مخصوص فهي العلوم التي اوردنا
في فروض الكفايات فان في كل علم منها اقتصادا هو الاقل واقتصادا
هو الوسط واستقصا ورا الاقتصاد لا مرد له الى اخر العمر فكن
احد رجلين اما مشغولا بنفسك واما متفرغا الى غيرك بعد الفراغ
من نفسك واياك ان تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك فان
كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل الا بالعلم الذي هو فرض عينك
بحسب ما تقتضيه حالك وما يتعلق منه بالاعمال الظاهرة من تعلم
الصلاة والطهارة والصوم وانما الاهم الذي اهمله الكل علم صفات

ها

القلب وما يحمد منها ويذم اذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة
من الحرص والحسد والريا والكبر والعجب واخواتها وجميع ذلك
مهلكات واهمالها مع الاشتغال بالاعمال الظاهرة يضاهي الاشتغال
بطلا ظاهر البدن عند التاذي بالجرب والدماميل والتهاون باخراج
المادة بالفصد والاسهال وحشوية العلما يشيرون بالاعمال
الظاهرة كما يشير الطرقية من الاطبا بطلا ظاهر البدن وعلما
الاخرة لا يشيرون الا بتطهير الباطن وقطع مواد الشر بافساد
منابتها وقلع مغارسها وهي في القلب وانما فزع الاكثرون الى
الاعمال الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولة اعمال الجوارح واستصعاب
اعمال القلوب كما يفزع الى طلا الظاهر من يستصعب شرب الادوية
المرة المقرة فلا يزال يتعب في الطلا ويزيد في المواد ويتضاعف به
الامراض فان كنت مريدا للاخرة وطالبا للنجاة وهاربا من هلاك
الابد فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها على ما فصلناه في ربع
المهلكات ثم يجر ذلك بك الى المقامات المحمودة المذكورة في ربع
المنجيات لا محالة فان القلب اذا فرغ من المذموم امتلا بالمحمود والارض
اذا نقيت من الحشيش نبت فيها اصناف الزرع والرياحين وان لم تفرغ
من ذلك فلا تشتغل بفروض الكفايات لا سيما وفي الخلق من قام به

فان من يهلك نفسه في طلب صلاح غيره سفيه فما اشد حماقة من دخلت
الافاعي والعقارب داخل ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع به
الذباب عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه مما لا يلاقيه من تلك الحيات
والعقارب اذا هممن به وان تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت على
ترك ظاهر الاثم وباطنه وصار ذلك ديدنا لك وعادة متيسرة
فيك وما ابعد ذلك فاشتغل بفروض الكفايات وراعي التدريج فيها
فابتد بكتاب الله ثم بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم بعلم التفس
وساير علوم القرآن من علم الناسخ والمنسوخ والمفصول والموصول
والمحكم والمتشابه وكذلك السنة ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب
من علم الفقه دون الخلاف ثم باصول الفقه وهكذا الى بقية العلم
على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك في
واحد منه طالبا للاستقصا فان العلم كثير والعمر قصير وهذه
العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها وكلما
يطلب لغيره فلا ينبغي ان ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه فاقتصر من
شايع علم اللغة على ما يفهم به كلام العرب وينطق به ومن غريبه على
غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقتصر من النحو على ما
يتعلق بالكتاب والسنة فما من علم الا وله اقتصار واقتصاد واستقصا

ونحن نشير اليها في الحديث والتفسير والفقه والكلام لتقيس بها غيرها
فالاقتصار في التفسير ما يبلغ ضعف القران في المقدار كما صنفه
علي الواحدي النيسابوري وهو الوجيز والاقتصاد ما يبلغ ثلثة اضعاف
القران كما صنفه من الوسيط وما وراء ذلك استقصا مستغنى
عنه ولا مرد له الا انتها العمر واما الحديث فالاقتصار فيه تحصيل
ما في الصحيحين بتصحيح نسخة على رجل خبير بعلم متن الحديث واما
حفظ اسامي الرجال فقد كفيت فيه بما تحمله عنك من قبلك ولك
ان تعول على كتبهم وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ولكن تحصله
تحصيلا تقدر على طلب ما تحتاج اليه عند الحاجة واما الاقتصاد
فيه فان تضيف اليه ما خرج عنهما مما ورد في المسندات الصحيحة
واما الاستقصا فما وراء ذلك الى استيعاب كل ما نقل من الضعيف
والقوي والصحيح والسقيم مع معرفة الطرق الكثيرة في النقل ومعرفة
احوال الرجال واساميهم واوصافهم واما الفقه فالاقتصار فيه ما
يحويه مختصر المزني رحمه الله وهو الذي رتبناه في خلاصة المختصر
والاقتصاد فيه ما يبلغ ثلثة امثاله وهو القدر الذي اوردناه في
الوسيط من المذهب والاستقصا ما اوردناه في البسيط الى ما وراء ذلك
من التطويلات واما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التي نقلها اهل

السنة من السلف لا غير وما وراء ذلك طلب لكشف حقايق الامور من غير
طريقته ومقصود حفظ السنة تحصل رتبة الاقتصار فيه بمعتقد مختصر وهو
القدر الذي اوردناه في كتاب قواعد العقايد من جملة هذه الكتب والاقتصاد
فيه ما يبلغ قدر مائة ورقة وهو الذي اوردناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد [د]
ويحتاج اليه لمناظرة مبتدع ومعارضة بدعته بما يفسده وينزعه عن قلب
العامي وذلك لا ينفع الا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم اما المبتدع بعد ان
يعلم من الجدل ولو شيا يسيرا فقل ما ينفع معه الكلام فانك ان افحمته لم
يترك مذهبه واحال بالقصور على نفسه وقدر ان عنده جوابا ما هو عاجز عنه [وما معه]
وانما انت ملبس بقوة المجادلة عليه فاما العامي اذا صرف عن الحق بنوع جدل
يمكن ان يرد بمثله قبل ان يشتد التعصب للاهوآء فاذا اشتقب وقع [اليه] [استدت]
الياس عنهم اذ التعصب سبب يرسخ العقايد في النفوس وهذا ايضا من افات
العلما السو فانهم يبالغون في التعصب للحق وينظرون الى المخالفين بعين الازدراء
والاستحقار لتنبعث منهم الدواعي بالمكافاة والمقابلة وتتوفر بواعثهم على
طلب نصرة الباطل ويقوى غرضهم في التمسك بما نسبوا اليه ولو جاوا من جانب
اللطف والرحمة والنصح في الخلوة لا في معرض الغضب والتحقير لانجحوا فيه ولكن لما
كان الجاه لا يقوم الا بالاستتباع ولا يستميل الاتباع مثل التعصب واللعن
والشتم للخصوم اتخذوا التعصب عادتهم والتهم وسموه ذبا عن الدين ونضالا

عن المسلمين وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة في النفوس
واما الخلافيات التي احدثت في هذه الاعصار المتاخرة وابدع فيها من
التحريرات والتصنيفات والمجادلات ما لم يعهد مثلها في السلف فاياك
وان تحوم حولها واجتنبها اجتناب السم القاتل فانه الداء العضال وهو الذي
رد الفقهاء كلهم الى طلب المنافسة والمباهاة على ما سياتيك تفصيل
غوايلها وافاتها وهذا الكلام ربما يسمع من قائله فيقال الناس اعداء ما
جهلوا ولا تظن ذلك فعلى الخبير سقطت فيه واقبل هذه النصيحة ممن
ضيع العمر فيه زمانا وزاد فيه على الاولين تصنيفا وتحقيقا وجدلا وبيانا
ثم الهمه الله رشده واطلعه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه ولا يغرنك
قول من يقول الفتوى عماد الشرع ولا يعرف علله الا بعلم الخلاف فان
علل المذهب مذكورة في المذهب والزيادة عليها مجادلات لم يعرفها الاولون
ولا الصحابة وكانوا اعلم بعلل الفتاوى من غيرهم بل هي مع انها غير مفيدة
في علم المذهب فهي ضارة مفسدة لذوق الفقه فان الذي يشهد له
حدس المفتي اذا صح ذوقه في الفقه لا يمكن تمشيته على شروط الجدل في
اكثر الامر فمن الف طبعه رسوم الجدل اذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن
عن الاذعان لذوق الفقه وانما يشتغل به من يشتغل لطلب الصيت والجاه
ويتعلل بانه يطلب علل المذهب وقد ينقضي عليه العمر ولا ينصرف همته الى علم

المذهب فكن من شياطين الجن في امان واحترز من شياطين الانس فانهم
اراحوا شياطين الجن من التعب في الاغواء والاضلال وبالجملة فالمرضي
عند العقلاء ان تقدر نفسك في العالم وحدك مع الله وبين يديك الموت
والعرض والحساب والجنة او النار وتامل فيما يعنيك فيما بين يديك
ودع عنك ما سواه والسلام وقد راى بعض الشيوخ بعض العلماء في
المنام فقال له ما خبر تلك العلوم التي كنت تجادل فيها وتناظر عليها
فبسط يده ونفخ فيه وقال طاحت كلها هباء منثورا ما انتفعت الا
بركعتين خلصتا لي في جوف الليل وفي الحديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا
عليه الا اوتوا الجدل ثم قرا ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون
وفي الحديث فاما الذين في قلوبهم زيغ الاية هم اهل الجدل الذي عنى
الله تعالى بقوله فاحذرهم وقال بعض السلف يكون في اخر الزمان
قوم يغلق عنهم باب العمل ويفتح عليهم باب الجدل وفي بعض الاخبار انكم
في زمان الهمتم فيه العمل وسياتي قوم يلهمون الجدل وفي الخبر المشهور
ابغض الخلق الى الله الالد الخصم وفي الخبر ما اوتي قوم المنطق الا منعوا
العمل

الباب الرابع في سبب

اقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل افات المناظرة والجدل وشروط
اباحتها اعلم ان الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تولاها

[margin notes:] صحه — ترمذي وابن ماجه [illegible] — متفق عليه من حديث عايشة ع — متفق عليه من حديث عايشة ع — لم اجد له اصلا ع

الخلفاء الراشدون وكانوا أئمة وعلماء بالله وفقهاء في أحكامه مستقلين
بالفتاوى في الأقضية فكانوا لا يستعينون بالفقهاء إلا نادراً في
وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة فتفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا
لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق بأحكام الخلق من الدنيا وأقبلوا على
الله بكنه اجتهادهم كما نقل من سيرهم فلما أفضت الخلافة بعدهم إلى أقوام
تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام اضطروا إلى
الاستعانة بالفقهاء وإلى استصحابهم في جميع أحوالهم لاستفتائهم في مجاري
أحكامهم وكان قد بقي من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الأول وملازم
صفو الدين ومواظب على سمت علماء السلف فكانوا إذا طلبوا هربوا وأعرضوا
واضطر الخلفاء إلى الإلحاح في طلبهم لتولية القضاء والحكومات فرأى أهل
تلك الأعصار عز العلماء وإقبال الأئمة والولاة عليهم مع إعراضهم عنهم
فاشرأبوا لطلب العلم توصلاً إلى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة فأكبوا
على علم الفتاوى وعرضوا أنفسهم على الولاة وتعرفوا إليهم وطلبوا الولايات
والصلات منهم فمنهم من حرم ومنهم من أنجح والمنجح لم يخل عن ذل الطلب
ومهانة الابتذال فأصبح الفقهاء بعد إذ كانوا مطلوبين طالبين وبعد
أن كانوا أعزة بالإعراض عن السلاطين أذلة بالإقبال عليهم إلا من وفقه
الله في كل عصر من علماء دينه وقد كان أكثر الإقبال في تلك الأعصار على علم الفتاوى

والأقضية بشدة الحاجة إليها في الولايات والحكومات ثم ظهر بعدهم
من الصدور والأمراء من يسمع مقالات الناس في قواعد العقائد ومالت
نفسه إلى سماع الحجج فيها فعلمت رغبته إلى المناظرة والمجادلة في الكلام
فأكب الناس على علم الكلام فأكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيه طرق المجادلات
واستخرجوا فنون المناقضات في المقالات وزعموا أن غرضنا الذب عن
دين الله والنضال عن السنة وقمع المبتدعة كما زعم من قبلهم أن غرضهم الاشتغال
بفتاوى الدين وتقلد أحكام المسلمين إشفاقاً على خلق الله ونصيحة لهم ثم
ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة
فيه لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات
الناشئة المفضية إلى إهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه إلى المناظرة
في الفقه وبيان الأولى من مذهب الشافعي وأبي حنيفة على الخصوص فترك
الناس الكلام وفنون العلم وانثالوا على المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي
حنيفة رضي الله عنهما على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان
وأحمد وغيرهم وزعموا أن غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل
المذهب وتمهيد أصول الفتاوى وأكثروا فيها التصانيف والاستنباطات
ورتبوا فيها أنواع المجادلات والتصنيفات وهم مستمرون عليه إلى الآن
ولسنا ندري ما الذي قدر الله فيما بعدنا من الأعصار فهذا هو الباعث على

الاكباب على الخلافيات والمناظره لا غير ولو مالت نفوس ارباب
الدنيا الى الخلاف مع امام آخر من الايمة او الى علم آخر من العلوم لمالوا
ايضا معهم ولم يسكتوا عن التعلل بان ما اشتغلوا به علم الدين وان لا
مطلب لهم سوى التقرب الى رب العالمين • بيان التلبيس في تشبيه هذه
المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف اعلم ان هؤلاء
قد يستدرجون الناس اليه بان غرضنا من المناظرة المباحثة عن الحق
ليتضح فان الحق مطلوب والتعاون على النظر وتوارد الخاطر مفيد ومؤثر
وهكذا كان عادة الصحابة في مشاوراتهم لتشاورهم في مسألة الجد
والاخوة وحد شرب الخمر ووجوب الغرم على الامام اذا اخطا كما نقل
من اجهاض امراة جنينها خوفا من عمر وكما نقل في مسايل الفرايض وغيرها
وما نقل عن الشافعي ومحمد بن الحسن ومالك وابي يوسف وغيرهم من العلما
وتطلعك على هذا التلبيس ما اذكره وهو ان التعاون على طلب الحق من الدين
ولكن له شروط وعلامات • الاول ان لا تشتغل به وهو من فروض الكفايات
من لم يتفرغ عن فروض الاعيان ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض الكفاية
وزعم ان مقصوده الحق فهو كذاب ومثاله من ترك الصلاة في نفسه وتجرد
في تحصيل الثياب ونسجها ويقول غرضي به ستر عورة من يصلي عاريا ولا
يجد الثوب فان ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن كما يزعم الفقيه ان

وقوع النوادر التي عنها البحث في الخلاف ممكن والمشتغلون بالمناظرة
مهملون لامور هي فرض عين بالاتفاق ومن توجه عليه رد وديعة في الحال
فقام وتحرم بالصلاة التي هي اقرب القربات الى الله عصى به فلا يكفي في
كون الشخص مطيعا كون فعله من جنس الطاعات ما لم يراع فيه الوقت والشرط
والترتيب • الثاني ان لا يرى فرض كفاية اهم من المناظرة فان راى ما هو
اهم عصى بفعله وكان مثاله من يرى جماعة من العطاش اشرفوا على الهلاك
وقد اهملهم الناس وهو قادر على احيايهم بان يسقيهم الما فاشتغل بتعلم
الحجامة وزعم انه من فروض الكفايات ولو خلى البلد عنها لهلك الناس فاذا قيل
في البلد جماعة من الحجامين وفيهم غنية فيقول وهذا لا يخرج هذا الفعل
عن كونه فرض كفاية فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة
الملمة بجماعة العطشى من المسلمين كحال المشتغل بالمناظرة وفي البلد فروض
كفايات مهملة لا قايم بها واما الفتوى فقد قام بها جماعة ولا يخلوا بلد
عن جملة من الفروض المهملة ولا يلتفت الفقها اليها واقربها الطب اذ لا يوجد
في اكثر البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد شهادته فيما يعول على قول الطبيب فيه
شرعا ولا يرغب احد من الفقها في الاشتغال به وكذى الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر فهي من فروض الكفايات وربما تكون المناظر في مجلس مناظرته
مشاهدا للحرير ملبوسا ومفروشا وهو ساكت ويناظر في مسألة لا يتفق

وقوعها قط وان وقع قام بها جماعة الفقها ثم يزعم انه يريد ان
يتقرب الى الله تعالى بفرض الكفاية وقد روى انس انه قيل يا رسول الله متى
يترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فقال اذا ظهر الادهان فى خياركم
والفاحشه فى شراركم وتحول الملك فى صغاركم والفقه فى اراذلكم
الثالث ان يكون المناظر مجتهدا يفتى برايه لا بمذهب الشافعى وابى حنيفه
وغيره حتى اذا ظهر له الحق فى مذهب ابى حنيفه ترك ما يوافق الشافعى
وافتى بما ظهر له كما كان يفعله الصحابة والايمة فاما من ليس له رتبة الاجتهاد
وهو حكم كل اهل العصر وانما يفتى فيما ناقلا عن مذهب صاحبه فلو
ظهر له ضعف مذهبه لم يجز له ان يتركه فاى فايدة له فى المناظره ومذهبه
معلوم وليس له الفتوى بغيره وما اشكل عليه يلزمه ان يقول لعل عند
صاحب مذهبى جوابا عن هذا فانى لست مستقلا بالاجتهاد فى
اصل الشرع ولو كانت مباحثته عن المسايل التى فيها وجهان او قولان
لصاحبه لكان اشبه فانه ربما يفتى باحدهما فيستفيد من البحث ميلا
الى احد الجانبين ولا يرى المناظرات جارية فيها قط بل ربما ترك المسله
التى فيها وجهان او قولان وطلب مسلة يكون الخلاف فيها مبتوتا
الرابع ان لا يناظر الا فى مسلة واقعة او قريبة الوقوع غالبا فان
الصحابة ما تشاوروا الا فيما تجدد من الوقايع او ما يغلب وقوعه

كما

يسال عنه صح

بلغ مقابلة

كالفرايض ولا ترى المناظرين يهتمون بانتقاد المسايل التى تعم
البلوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التى تتسع مجال الجدل كيف
ما كان الامر وربما يتركون ما يكثر وقوعه ويقولون هذه مسلة خبريه
او هى من الزوايا وليست من الطبول فمن العجايب ان يكون المطلب هو
الحق ثم يترك المسلة لانها خبريه ومدرك الحق هو الاخبار او لانها
ليست من الطبول فلا يطول فيها الكلام والمقصود فى الحق ان يقصر الكلام
ويبلغ الغاية على القرب الخامس ان تكون المناظرة فى الخلوة احب اليه
واهم من المحافل وبين اظهر الاكابر والسلاطين فان الخلوة اجمع للهم
واحرى بصفا الفكر ودرك الحق وفى حضور الجمع ما يحرك دواعى الريا
ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقا كان او مبطلا وانت
تعلم ان حرصهم على المحافل والمجامع وان الواحد يخلوا بصاحبه مدة فلا
يكلمه وربما يقترح عليه ولا يجيب فاذا ظهر مقدم او انتظم مجمع لم
يغادر فى قوس الاحتيال منزعا حتى يكون هو المتخصص بالكلام
السادس ان يكون فى طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين ان تظهر الضالة
على يده او على يد من يعاونه ويرى رفيقه معينا لا خصما ويشكره اذا
عرفه الخطا واظهر له الحق كما لو اخذ طريقا فى طلب ضالته فنبهه صاحبه
على ضالته فى موضع آخر كان يشكره ولا يذمه وكان يكرمه او يفرح به

فيها صح

وان يطول صح

طويلة صح

فهكذا كانت مشاورات الصحابة حين ردت امراه على عمر رضي الله
عنه ونبهته على الحق وهو في خطبته على ملأ من الناس فقال اصابت
امراه واخطأ الرجل وسأل رجل عليا فاجاب فقال ليس كذلك
يا امير المومنين ولكن كذا وكذا فقال اصبت واخطأت وفوق كل ذي
علم عليم واستدرك ابن مسعود على ابي موسى الاشعري فقال ابو
موسى لا تسألوني عن شيء وهذا الحبر بين اظهركم وذلك لما سئل
ابو موسى عن رجل قاتل في سبيل الله فقتل فقال هو في الجنة وكان
امير الكوفه فقال ابن مسعود اعد على الامير فلعله لم يفهم فاعيد واعاد
الجواب فقال ابن مسعود انا اقول ان قتل فاصاب الحق فهو في الجنة
فقال ابو موسى الحق ما قال فهكذا يكون انصاف طالب الحق ولو ذكر
الان مثل هذا لاقل فقيه لانكره واستبعده وقال لا يحتاج الى ان يقال
اصاب الحق فان ذلك معلوم لكل احد فانظر الى مناظري زمانك كيف
يسود وجهه اذا اتضح الحق على لسان خصمه وكيف يخجل به وكيف يجتهد
في مجاحدته باقصى قدرته وكيف يذم من افحمه طول عمره ثم لا يستحي
من تشبيه نفسه بالصحابة في تعاونهم على النظر السابع الا يمنع
معينه في النظر من الانتقال من دليل الى دليل ومن اشكال الى اشكال
فهكذا كانت مناظرات السلف ويخرج من كلامه جميع دقائق الجدل

المبتدعه فما له ولقوله هذا لا يلزمني ذكره وهذا مناقض كلامك فلا
يقبل منك فان الرجوع الى الحق ابدا يكون مناقضا للباطل ويجب قبوله
وانت ترى ان جميع المجالس تنقضي في المدافعات والمجادلات حتى يقيس
المستدل على اصل بعلة يظنها فيقال له وما الدليل على ان الحكم في
الاصل معلل بهذه العلة فيقول هذا ما ظهر لي فان ظهر لك ما هو اوضح
واولى منه فاذكره حتى انظر فيه فيصر المعترض ويقول فيه معاني سوى ما ذكرته
وقد عرفتها ولا اذكرها ولا يلزمني ذكرها ويقول المستدل عليك ابراز ما تدعيه
وراء هذا ويصر المعترض على انه لا يلزمه وتتوخى مجالس المناظره بهذا الجنس
من السؤال واشباهه ولا يعرف هذا المسكين ان قوله اني اعرف ولا اذكره
اذ لا يلزمني كذب على الشرع فانه ان كان لا يعرف معناه وانما يدعيه لتعجيز
خصمه فهو فاسق كذاب عصى الله سبحانه وتعالى وتعرض لسخطه بدعواه معرفة
هو خال عنها وان كان صادقا فقد فسق باخفائه ما عرفه من امر الشرع
وقد سأله اخوه المسلم ليفهمه وينظر فيه فان كان قويا رجع اليه وان كان
ضعيفا اظهر له ضعفه واخرجه عن ظلمة الجهل ولا خلاف ان اظهار ما علم
من علم الدين بعد السؤال عنه واجب لازم فمعنى قوله لا يلزمني اي في شرع
الجدل الذي ابدعناه بحكم التشهي والرغبة في طرق الاحتيال والمصارعة
بالكلام لا يلزمني والا فهو لازم في الشرع فانه بامتناعه عن الذكر اما كاذب

وأما فاسق فيفحص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات السلف هل سمعت
فيها ما يضاهي هذا الجنس وهل منع أحد من الانتقال من دليل إلى دليل
ومن قياس إلى أثر ومن خبر إلى آية بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس إذ
كانوا يذكرون كلما يخطر لهم كما يخطر وكانوا ينظرون فيه. الثامن
أن يناظر من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مشتغل بالعلم والغالب أنهم
يحترزون من مناظرة الفحول والأكابر خوفا من ظهور الحق على لسانهم
ويرغبون فيمن دونهم طمعا في ترويج الباطل عليهم ووراء هذا شروط دقيقة
ولكن في هذه الشروط الثمانية ما يهديك إلى من يناظر لله ومن يناظر لعلة
واعلم بالجملة أن من لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو أعدى
عدوه ولا يزال يدعوه إلى هلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره في مسائل
المجتهد فيها مصيب أو مساهم للمصيب في الأجر فهو ضحكة للشياطين
وعبرة للمخلصين فلذلك شمت الشيطان به بما غمسه فيه من ظلمات الآفات التي
نعددها ونذكر تفصيلها

بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق

اعلم وتحقق أن المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة
والإفحام وإظهار الفضل والتشوق عند الناس وقصد المباهاة والمماراة
والمباراة واستمالة وجوه الناس هي منبع جميع الأخلاق المذمومة عند
الله المحمودة عند عدو الله إبليس ونسبتها إلى الفواحش الباطنة من الكبر
والعجب والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها
نسبة شرب الخمر إلى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف والقتل
والسرقة وكما أن الذي خير بين شرب الخمر وسائر الفواحش استصغر الشرب
فأقدم عليه فدعاه ذلك إلى ارتكاب بقية الفواحش في سكره فكذلك
من غلب عليه حب الإفحام والغلبة في المناظرة وطلب الجاه والمباهاة
دعاه ذلك إلى إضمار الخبائث كلها في النفس وهيج فيه جميع الأخلاق
المذمومة وهذه الأخلاق ستأتي أدلة مذمتها من الأخبار والآيات
في ربع المهلكات ولكن نشير الآن إلى مجامع ما تهيجه المناظرة فمنها
الحسد وقد قال صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل
النار الحطب ولا ينفك المناظر عن الحسد فإنه تارة يغلب وتارة يغلب
وتارة يحمد كلامه وأخرى يحمد كلام غيره فما دام في الدنيا واحد يذكر
بقوة في العلم والنظر أو يظن أنه أحسن منه كلاما وأقوى نظرا فلا بد
وأن يحسده ويحب زوال النعم عنه وانصراف الوجوه والقلوب منه إليه
والحسد نار محرقة من بلي به فهو في العذاب الدائم في الدنيا ولعذاب الآخرة
أشد وأعظم ولذلك قال ابن عباس خذوا العلم حيث وجدتم ولا تقبلوا
قول الفقهاء بعضهم في بعض فإنهم يتغايرون كما تتغاير التيوس في الزريبة
ومنها الكبر والترفع على الناس وقد قال صلى الله عليه وسلم من تكبر وضعه

الله ومن تواضع رفعه الله وقال حكاية عن الله تعالى العظمة ازاري
والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته ولا ينفك المناظر عن التكبر
على الاقران والامثال والترفع الى فوق قدره حتى انهم ليتقاتلون على
مجلس من المجالس يتنافسون فيها في الارتفاع والانخفاض والقرب من
وسادة الصدر والبعد منه والتقدم في الدخول عند مضايق الطرق
وربما يتعلل الغبي والمكار الخداع منهم بانه يبغي صيانة عز العلم وان
المؤمن منهي عن اذلال نفسه فيعبر عن التواضع الذي اثنى الله تعالى
عليه وسائر انبيائه بالذل وعن التكبر الممقوت عند الله بعز الدين
تحريفا للاسم واضلالا للخلق به كما فعل في اسم الحكمة والعلم وغيرهما
ومنها الحقد فلا يكاد المناظر يخلو عنه وقد قال صلى الله عليه وسلم
المؤمن ليس بحقود وورد في ذم الحقد ما لا يخفى ولا ترى مناظرا يقدر
على ان لا يضمر حقدا على من يحرك راسه على كلام خصمه ويتوقف في
كلامه فلا يقابله بحسن الاصغاء بل يضطر اذا شاهد ذلك الى اضمار
الحقد وتربيته في النفس وغايته تماسكه الاخفاء بالنفاق ويترشح منه
الى الظاهر لا محالة في غالب الامر وكيف ينفك عن هذا ولا يتصور اتفاق
جميع المستمعين على ترجيح كلامه واستحسان جميع احواله في ايراده واصداره
ثم لو صدر من خصمه ادنى تسبب فيه قلة مبالاة بكلامه انغرس في صدره

حقد لا يقلعه يد الدهر الى آخر العمر ومنها الغيبة وقد شبهها الله تعالى
باكل الميتة ولا يزال المناظر مثابرا على اكل الميتة فانه لا ينفك
عن حكاية كلام خصمه ومذمته وغايته تحفظه ان يصدق عليه ولا يكذب
في الحكاية فيحكي عنه لا محالة ما يدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان
فضله وهو الغيبة فاما الكذب فبهتان وكذلك لا يقدر على ان يحفظ
لسانه عن التعرض لعرض من يعرض عن كلامه ويصغي الى خصمه ويقبل عليه
حتى ينسبه الى الجهل والحماقة وقلة الفهم والبلادة ومنها تزكية النفس
قال الله تعالى ولا تزكوا انفسكم وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال
ثناء المرء على نفسه ولا يخلو المناظر عن الثناء على نفسه بالقوة والغلبة
والتقدم بالفضل على الاقران ولا ينفك في اثناء المناظرة عن قوله
لست ممن يخفى عليه امثال هذه الامور وانا المتفنن في العلوم والمستقل
بالاصول وحفظ الاحاديث وغير ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف
وتارة للحاجة الى ترويج كلامه ومعلوم ان الصلف والتمدح مذموم شرعا
وعقلا ومنها التجسس وتتبع عورات الناس وقد قال تعالى ولا
تجسسوا والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات اقرانه وتتبع عورات خصومه
حتى انه ليخبر بورود مناظر الى بلده فيطلب من يخبر بواطن احواله
ويستخرج بالسؤال مقابحه حتى يعدها ذخيرة لنفسه في افضاحه وتخجيله

اذا مست اليه حاجته حتى انه ليستكشف عن احوال صباه وعن عيوب
بدنه فعساه يعثر على هفوة او على عيب به من قرع او غيره ثم اذا احس
بادنى غلبة من جهته عرض به ان كان متماسكا ويستحسن ذلك منه ويعد
من لطايف التشبيب ولا يمتنع من الافصاح ان كان متبجحا بالسفاهة والاستهزا
كما حكى عن اقوام من اكابر المناظرين والمعدودين من فحولهم ومنها الفرح بمسا[ة]
الناس والغم بمسارهم ومن لا يحب لاخيه المسلم ما يحب لنفسه فهو بعيد من
اخلاق المؤمنين وكل من طلب المباهاة باظهار الفضل يسره لا محالة ما
يسوء اقرانه واشكاله الذين يساهمونه في الفضل ويكون التباغض بينهم
كما بين الضرات فكما ان احدى الضرائر اذا رات صاحبتها من بعيد ارتعدت
فرايصها واصفر لونها فهكذى ترى المناظر اذا راى مناظرا يتغير لونه
ويضطرب عليه فكره وكانه شاهد شيطانا او سبعا ضاريا فاين الاستينا[س]
والاسترواح الذي كان يجري بين علما الدين عند اللقاء وما نقل عنهم
من المواخاة والتناصر والتساهم في السرا والضراء حتى قال الشافعي
العلم بين اهل العقل رحم متصل فلا ادري كيف يدعي الاقتدا بمذهبه جماعة
صار العلم بينهم عداوة قاطعة وهل يتصور ان ينتسب الالف مع طلب الغلبة
والمباهاة هيهات هيهات فناهيك بالشي شرا ان يلزمك اخلاق المنافقين
ويترفع عن اخلاق المؤمنين والمتقين ومنها النفاق ولا نحتاج الى ذكر

الشواهد في ذمه وهم مضطرون اليه فانهم يلقون الخصوم ومحبيهم
واشياعهم ولا يجدون بدا من التودد باللسان واظهار الشوق
والاعتداد بمكانهم واحوالهم ويعلم المخاطب والمخاطب وكل من يسمع ذلك
منهم ان ذلك كذب وزور ونفاق وفجور وانهم يتوادون بالالسنة
متباغضين بالقلوب نعوذ بالله منه فقد قال صلى الله عليه وسلم اذا
تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالالسن وتباغضوا بالقلوب
وتقاطعوا في الارحام لعنهم الله عند ذلك فاصمهم واعمى ابصارهم رواه الحسن
وقد صح ذلك بمشاهدة ومنها الاستكبار عن الحق وكراهيته والحرص على
المماراة فيه حتى ان ابغض شي الى المناظر ان يظهر الحق على لسان خصمه ومهما
ظهر تشمر لجحده وانكاره باقصى جهده وبذل غاية امكانه في المخادعة والمكر
والحيلة لدفعه ثم تصير المماراة عادة فيه طبيعية فلا يسمع كلاما الا وينبعث
من طبعه داعية الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه في ادلة القران والفاظ
الشرع فيضرب البعض منها بالبعض والمرا في مقابلة الباطل محذور اذ ندب
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ترك المرا بالحق على الباطل فقال من
ترك المرا وهو مبطل بنى له بيت في ربض الجنة ومن ترك المرا وهو محق بني له
بيت في اعلى الجنة وقد سوى الله تعالى بين من افترى على الله كذبا او كذب
بالحق فقال ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بالحق لما جاءه وقال

الطبراني من حديث سلمان ه باسناد ضعيف ع

الترمذي وابن ماجه من حديث انس مع اختلاف قال الترمذي حديث حسن ه ع

فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه ومنها للريا
وملاحظة الخلق والجهد في استمالة قلوبهم وصرف وجوههم والريا هو
الداء العضال الذي يدعوا الى اكثر الكباير كما سياتي في كتاب الريا
والمناظر لا يقصد الا الظهور عند الخلق واطلاق السنتهم بالثناء
عليه فهذه عشر خلال من امهات فواحش الباطنة سوى ما يتفق
لغير المتماسكين منهم من الخصام المودي الى الضرب واللكم وتخريق
الثياب والاخذ باللحى وسب الوالدين وشتم الاستاذين والقذف الصريح
فان اوليك ليسوا معدودين في زمرة المعتبرين وانما الاكابر والعقلا
منهم لا ينفكون عن هذه الخصال العشرة نعم قد يسلم بعضهم عن بعضها مع
من هو ظاهر الانحطاط عنه او ظاهر الارتفاع عليه او هو بعيد عن
بلده واسباب معيشته ولا ينفك احد مع اشكاله المقارنين له في الدرجة
ثم تتشعب من كل واحدة من هذه الخصال العشرة عشرة اخرى من الرذايل
لم نطول بذكرها تفصيل احادها مثل الانفة والغضب والبغضاء
والطمع وحب طلب المال والجاه للتمكن من الغلبة والمباهاة والاشر
والبطر وتعظيم الاغنيا والسلاطين والتردد اليهم والاخذ من حرامهم
والتجمل بالخيول والمراكب والثياب المحظورة واستحقار الناس بالفخر
والخيلاء والخوض فيما لا يعني وكثرة الكلام وخروج الخشية والخرمة

من القلب واستيلا الغفلة عليه حتى لا يدري المصلي منهم
في صلاته ما الذي يقراه ومن الذي يناجيه ولا يحس بالخشوع
من قلبه واستغراق العمر في العلوم التي تعين في المناظرة
مع انها لا تنفع في الاخرة حتى تحسين العبارة وتسجيع اللفظ
وحفظ النوادر الى غير ذلك من امور لا تحصى والمناظرون
متفاوتون فيها على حسب درجاتهم وهم على درجات شتى
ولا ينفك اعظمهم دينا واكثرهم عقلا عن جمل من مواد هذه
الاخلاق وانما غايته اخفاوها ومجاهدة النفس فيها
واعلم ان هذه الرذايل اللازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ
ايضا اذا كان قصده طلب القبول واقامة الجاه ونيل
الثروة والعز وهي لازمة ايضا للمشتغل بعلم المذهب والفتاوى
اذا كان قصده طلب القضا وولاية الاوقاف والتقدم على
الاقران وبالجملة هي لازمة لكل من يطلب العلم لغير ثواب الاخرة
فالعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاك الابد او يحييه حياة
الابد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اشد الناس
عذابا يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه فلقد ضره مع
انه لم ينفعه وليته نجى منه راسا براس وهيهات فخطر

وهم درجات
خ

و ي

بلغ مقا

العلم عظيم وطالبه طالب الملك المؤبد والنعيم السرمد
فلا ينفك عن الملك او الهلك وهو كطالب الملك في الدنيا
فان لم يتفق الاصابة لم يطمع في سلامة الارذال بل لا بد من
لزوم افضح الاحوال فان قلت في الرخصة في المناظرة فائدة
وهو ترغيب الناس في طلب العلم اذ لولا حب الرياسة
لاندرست العلوم فقد صدقت فيما ذكرته من وجه ولكنه
غير مفيد اذ لولا الوعد بالكرة والصولجان واللعب بالعصافير
ما رغب الصبيان في المكتب وذلك لا يدل على ان الرغبة فيه
محمودة ولولا حب الرياسة لاندرس العلم ولا يدل على ان طالب
الرياسة ناج بل هو من الذين قال صلى الله عليه وسلم ان الله
ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وقال ان الله تعالى ليؤيد
هذا الدين بالرجل الفاجر فطالب الرياسة في نفسه هالك
وقد يصلح بسببه غيره ان كان يدعو الى ترك الدنيا وذلك فيمن
كان حاله في ظاهر الامر حال علماء السلف ولكنه يضمر قصد الجاه
فمثاله الشمع الذي يحترق في نفسه ويستضيء به غيره فصلاح
غيره في هلاكه فاما اذا كان يدعو الى طلب الدنيا فمثاله
النار المحرقة التي تاكل نفسها وغيرها فالعلماء ثلاثة اما مهلك نفسه

وغيره وهم الداعون الى الله عن الدنيا ظاهرا واما مهلك
نفسه مسعد غيره وهو الذي يدعو الى الآخرة ورفض
الدنيا في ظاهره وقصده في الباطن قبول الخلق واقامة الجاه
فانظر من اي الاقسام انت ومن اشتغلت بالاعتداد له ولا تظنن
ان الله يقبل غير الخالص لوجهه من العلم والعمل وسياتيك في
كتاب الرياء بل في جميع ربع المهلكات ما ينفي عنك الريبة
فيه ان شاء الله

الباب الخامس

في آداب المتعلم والمعلم اما المتعلم فآدابه ووظائفه كثيرة
ولكن ينظم تفاريقها عشر جمل الوظيفة الاولى تقديم طهارة النفس
عن رذائل الاخلاق ومذموم الاوصاف اذ العلم عبادة القلب
وصلاة السر وقربة الباطن الى الله وكما لا تصح الصلاة التي هي
وظيفة الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث
فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته
عن خبائث الاخلاق وانجاس الاوصاف قال النبي صلى الله عليه وسلم
بني الدين على النظافة وهو كذلك باطنا وظاهرا وقال الله تعالى
انما المشركون نجس تنبيها للعقول على ان الطهارة والنجاسة غير مقصورة
على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول

وهم المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون عليها واما مسعد نفسه وغيره صح

الذي

لم اجده هكذا وفي الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة تنظفوا فان الاسلام نظيف وللطبراني في الاوسط بسند ضعيف جدا من حديث ابن مسعود النظافة تدعو الى الايمان ع

البدن نجس الجوهر اي باطنه ملطخ بالخبائث والنجاسة عبارة عما
يجتنب ويطلب البعد منه وخبائث صفات الباطن اهم
بالاجتناب فانها مع خبثها في الحال مهلكات في المآل
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا تدخل الملائكة بيتا
فيه كلب والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط اثرهم ومحل
استقرارهم والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد
والكبر والعجب واخواتها كلاب نابحة فانى تدخله الملائكة
وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله في القلب الا
بواسطة الملائكة وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء
حجاب او يرسل رسولا وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم الى القلوب
انما يتولاها الملائكة الموكلون بها وهم المقدسون المطهرون
المبرأون عن المذمومات فلا يلاحظون الا طيبا ولا يعمرون
بما عندهم من خزائن رحمة الله الا طاهرا ولست اقول المراد
بلفظ البيت هو القلب وبالكلب هو الغضب والصفات ولكني اقول هو
تنبيه عليه وفرق بين تعبير الظواهر الى البواطن وبين التنبيه
للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر ففارق الباطنية
بهذه الدقيقة فان هذا طريق الاعتبار وهو مسلك العلماء

والابرار اذ معنى الاعتبار ان يعبر مما ذكر الى غيره ولا يقتصر عليه كما
يرى العاقل مصيبة لغيره فيكون له فيها عبرة بان يعبر منها الى التنبه
لكونه ايضا غرضا للمصائب وكون الدنيا بصدد الانقلاب فعبوره الى
نفسه ومن نفسه الى اصل الدنيا عبرة محمودة فاعبر انت ايضا من
البيت الذي هو بناء الخلق الى القلب الذي هو بيت من بناء الله سبحانه
ومن الكلب الذي ذم لصفته لا لصورته وهو ما فيه من سبعية ونجاسة
الى الروح الكلبية وهو السبعية، واعلم ان القلب المشحون بالغضب والشره
الى الدنيا والتكالب عليها والحرص على التمزيق لاعراض الناس كلب في
المعنى وقلب في الصورة ونور البصيرة يلاحظ المعاني دون الصور
والصور في هذا العالم غالبة على المعاني والمعاني باطنة فيها وفي الآخرة
تتبع الصور المعاني وتغلب المعاني فلذلك يحشر كل شخص على صورته
المعنوية فيحشر الممزق لاعراض الناس كلبا ضاريا والشره باموالهم ذئبا
والمتكبر عليهم في صورة نمر وطالب الرياسة في صورة اسد وقد
وردت بذلك الاخبار وشهد به الاعتبار عند ذوي البصائر والابصار
فان قلت كم من طالب ردي الاخلاق حصل العلوم فهيهات ما ابعده
عن العلم الحقيقي النافع في الآخرة الجالب للسعادة فان من اوائل ذلك
العلم ان يظهر له ان المعاصي سموم مهلكة وهل رأيت من يتناول شيئا

مع علمه بكونه سماً انما الذي يسمعه من المترسمين حديث يلفقونه
ويرددونه بالسنتهم مره ويرددونه بقلوبهم اخرى وليس ذلك من العلم
في شي قال ابن مسعود ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم نور يقذف في
القلب وقال بعضهم انما العلم الخشية اذ قال تعالى انما يخشى الله
من عباده العلما وكانه اشاره الى اخص ثمرات العلم ولذلك قال بعض
المحققين معنى قولهم تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم ان يكون الا لله ان العلم ابى
وامتنع علينا فلم ينكشف لنا حقيقته وانما حصل لنا حديثه والفاظه
فان قلت اني ارى جماعه من الفقها المحققين برزوا في الفروع والاصول
وعدوا من جملة الفحول واخلاقهم ذميمة لم تطهر وانبقاك (فاقول) اذا
عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الاخره استبان لك انما اشتغلوا به
قليل الغنا من حيث كونه علما وانما غناوه من حيث كونه عملا لله اذا
قصد به التقرب الى الله وقد سبق الى هذا اشارة وسياتيك فيه مزيد
بيان (وايضاح) الوظيفة الثانية ان يقلل علايقه من اشتغال الدنيا ويبعد
عن الاهل والوطن فان العلايق شاغله وصارفه وما جعل الله لرجل
من قلبين في جوفه ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقايق
ولذلك قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا اعطيته
كلك فانت من اعطايه اياك بعضه على خطر والفكرة المتوزعة على امور

متفرقة كجدول تفرق ماوه فنشفت الارض بعضه واختطف الهواء
بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ المزدرع • الوظيفة الثالثة
الا يتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم بل يلقي اليه زمام امره (اصلح)
بالكلية في كل تفصيل ويذعن لنصحه اذعان المريض الجاهل للطبيب
المشفق الحاذق وينبغي ان يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف
بخدمته قال الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت له بغلة ليركبها
فجا ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله فقال
ابن عباس هكذا امرنا ان نفعل بالعلماء والكبراء فقبل زيد بن ثابت يده
وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم ليس من
اخلاق المومن التملق الا في طلب العلم فلا ينبغي للطالب ان يتكبر على العلم
ومن تكبره على العلم ان يستنكف عن الاستفادة الا من المرموقين المشهور (بن)
وهو عين الحماقة فان العلم سبب النجاة والسعادة ومن طلب مهربا من
سبع ضاري يفترسه لا يفرق بين ان يرشده الى المهرب مشهور او خامل
وضراوة سباع النار بالجهال بالله اشد من ضراوة كل سبع فالحكمة
ضالة المومن يغتنمها حيث يظفر بها ويتقلد المنة لمن ساقها اليه كاينا
من كان ولذلك قيل العلم حرب للمتعالي كالسيل حرب للمكان العالي (للفتى صح)
فلا ينال العلم الا بالتواضع والقاء السمع قال تعالى ان في ذلك

ابن عدي من حديث معاذ وابي امامة باسنادين ضعيفين ع

لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ومعنى كونه ذا قلب
ان يكون قابلا للعلم فهما ثم لا تعينه القدرة على الفهم حتى يلقى السمع
وهو شهيد حاضر القلب يستقبل كل ما يلقى اليه بحسن الاصغاء
والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة فليكن المتعلم لمعلمه كارض دمثة
نالت مطرا غزيرا فتشربت بجميع اجزائها واذعنت بالكلية لقبولها (لقبوله خ)
ومهما اشار عليه المعلم بطريق في التعلم فليقلده وليدع رايه
فان خطا مرشده انفع له من صوابه في نفسه اذ التجربة تطلع على
دقائق يستغرب سماعها مع انه يعظم نفعها فكم من مريض محرور
يعالجه الطبيب في بعض اوقاته بالحرارة ليزيد في قوته الى حد يحتمل
صدمة العلاج فيتعجب منه من لا خبرة له وقد نبه الله تعالى بقصة
الخضر وموسى صلوات الله عليهما حيث قال الخضر انك لن تستطيع
معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ثم شرط عليه السكوت
والتسليم فقال فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا
ثم لم يصبر ولم يزل في مراودته الى ان كان ذلك سبب الفراق بينهما
وبالجملة كل متعلم استبقى لنفسه رايا واختيارا وراء اختيار
المعلم فاحكم عليه بالاخفاق والخسران فان قلت فقد قال الله تعالى
فاسئلوا اهل الذكر فالسؤال مامور به فاعلم انه كذلك ولكن فيما ياذن

المعلم في السؤال عنه فان السؤال عما لم تبلغ رتبتك الى فهمه مذموم
ولذلك منع الخضر موسى عن السؤال اي دع السؤال قبل اوانه فالمعلم
اعلم بما انت اهله وباوان الكشف وما لم يدخل اوان الكشف في كل
درجة من مراقي الدرجات لا يدخل اوان السؤال وقد قال علي رضي الله عنه
ان من حق العالم ان لا تكثر عليه بالسؤال ولا تعنته في الجواب ولا تلح
عليه اذا كسل ولا تاخذ بثوبه اذا نهض ولا تفشي له سرا ولا تغتابن عنده
احدا ولا تطلبن عثرته وان زل قبلت معذرته وعليك ان توقره وتعظمه
لله ما دام يحفظ امر الله ولا تجلس امامه وان كانت له حاجة سبقت (القوم)
الى خدمته ؛ الوظيفة الرابعة ان يحترز الخائض في العلم في مبدا الامر عن
الاصغاء الى اختلاف الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا او
علوم الآخرة فان ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رايه ويؤيسه
عن الادراك والاطلاع بل ينبغي ان يتقن اولا الطريقة الواحدة المرضية
عند استاذه ثم بعد ذلك يصغي الى المذاهب والشبه وان لم يكن استاذه
مستقلا باختيار راي واحد وانما عادته نقل المذاهب وما قيل فيها
فليحترز منه فان اضلاله اكثر من ارشاده ولا يصلح الاعمى لقود العميان
وارشادهم ومن هذا حاله فهو بعد في عمى الحيرة وتيه الجهل ومنع المبتدي
عن الشبه يضاهي منع الحديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار

وندب القوي الى النظر في الاختلافات نصيا هو حث القوي على مخالطة الكفار ولذلك يمنع العاجز عن التهجم على صف الكفار ويندب الشجاع له ومن الغفلة عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء ان الاقتدا بالاقويا فيما نقل عنهم من المسامحات جايز ولم يدرك ان وظايف الاقويا تخالف وظايف الضعفا ولذلك قال بعضهم من راى في البداية صار صديقا ومن راى في النهاية صار زنديقا اذ النهاية ترد الاعمال الى الباطن وتسكن الجوارح الا عن رواتب الفرايض فيتراى الى الناظر انه بطاله وكسل واهمال وهيهات فذلك مرابطة القلب في عين الشهود والحضور وملازمة للذكر الذي هو افضل الاعمال على الدوام وتشبيه الضعيف بالقوي فيما يرى من ظاهره انه هفوة يضاهي اعتذار من يلقي نجاسة يسيرة في كوز ما فان اضعاف هذه النجاسات قد يلقى في البحر والبحر اعظم من الكوز فما جاز للبحر فهو للكوز اجوز ولا يدري المسكين ان البحر بقوته يحيل النجاسة ماء فتنقلب النجاسة باستيلايه الى صفته والقليل تغلب الكوز وتحيله الى صفته وبمثل هذا جوز للنبي عليه السلام ما لم يجوز لغيره حتى ابيح له تسع نسوة اذ كان له من القوة ما يتعدى منه صفة العدل الى نسايه وان كثرن واما غيره فلا يقدر على العدل بل يتعدى ما بينهن من الضرار

اليه حتى يتخذ الى معصية الله في طلب رضاهن فما افلح من قاس الملايكه بالحدادين. الوظيفة الخامسة الا يدع طالب العلوم فنا من العلوم المحمودة ولا نوعا من انواعه الا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته ثم ان ساعده العمر طلب التبحر فيه والا اشتغل بالاهم فاستوفاه وتطرف من البقيه فان العلوم متعاونه وبعضها مرتبطه بالبعض ويستفيد منه في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس اعدا ما جهلوا قال تعالى واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم. فقال الشاعر

ومن يك ذا فم مر مريض ٭ يجد مرا به الماء الزلالا

فالعلوم على درجاتها اما سالكه بالعبد الى الله او معينه على السلوك نوعا من الاعانه ولها منازل مرتبه في القرب والبعد من المقصود والقوام بها حفظه كحفظ الرباطات والثغور ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته اجر في الاخرة اذا قصد به وجه الله تعالى. الوظيفة السادسة ان العمر اذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالبا فالحزم ان ياخذ من كل شي احسنه ويكتفي منه بشمه ويصرف جمام قوته في الميسور من علمه الى استكمال العلم الذي هو اشرف العلوم وهو علم الاخرة اعني قسمي المعاملة والمكاشفة فغاية المعامله

المكاشفه وغاية المكاشفه معرفة الله ولست اعني به الاعتقاد الذي
يلقفه العامي وراثة او تلقفا ولا طريق تحرير الكلام والمجادله في تحصين ذلك
عن مراوغات الخصوم كما هو غاية المتكلم بل ذلك نوع يقين هو ثمرة
نور يقذفه الله في قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبايث حتى ينتهي الى
رتبة ايمان ابي بكر الصديق رضي الله عنه الذي لو وزن بايمان العالمين
لرجح كما شهد له به سيد البشر صلى الله عليه وسلم فما عندي ان ما يعتقد
العامي ويرتبه المتكلم الذي لا يزيد على العامي الا في الكلام ولاجله
سميت صناعته كلاما كان يعجز عنه عمر وعلي وساير الصحابة حتى كان
يفضلهم ابو بكر بالسر الذي وقر في صدره والعجب ممن يسمع مثل هذه
الاقوال من صاحب الشرع صلوات الله عليه ثم يزدري ما يسمعه على وفقه
ويزعم انه من ترهات الصوفيه فان ذلك غير معقول فينبغي ان يتئد في
هذا فعنده ضيعت راس المال وكن حريصا على معرفة ذلك السر الخارج
عن بضاعة الفقها والمتكلمين فلا يرشدك اليه الا حرصك في الطلب
وعلى الجملة فاشرف العلوم وغايتها معرفة الله وهو بحر لا يدرك منتهى
غوره واقصى درجات البشر فيه رتبة الانبيا ثم الاوليا ثم الذين يلونهم
وقد روي انه راى صورة حكيمين من الحكما المتعبدين في مسجد وفي يد
احدهما رقعة وفيها ان احسنت كل شي فلا تظنن انك احسنت شيا حتى

تعرف الله تعالى وتعلم انه مسبب الاسباب وموجد الاشيا ومدبر
الامر كنت قبل ان اعرف الله سبحانه اشرب واظماء حتى اذا عرفته
رويت بلا شرب ۝ الوظيفة السابعة وان تعرف السبب الذي
يدرك به شرف العلوم وان ذلك يراد به شيان احدهما شرف الثمره
والثاني وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب فان
ثمرة احدهما الحياة الابديه وثمرة الاخرى الحياة الفانية فيكون
علم الدين اشرف ومثل علم الحساب وعلم النجوم فان الحساب اشرف
لوثاقة ادلته وقوتها واذا نسب الحساب الى الطب كان الطب اشرف
باعتبار ثمرته والحساب اشرف باعتبار ادلته وملاحظة الثمرة اولى
ولذلك كان الطب اشرف وان كان اكثره بالتخمين ولهذا تبين ان اشرف
العلوم العلم بالله وملايكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل
الى هذه العلوم واياك وان ترغب الا فيه وتحرص الا عليه ۝ الوظيفة
الثامنة ان يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة
وفي المال القرب من الله سبحانه والترقي الى جوار الملا الاعلى من الملايكة
والمقربين ولا يقصد به الرياسة والمال ومماراة السفها ومباهاة
الاقران واذا كان هذا مقصده طلب لا محالة الاقرب الى مقصوده وهو
علم الاخرة ومع هذا فلا ينبغي ان ينظر بعين الحقارة الى ساير العلوم

اعنى علم الفتاوى وعلم النحو واللغة المتعلقه بالكتاب والسنه
وغير ذلك مما اوردناه فى المقدمات والمتممات من ضروب العلوم
التى هى فرض كفايه ولا يفهمن من غلونا فى الثنا على علم الاخرة
تهجين هذه العلوم فالمتكفلون بالعلوم كالمتكفلين بالثغور
والمرابطين لها والغزاة المجاهدون فى سبيل الله ومنهم المقاتل ومنهم
الردء ومنهم الذى يسقيهم الما ومنهم الذى يحفظ دوابهم ويتعهدهم
ولا ينفك واحد منهم عن اجر اذا كان قصده اعلا كلمة الله دون
حيازة الغنايم فكذلك العلما قال الله تعالى يرفع الله الذين امنوا
منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال هم درجات عند الله ٥
والفضيله نسبيه واستحقارنا الصيارفه عند قياسهم بالملوك
لا يدل على حقارتهم اذا قيسوا بالكناسين ولا تظنن ان ما نزل عن الرتبه
القصوى فيتساقط القدر بل الرتبة العليا للانبيا ثم الاوليا
ثم العلما الراسخين ثم الصالحين على تفاوت درجاتهم وبالجمله من يعمل
مثقال ذرة خيرا يره ومن قصد الله بالعلم اى علم كان نفعه ورفعه
لا محاله ٥ الوظيفه التاسعه ان يعلم نسبة العلوم الى المقصد
كيلا يوثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره ومعنى المهم ما
يهمك ولا يهمك الا شانك فى الدنيا والاخرة واذا لم يمكن الجمع بين

فهو ساقط

ملاذ الدنيا ونعيم الاخرة كما نطق به القران وشهد له من نور
البصاير ما يجرى مجرى العيان فالاهم ما يبقى ابد الاباد وعند ذلك
تصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والاعمال سعيا الى المقصد ولا
مقصد الا لقا الله ففيه النعيم كله وان كان لا يعرف فى هذا
العالم قدره الا الاقلون والعلوم بالاضافه الى سعادة لقا الله
والنظر الى وجهه الكريم اعنى النظر الذى طلبه الانبيا وفهموه دون
ما يسبق الى فهم العوام والمتكلمين على ثلث مراتب تفهمها بالموازنه
بمثال وهو ان العبد الذى علق عتقه وتمكينه من الملك على الحج وقيل
له ان حججت وتممت وصلت الى العتق والملك جميعا وان ابتدات
بطريق الحج والاستعداد له وعاقك فى الطريق مانع ضرورى فلك
العتق والخلاص من شقا الرق فقط دون سعادة الملك فله ثلثه
اصناف من الشغل الاول تهيئه الاسباب لناقه وخرز الراويه
واعداد الزاد والراحله والاخر السلوك ومفارقه الوطن بالتوجه
الى الكعبه منزلا بعد منزل والثالث الاشتغال باعمال الحج
ركنا بعد ركن ثم بعد الفروغ عن هيئه الاحرام وطواف الوداع
استحق التعرض للملك والسلطنه وله فى كل مقام منازل من اول
الاسباب الى اخرها ومن اول سلوك البوادى الى اخره ومن اول اركان

اعداد

الحج الى اخره وليس قرب من ابتدا باركان الحج من السعاده كقرب من
هو بعد في اعداد الزاد والراحلة ولا كقرب من ابتدا بالسلوك
بل اقرب منه فالعلوم ايضا ثلثة اقسام قسم يجري مجرى اعداد
الزاد والراحله وشرا الناقه وهو علم الطب والفقه وما يتعلق
بمصالح البدن في الدنيا وقسم يجري مجرى سلوك البوادي وقطع
العقبات وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع تلك
العقبات الشامخة التي عجز عنها الاولون والاخرون الا الموفقون
فهذا سلوك للطريق وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطريق
ومنازله وكما لا يغني علم المنازل وطرق البوادي دون سلوكها
لا يغني علم تهذيب الاخلاق دون مباشرة التهذيب لكن المباشرة
دون العلم غير ممكن وقسم ثالث يجري مجرى نفس الحج واركانه
وهو العلم بالله وصفاته وملايكته وافعاله وجميع ما ذكرناه
في تراجم علم المكاشفة وهاهنا نجاة وفوز بالسعادة والنجاة
حاصل لكل سالك للطريق اذا كان غرضه المقصد وهو السلامة
فاما الفوز بالسعادة لا ينالها الا العارفون فهم المقربون
المنعمون في جوار الله بالروح والريحان وجنة النعيم واما الممنوعون
دون ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة كما قال الله تعالى فاما

ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان
من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين فكل من توجه
الى المقصد ولم ينتهض له او انتهض الى جهته لا على قصد الامتثال
والعبودية بل لغرض عاجل فهو من اصحاب الشمال ومن الضالين فله نزل
من حميم وتصلية جحيم واعلم ان هذا هو حق اليقين عند العلما الراسخين
اعني انهم ادركوه بمشاهدة من الباطن اقوى واجلى من مشاهدة الابصار
وترقوا فيه عن حد التقليد بمجرد السماع وحالهم حال من اخبر فصدق ثم
شاهد فتحقق وحال غيرهم حال من قبل بحسن التصديق والايمان ولم
يحظ بالمشاهدة والعيان فالسعادة ورا علم المكاشفة وعلم المكاشفة
وراء المعاملة والمعاملة التي هي سلوك طريق الاخرة وقطع عقبات الصفات
وسلوك طريق محو الصفات المذمومة وورا علم الصفات وعلم طريق
المعالجات وكيفية السلوك وذلك ورا سلامة البدن ومساعدة
اسباب الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذي يتوسل
به الى الملبس والمطعم والمسكن وهو منوط بالسلطان وقانونه في
ضبط الناس على نهج العدل والسياسة في ناصية الفقيه واما اسباب
الصحة ففي ناصية الطبيب ومن قال العلم علمان علم الاديان وعلم الابدان
واشار الى الفقه اراد به العلوم الظاهرة الشايعة لا العلوم العزيزة

الباطنة فان قلت فلم شبهت علم الفقه والطب باعداد الزاد
والراحلة فاعلم ان الساعي الى الله لينال قربه هو القلب دون
البدن ولست اعني بالقلب اللحم المحسوس بل هو سر من اسرار الله
لا يدركه الحس ولطيفة من لطايفه تارة يعبر عنه بالروح واخرى
بالنفس المطمئنة والشرع يعبر عنه بالقلب لانه المطية الاولى
لذلك السر وبواسطته صار جميع البدن مطية وآلة لتلك
اللطيفة وكشف الغطا عن ذلك السر من علم المكاشفة وهو مضنون
به بل لا رخصة في ذكره وغاية الماذون ان يقال هو جوهر نفيس
ودر عزيز اشرف من هذه الاجرام المرئية وانما هو امر الاهي كما
قال تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وكل المخلوقات
منسوبة الى الله ولكن نسبته اشرف من نسبة ساير اعضاء البدن فلله
الخلق والامر جميعا والامر اعلى من الخلق وهذه الجوهرة النفيسة
الحاملة لامانة الله تعالى المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والارض
اذ ابين ان يحملنها واشفقن منها من عالم الامر ولا يفهم من هذا تعريضا
بقدمه فالقايل بقدم الارواح مغرور جاهل لا يدري ما يقول ولنقبض
عنان البيان عن هذا الفن فهو وراء ما نحن بصدده والمقصود ان هذه
اللطيفة هي الساعية الى قرب الرب لانه من امر الرب فمنه مصدره

واليه مرجعه واما البدن فمطيته التي يركبها ويسعى بواسطتها فالبدن
لها في طريق الله كالناقة للبدن في طريق الحج وكالراوية الحاوية للماء
الذي يفتقر اليه البدن فكل علم مقصده مصلحة البدن فهو من
جملة مصالح المطية ولا يخفى ان الطب كذلك فانه قد يحتاج اليه
في حفظ الصحة على البدن ولو كان الانسان وحده لاحتاج اليه
والفقه يفارقه في انه لو كان الانسان وحده ربما كان يستغني عنه
ولكنه خلق على وجه لا يمكنه ان يعيش وحده اذ لا يستقل بالسعي في
تحصيل طعامه بالحراثة والزرع والطبخ وفي تحصيل الملبس والمسكن
وفي اعداد الآلات لذلك كله فاضطر الى المخالطة والاستعانة ومهما
اختلط الناس وثارت شهواتهم تجاذبوا اسباب الشهوات وتنازعوا
وتقاتلوا وحصل من قتالهم هلاكهم بسبب التنافس من خارج كما
تحصل هلاكهم بسبب تضاد الاخلاط من داخل وبالطب تحفظ الاعتدال
في الاخلاط المتنازعة من داخل وبالسياسة والعدل تحفظ الاعتدال
في التنافس من خارج وعلم طريق الاعتدال في الاخلاط طب وعلم
طريق اعتدال الاحوال من الناس في المعاملات والافعال فقه
وكل ذلك لحفظ البدن الذي هو مطيته فالمتجرد لعلم الفقه او الطب
اذا لم يجاهد نفسه ولم يصلح قلبه كالمتجرد لشرى الناقة وعلفها وشرى

الراوية وتحرزها اذ لم يسلك بادية الحج والمستغرق عمره في دقايق الكلمات
التي تجري في مجادلات الفقه كالمستغرق عمره في دقايق الاسباب التي بها
تستحكم الخيوط التي تحرز راوية الحج ونسبة هولاء من السالك لطريق اصلاح
الطب او الواصل الى علم المكاشفة كنسبة اوليك الى سالكي طريق الحج
او ملابسي اركانه فتأمل هذا واقبل النصيحة مجانا ممن قام عليه ذلك غاليا
ولم يصل اليه الا بعد جهد شديد وجراة تامة على مباينة الخاصة والعامة
في النزوع من تقليدهم بمجرد الشهوة فهذا القدر كاف في وظايف المتعلم

بيان وظايف المرشد المعلم اعلم ان للانسان في علمه اربعة احوال كما له
في اقتناء الاموال اذ لصاحب المال حال استفادة فيكون مكتسبا وحال
ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا وحال انفاق على نفسه فيكون به منتفعا
وحال بذل لغيره فيكون به سخيا متفضلا وهو اشرف احواله فكذلك العلم
يقتنى كالمال فله حال طلب واكتساب وحال تحصيل يغني عن السوال
وحال استبصار وهو التفكر في المحصل والتمتع به وحال تبصير
وهو اشرف الاحوال فمن علم وعمل وعلم فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت
السماء فانه كالشمس تضي لغيرها وهي مضية وكالمسك الذي يطيب وهو
طيب والذي يعلم ولا يعمل به كالدفتر الذي يفيد غيره وهو خال عن العلم
والمسن الذي يشحذ غيره ولا يقطع والابرة التي تكسو غيرها وهي
عارية وذبالة المصباح تضي لغيرها وهي تحترق كما قيل
ما هو الا ذبالة وقدت تضي للناس وهي تحترق ومهما اشتغل
بالتعليم فقد تقلد امرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ ادابه ووظايفه
الوظيفة الاولى الشفقة على المتعلمين وان يجريهم مجرى بنيه قال النبي
صلى الله عليه وسلم انما انا لكم مثل الوالد لولده فان قصده
انقاذهم من نار الاخرة وهو اهم من انقاذ الابوين ولدهما من نار الدنيا
ولذلك صار حق المعلم اعظم من حق الوالدين فان الوالد سبب الوجود
الحاضر والحياة الفانية ولولا المعلم لانساق ما حصل من جهة الاب الى
الهلاك الدايم وانما المعلم هو المفيد للحياة الاخروية الدايمة اعني معلم
علوم الاخرة او علوم الدنيا على قصد الاخرة لا على قصد الدنيا فاما
التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك واهلاك نعوذ بالله منه وكما ان حق
ابناء الرجل الواحد ان يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها فكذلك حق تلامذة الرجل
الواحد التحاب ولا يكون الا كذلك ان كان مقصودهم الاخرة ولا يكون
الا التحاسد والتباغض ان كان مقصدهم الدنيا فان العلماء وابناء الاخرة
مسافرون الى الله وسالكون اليه الطريق فالدنيا وسنوها وشهورها منازل
الطريق والترافق في الطريق بين المسافرين الى الامصار سبب التوادد والتحاب
فكيف السفر الى الفردوس الاعلى والترافق في طريقه ولا ضيق في سعادات

الهم

عن النوال

ابو داود والنسائي وابن ماجة
وابن حبان من حديث ابي هريرة
ع

الاخرة فلذلك لا يكون بين ابناء الاخرة تنازع ولا سعة في سعادات الدنيا
فلذلك لا ينفك عن ضيق التزاحم فالعادلون الى طلب الرياسة بالعلوم
خارجون عن موجب قوله انما المؤمنون اخوة وداخلون في مقتضى قوله
تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين • الوظيفة الثانية
ان يقتدي بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلم فلا يطلب على افاضة
العلم اجرا ولا يقصد جزاء ولا شكورا بل يعلم لوجه الله طلبا للتقرب
اليه ولا يرى لنفسه منة عليهم وان كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل
لهم اذ هذبوا قلوبهم لان تتقرب الى الله بزراعة العلوم فيها كالذي يعير
الارض لتزرع فيها لنفسك زراعة منفعتك بها تزيد على منفعة صاحب
الارض فكيف تقلده منة وثوابك في التعليم اكثر من ثواب المتعلم عند الله
ولولا المتعلم ما نلت هذا الثواب فلا يطلب الاجر الا من الله تعالى كما قال
تعالى قل لا اسألكم عليه اجرا فان المال وما في الدنيا خادم البدن والبدن
مركب النفس ومطيتها والمخدوم هو العلم اذ به شرف النفس فمن طلب بالعلم
المال كان كمن مسح اسفل مداسه ونعله بمحاسنه لينظفه فجعل المخدوم
خادما والخادم مخدوما وذلك هو الانتكاس على ام الراس ومثله
هو الذي يقوم في العرض الاكبر مع المجرمين ناكسي رؤوسهم عند ربهم وعلى
الجملة فالفضل والمنة للمعلم وانظر كيف انتهى امر الذين يزعمون ان مقصودهم

التقرب الى الله بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيهما وفي
غيرهما فانهم يبذلون المال والجاه ويتحملون اصناف الذل في خدمة
السلاطين لاستطلاق الجرايات ولو تركوا ذلك لتركوا ولم يختلف
اليهم ثم يتوقع المتعلم من المعلم ان يقوم له في كل نائبة وينصر وليه
ويعادي عدوه وينتهض حمارا له في حاجاته ومسخرا بين يديه في اوطاره
فان قصر في حقه ثار عليه وصار من اعدى اعدائه فاخسس بعالم يرضى
لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحيي من ان يقول غرضي من التدريس
نشر العلم تقربا الى الله ونصرة لدينه فانظر الى الامارات حتى ترى
صنوف الاغترارات • الوظيفة الثالثة ان لا يدخر من نصح المتعلم
شيئا وذلك بان يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل
بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي ثم ينبهه على ان بطلب العلوم القرب من الله
تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة وتقدم تقبيح ذلك في
نفسه باقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر اكثر مما
يفسده فان علم من باطنه انه لا يطلب العلم الا للدنيا نظر الى العلم
الا للدنيا الذي يطلبه فان كان هو علم الخلاف في الفقه والجدل
في الكلام والفتاوى في الخصومات والاحكام فيمنعه من ذلك
فان هذه العلوم ليست من العلوم التي قيل فيها تعلمنا العلم لغير الله

فابى العلم ان يكون الا لله وانما ذلك علم التفسير وعلم الحديث وما
كان الاولون يشتغلون به وعلم الاخرة معرفة اخلاق النفس وكيفية
تهذيبها فاذا تعلمه الطالب وقصد به الدنيا فلا باس ان يتركه فانه
يثمر له طمعا في الوعظ والاستتباع ولكن ينتبه في اثنا الامر او
اخره اذ فيه العلوم المخوفة من الله المحقرة للدنيا المعظمة للاخرة
وذلك يوشك ان يؤدي الى الصواب بالاخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره
ويجري حب القبول والجاه مجرى الحب الذي ينثر حوالي الفخ ليقتنص به
الطير وقد فعل الله تعالى ذلك بعباده اذ خلق الشهوة ليصل الخلق
بها الى بقا النسل وخلق ايضا حب الجاه ليكون سببا لاحيا العلوم
وهذا متوقع في هذه العلوم فاما الخلاف المحض ومجادلة الكلام
ومعرفة التفريعات الغريبة فلا يزيد التجرد لها مع الاعراض عن غيرها
الا قسوة في القلب وغفلة عن الله وتماديا في الضلال وطلب الجاه الا
من تداركه الله برحمته او مزج به غيره من العلوم الدينية ولا برهان
على هذا كالتجربة والمشاهدة فانظر واعتبر واستبصر لتشاهد تحقيق
ذلك في العباد والبلاد والله المستعان وقد قيل لسفين الثوري رحمه الله
وقد راى حزينا ما بالك راك حزينا فقال صرنا متجرا لابنا الدنيا
يلزمنا احدهم حتى اذا تعلم جعل عاملا او قاضيا او قهرمانا . الوظيفة

الرابعة وهي من دقايق صناعة التعليم ان يزجر المتعلم عن سو الاخلاق
بطريق التعريض ما امكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان
التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجراة على الهجوم بالخلاف ويهيج
الحرص على الاصرار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل
معلم لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه
شي وينبهك على هذا قصة ادم وحوا وما نهيا عنه فما ذكرت القصة
معك لتكون سمرا بل لتتنبه بها على سبيل العبرة ولان التعريض ايضا
يميل النفوس الفاضلة والاذهان الذكية الى استنباط معاني
ذلك فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة في العمل به ليعلم ان ذلك مما
لا يعزب عن فطنته . الوظيفة الخامسة ان المتكفل ببعض العلوم
لا ينبغي ان يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراه كمعلم اللغة اذ
عادته تقبيح الفقه ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير
وان ذلك نقل محض وسماع فهو شان العجايز ولا نظر للعقل فيه ومعلم
الكلام ينفر عن الفقه ويقول ذلك فروع وهو كلام في حيض النسوان
واين ذلك من الكلام في صفة الرحمن فهذه اخلاق مذمومة للمعلمين
ينبغي ان تجتنب بل المتكفل بعلم واحد ينبغي لن يوسع على المتعلم طريق
التعلم في غيره وان كان متكفلا بعلوم فينبغي ان يراعي التدريج

لم اجده الا من حديث الحسن مرسلا وهو ضعيف رواه ابن شاهين ع

فى ترقيه المتعلم من رتبة الى رتبة ٥ الوظيفة السادسة ان يقتصر
بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقى اليه ما لا يبلغه عقله فينفره او
يخبط عقله اقتداء فى ذلك بسيد البشر صلوات الله عليه حيث
قال نحن معاشر الانبيا امرنا ان ننزل الناس منازلهم ونكلم الناس على
قدر عقولهم فليبث اليه الحقيقة اذا علم انه يستقل بفهمها
قال النبى صلى الله عليه وسلم ما احد يحدث الناس حديثا لا يبلغه
عقولهم الا كان فتنة على بعضهم وقال على عليه السلام واشار الى
صدره ان ها هنا علوما جمة لو وجدت لها حملة وصدق رضى الله عنه
فقلوب الابرار قبور الاسرار فلا ينبغى ان يفشى العالم كل ما يعلمه
الى كل احد هذا اذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن اهلا للانتفاع به
فكيف فيما لا يفهمه وقد قال عيسى عليه السلام لا تعلقوا الجوهر فى
اعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنزير
ولذلك قيل كل لكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان علمه حتى يسلم
منه وينتفع بك والا وقع الانكار لتفاوت المعيار وسئل بعض العلماء
عن شى فلم يجب فقال السائل اما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من كتم علما نافعا جاء يوم القيمة ملجما بلجام من نار فقال اترك اللجام
واذهب فان جاء من يفقهه فكتمته فليلجمنى وقول الله تعالى ولا تؤتوا السفهاء

اموالكم تنبيه على ان حفظ العلم ممن يفسده ويضره اولى وليس الظلم
فى اعطاء غير المستحق باقل من الظلم فى منع المستحق ٥
،، فمن منح الجهال علما اضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم ٥
الوظيفة السابعة ان المتعلم القاصر ينبغى ان يلقى اليه الجلى اللائق
به ولا يذكر له ان وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه فان ذلك يفتر
رغبته فى الجلى ويشوش قلبه ويخيل اليه البخل به عنه اذ يظن كل
واحد انه اهل علم دقيق فما من احد الا وهو راض عن الله فى كمال عقله
واشد الناس حماقة واضعفهم عقلا هو افرحهم بكمال عقله وبهذا يعلم
ان من تقيد من العوام بقيد الشرع ورسخ فى نفسه العقائد المأثورة
عن السلف من غير تشبيه ومن غير تاويل وحسن مع ذلك سريرته ولم
يحتمل عقله اكثر من ذلك فلا ينبغى ان يشوش عليه اعتقاده بل ينبغى
ان يخلى وحرفته فانه لو ذكر له تاويلات الظواهر انحل عنه قيد العوام
ولم يتيسر تقييده بقيد الخواص فيرتفع السد الذى بينه وبين المعاصى
وينقلب شيطانا مريدا يهلك نفسه وغيره بل لا ينبغى ان يخاض
بالعوام فى حقائق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات
وتعليم الامانة فى الصناعة التى هم بصددها ويملأ قلبه من الرغبة
والرهبة بالجنة والنار كما نطق به القرآن ولا يحرك عليه شبهة فانه

ربما تعلق الشبهة بقلبه ويعسر حلها فيشقى ويهلك وبالجملة
فلا ينبغي ان يفتح للعوام باب البحث فانه يعطل عليهم صناعاتهم التي
بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص • الوظيفة الثامنة ان يكون
المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله بفعله لان العلم يدرك
بالبصاير والعمل بالابصار وارباب الابصار اكثر فاذا خالف العمل العلم
منع الرشد وكل من تناول شيئا وقال للناس لا تتناولوه فانه سم
مهلك سخر الناس به واتهموه فزاد حرصهم عليه فيقولون لولا انه
اطيب الاشيا والذها لما كان يستاثر به ومثل المعلم المرشد من
المسترشد مثل النقش من الطين والعود من الظل وكيف ينتقش الطين
بما لا نقش فيه ٥ وكيف استواء الظل والعود اعوج ٥ ولذلك قيل

لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

وقال تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم ولذلك كان وزر
العالم في معاصيه اكثر اذ يزل بزلته عالم فيقتدون به ومن سن
سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها ولذلك قال علي
رضي الله عنه قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل
يغر الناس بتنسكه والعالم يغرهم بتهتكه ٥

الباب السادس في آفات العلم

وبيان علامات علماء الاخرة والعلماء السوء قد ذكرنا ما ورد من فضايل
العلم والعلماء وقد ورد في العلماء السوء تشديدات عظيمة دلت على انهم
اشد الخلق عذابا يوم القيامة فمن المهمات العظيمة معرفة العلامة
الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الاخرة ونعني بعلماء الدنيا العلماء السوء
الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل الى الجاه والمنزلة
عند اهلها قال النبي صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس عذابا
يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه ويروى عنه صلى الله عليه وسلم
انه لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا وقال ايضا العلم
علمان علم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم وعلم في القلب
فذلك العلم النافع وقال ايضا يكون في آخر الزمان عباد
جهال وعلماء فساق وقال ايضا لا تعلموا العلم لتباهوا به
العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا وجوه الناس اليكم فمن فعل
ذلك فهو في النار وقال ايضا لانا من غير الدجال اخوف عليكم
من الدجال فقيل وما ذاك فقال ايمة مضلون وقال ايضا من ازداد
علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال عيسى عليه السلام
الى متى تصفون الطريق للمدلجين وانتم مقيمون مع المتحيرين فهذا وغيره
من الاخبار تدل على عظم خطر العلم وان العالم اما متعرض لهلاك

الابد ولسعادة الابد وانه بالخوض في العلم قد حرم السلامه
ان لم يدرك السعاده واما الاثار فقد قال عمر رضي الله عنه
ان اخوف ما اخاف على هذه الامه المنافق العليم قالوا وكيف يكون
منافقا عليما قال عليم اللسان جاهل القلب والعمل وقال الحسن
لا تكن ممن يجمع علم العلما وطرايف الحكما ويجري في العمل مجرى
السفها وقال رجل لابي هريره اريد ان اتعلم العلم واخاف ان
اضيعه فقال كفى بتركك العلم اضاعة له وقيل لابرهيم بن عيينه
اي الناس اطول ندامه فقال اما في عاجل الدنيا فصانع المعروف
الى من لا يشكر واما عند الموت فعالم مفرط وقال الخليل بن احمد
الرجال اربعه رجل يدري ويدري انه يدري فذلك عالم فاتبعوه
ورجل يدري ولا يدري انه يدري فذلك نايم فايقظوه ورجل لا
يدري ويدري انه لا يدري فذلك مسترشد فعلموه ورجل لا
يدري ولا يدري انه لا يدري فذلك جاهل فارفضوه وقال الثوري
يهتف العلم بالعمل فان اجابه والا ارتحل وقال ابن المبارك لا
يزال المرء عالما ما طلب العلم فاذا ظن انه قد علم فقد جهل وقال
الفضيل اني لارحم ثلاثة عزيز قوم ذل وغنيا افتقر وعالما يلعب به
الدنيا وقال الحسن عقوبة العلما موت القلب وانشدوا

وغني قوم

٥ عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى ومن يشتري دنياه بالدين اعجب ٥
وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان العالم معذب عذابا
يطيف به اهل النار استعظاما لشدة عذابه اراد به الفاجر
وقال اسامة بن زيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها
كما يدور الحمار في الرحا فيطوف به اهل النار فيقولون ما لك فيقول
كنت امر بالخير ولا اتيه وانهى عن الشر واتيه وانما يضاعف عذاب
العالم في معصيته لانه عصى عن علم ولذلك قال تعالى ان المنافقين
في الدرك الاسفل من النار لانهم جحدوا بعد العلم وجعل اليهود شرا من النصارى
مع انهم ما جعلوا لله ولدا وقالوا انه ثالث ثلاثة ولكنهم انكروا
بعد المعرفه اذ قال تعالى يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وقال
فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وقال تعالى
في قصة بلعم بن باعورا واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ
منها حتى قال فمثله كمثل الكلب وكذلك العالم الفاجر فان بلعم اوتي
كتاب الله فاخلد الى الشهوات فشبه بالكلب اي سوا اوتي الحكمة
او لم يؤت فهو يلهث الى الشهوات وقال عيسى عليه السلام مثل
علماء السوء مثل صخرة وقعت على فم النهر لا هي تشرب الماء ولا تترك الما يخلص

معنى لم اجد بهذا اللفظ ومعنى حديث اسامة المذكور بعده ع

متفق عليه بلفظ الرجل بدل العالم ع

الحمد

الى الزرع ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها
نتن ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى فهذه الاخبار
والاثار تبين ان العالم الذى هو من ابناء الدنيا اخس حالا واشد
عذابا من الجاهل وان الفائزين المقربين هم علماء الاخرة ولهم علامات
فمنها ان لا يطلب الدنيا بعلمه فان اقل درجات العالم ان يدرك حقارة
الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها وعظم الاخرة ودوامها وصفاء
نعيمها وجلالة ملكها ويعلم انهما متضادتان وانهما كالضرتين مهما
ارضيت احديهما اسخطت الاخرى وانهما ككفتى الميزان مهما رجحت
احداهما خفت الاخرى وانهما كالمشرق والمغرب مهما قربت من احدهما بعدت
من الاخرى وانهما كقدحين واحدهما مملو فبقدر ما يصب منه فى الاخر
يفرغ الاخر فان من لا يعلم حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذاتها بالمها
ثم انصرام ما يصفو منها فهو فاسد العقل فان المشاهدة والتجربة ترشد
الى ذلك فكيف يكون من العلماء من لا عقل له ومن لا يعلم عظم امر الاخرة
ودوامها فهو كافر مسلوب الايمان فكيف يكون من العلماء من لا
ايمان له ومن لا يعلم مضادة الدنيا للاخرة وان الجمع بينهما طمع فى
غير مطمع فهو جاهل بشريعة الانبياء كلهم بل هو كافر بالقران من اوله
الى اخره فكيف يعد من زمرة العلماء ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الاخرة

على الدنيا فهو اسير الشيطان قد اهلكته شهوته وغلبت عليه
شقوته فكيف يعد من احزاب العلماء من هذه درجته ۵ وفى
اخبار داود ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا اثر شهوته على محبتى ان احرمه
لذيذ مناجاتى يا داود لا تسأل عنى عالما قد اسكرته الدنيا فيصدك
عن طريق محبتى اولئك قطاع الطريق على عبادى يا داود اذا رأيت
لى طالبا فكن له خادما يا داود من رد الى هاربا كتبته جهبذا
ومن كتبته جهبذا لم اعذبه ولذلك قال الحسن رضى الله
عنه عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل
الاخرة ولذلك قال يحيى بن معاذ الرازى انما يذهب بهاء العلم
والحكمة اذا طلب بهما الدنيا وقال عمر رضى الله عنه اذا
رأيتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب يخوض فيما
احب وقال مالك بن دينار قرأت فى بعض الكتب ان الله عز وجل
يقول ان اهون ما اصنع بالعالم اذا احب الدنيا ان اخرج حلاوة
مناجاتى من قلبه وكتب رجل الى اخ له انك قد اوتيت علما فلا
تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى اهل
العلم فى نور علمهم وكان يحيى بن معاذ الرازى يقول لعلماء الدنيا
يا اصحاب العلم قصوركم قيصرية وبيوتكم كسروية وابوابكم

طاهره واخفافكم جالوتيه ومراكبكم قارونيه واوانيكم فرعونيه
ومآثمكم جاهليه ومذاهبكم شيطانيه فاين المحمديه وانشدوا
٥ وراعي الشاة يحمي الذئب عنها فكيف اذا الرعاة لها ذئاب ٥
وقيل، يامعشر القرا انتم ملح البلد مايصلح الملح اذا الملح فسد،
وقيل لبعض العارفين اترى ان من يكون المعاصي قرة عينه لا
يعرف الله قال ما اشك ان من تكون الدنيا اثر عنده من الاخره
انه لا يعرف الله وهذا دون ذلك بكثير ولا تظنن ان ترك المال
يكفي للحوق بعلما الاخره فان الجاه اضر من المال ولذلك قال
بشر حدثنا باب من ابواب الدنيا فاذا سمعت الرجل يقول حدثنا
فانما يقول اوسعوا لي. ودفن بشر بن الحرث بضعه عشر ماين قمطر
وقوصره من الكتب وكان يقول انا اشتهي ان احدث ولو ذهب عني
شهوة الحديث لحدثت وقال هو وغيره اذا اشتهيت ان تحدث
فلا تحدث واذا لم تشتهه فحدث وهذا لان التلذذ بجاه الافاده
ومنصب الارشاد اعظم من كل نعم في الدنيا فمن اجاب شهوته فيه
فهو من ابنا الدنيا ولذلك قال الثوري فتنة الحديث اشد من فتنة
الاهل والمال والولد وكيف لا تخاف فتنته وقيل لسيد البشر
صلوات الله عليه وسلامه ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم

شيئا قليلا وقال سهل العلم كله دنيا والاخره منه العمل به
والعمل كله هبا الا الاخلاص وقال ايضا الناس موتى الا
العلما والعلما سكارى الا العاملين والعاملون مغرورون الا المخلصين
والمخلص على وجل حتى يختم له به وقال ابو سليمان الداراني
اذا طلب الرجل الحديث او تزوج او سافر في طلب المعاش فقد ركن
الى الدنيا وانما اراد به طلب الاسانيد العاليه اذ طلب الحديث
الذي لا يحتاج اليه في طريق الاخره وقال عيسى عليه السلام
كيف يكون من اهل العلم من مسيره الى اخرته وهو مقبل على دنياه
وكيف يكون من اهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل به وقال
صالح بن حسان البصري ادركت الشيوخ وهم يتعوذون بالله من
الفاجر العالم بالسنه، وروى ابو هريره انه عليه السلام
قال من طلب علما مما يبتغى به وجه الله ليصيب به عرضا من الدنيا
لم يجد عرف الجنة يوم القيمه وقد وصف الله علما السو باكل
الدنيا بالعلم ووصف علما الاخره بالخشوع والزهد فقال في
علما الدنيا واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس
الى قوله ثمنا قليلا وقال في علما الاخرة وان من اهل الكتاب
لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم الى قوله اجرهم عند ربهم وقال بعض

ابو داود وابن ماجة باسناد جيد ع

ولا يكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به

وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا اولئك لهم

السلف العلما يحشرون في زمرة الانبيا والقضاة يحشرون
في زمرة السلاطين وفي معنى القضاة كل فقيه قصد طلب الدنيا
بعلمه وروى ابو الدردا انه عليه السلام قال اوحى الله الى
بعض الانبيا قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العمل
ويطلبون الدنيا بعمل الاخرة يلبسون للناس مسوك الكباش
وقلوبهم كقلوب الذياب السنتهم احلى من العسل وقلوبهم امر من
الصبر اياي يخادعون وبي يستهزئون لاتيحن لكم فتنة تذر
الحليم حيرانا وروى الضحاك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال علما هذه الامة رجلان فرجل اتاه الله علما فبذله للناس
ولم ياخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك يصلي عليه طير
السما وحيتان الما ودواب الارض والكرام الكاتبون يقدم على الله
تعالى يوم القيامة سيدا شريفا حتى يرافق المرسلين ورجل اتاه
الله علما في الدنيا فضن به عن عباد الله واخذ عليه طمعا واشترى به
ثمنا ياتي يوم القيمة ملجما بلجام من نار ينادي مناد على روس الاشهاد
هذا فلان اتاه الله علما فضن به عن عباد الله واخذ به طمعا واشترى
به ثمنا يعذب حتى يفرغ من حساب الخلق واشد من هذا ما روي ان رجلا
كان يخدم موسى صلى الله عليه فجعل يقول حدثني موسى كليم الله حتى

اثرى وكثر ماله ففقده موسى فجعل يسال عنه فلا يحس له
اثرا حتى جاءه رجل ذات يوم وفي يده خنزير وفي عنقه حبل اسود
فقال له موسى اتعرف فلانا قال نعم هو هذا الخنزير فقال موسى
يارب اسالك ان ترده الى حاله حتى اساله فيما اصابه هذا فاوحى الله
اليه لو دعوتني بالذي دعاني به ادم فمن دونه ما اجبتك فيه ولكن
اخبرك لم صنعت به هذا لانه كان يطلب الدنيا بالدين واغلظ
من هذا ما ورد عن معاذ بن جبل موقوفا ومرفوعا في رواية ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من فتنة العالم ان يكون الكلام احب اليه
من الاستماع وفي الكلام تمشق وزيادة ولا يومن على صاحبه الخطا
وفي الصمت سلامة وعلم ومن العلما من يخزن علمه فلا يحب ان يوجد
عند غيره فذلك في الدرك الاول من النار ومن العلما من يكون في
علمه بمنزلة السلطان فان رد عليه شي من علمه او هون بشي من حقه
غضب فذلك في الدرك الثاني من النار ومن العلما من يجعل علمه
وغرايب حديثه لاهل الشرف واليسار ولا يرى اهل الحاجة له
اهلا فذلك في الدرك الثالث من النار ومن العلما من ينصب نفسه
للفتيا فيفتي بالخطا والله يبغض المتكلفين فذلك في الدرك
الرابع من النار ومن العلما من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر

في الدنيا

واليسار

ابو نعيم في الحلية وابن الجوزي في الموضوعات

به علمه فذلك فى الدرك الخامس من النار ومن العلما من يتخذ
علمه مروة ونبلا وذكرا فى الناس فذلك فى الدرك السادس
من النار ومن العلما من يستفزه الزهو والعجب فان وعظ عنف وان
وعظ انف فذلك فى الدرك السابع من النار فعليك بالصمت فبه
تغلب الشيطان واياك ان تضحك من غير عجب او تمشى من غير ادب ٥
وفى خبر آخر ان العبد لينشر له من الثنا ما بين المشرق والمغرب وما
يزن عند الله جناح بعوضه، وروى ان الحسن انصرف من مجلسه فحمل
اليه رجل من خراسان كيسا فيه خمسة الف درهم وعشرة اثواب من
دقيق البز وقال يا باسعيد هذه نفقه وهذه كسوه فقال الحسن
عافاك الله ضم اليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك انه
من جلس مثل مجلسى هذا وقبل من الناس مثل هذا لقى الله تعالى يوم
يلقاه ولا خلاق له وروى عن جابر موقوفا ومرفوعا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال لا تجلسوا عند كل عالم الا عالم
يدعوكم الى خمس من الشك الى اليقين ومن الريا الى الاخلاص ومن
الرغبة الى الزهد ومن التكبر الى التواضع ومن العداوة الى النصيحة
وقال الله تعالى فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون
الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون الى قوله وقال الذين

اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير فعرف اهل العلم بايثار الآخرة
على الدنيا ومنها لا يخالف فعله قوله بل لا يامر بالشى ما لم يكن
هو اول عامل به قال الله تعالى أتامرون الناس بالبر
وتنسون انفسكم وقال تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما
لا تفعلون وقال فى قصة شعيب وما اريد ان اخالفكم الى
ما انهاكم عنه وقال واتقوا الله ويعلمكم الله واتقوا الله واعلموا
انكم ملاقوه واتقوا الله واسمعوا وقال تعالى لعيسى عليه السلام
يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحيى
منى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسرى بى
باقوام كان تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من انتم فقالوا
انا كنا نامر بالخير ولا نفعله وقال صلى الله عليه وسلم هلاك
امتى عالم فاجر وعابد جاهل وشر الشرار شرار العلما وخير الخيار
خيار العلما وقال الاوزاعى شكت النواويس ما تجد من نتن جيف الكفار
فاوحى الله اليها بطون علما السو انتن مما انتم فيه، وقال الفضيل
بلغنى ان الفسقة من العلما يبدا بهم يوم القيامه قبل عبدة الاوثان ٥
وقال ابو الدردا ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن تعلم ولا يعمل سبع
مرات وقال الشعبى يطلع قوم من اهل الجنه الى قوم من اهل النار

ابن حبان من حديث انس ع

الدارمى من رواية الاحوص ابن حكيم عن ابيه مرسلا باخر الحديث نحوه وقد تقدم ولم اجد صدر الحديث ع

فيقولون لهم ما ادخلكم النار وانما ادخلنا الله الجنة بفضل
تادبكم وتعليمكم فقالوا انا كنا نامر بالخير ولا نفعله وقال
حاتم الاصم ليس في القيامة اشد حسرة من رجل علم الناس علما
فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك وقال مالك
ابن دينار ان العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما
يزل القطر عن الصفا وانشدوا

يا واعظ الناس قد اصبحت متهما اذ عبت منهم امورا انت تاتيها ٥
وقيل لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

وقال ابرهيم بن ادهم مررت بحجر مكتوب عليه اقلبني تعتبر فقلبته
فاذا عليه مكتوب انت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم ما لا تعلم
وقال ابن السماك كم من مذكر بالله ناس لله وكم من مخوف بالله
جري على الله وكم من مقرب الى الله بعيد من الله وكم من داع الى الله
فار من الله وكم من تال لكتاب الله منسلخ من آيات الله قال ابرهيم
ابن ادهم لقد اعربنا في كلامنا فلم نلحن ولحنا في اعمالنا فلم نعرب
وقال الاوزاعي اذا جاء الاعراب ذهب الخشوع وروي
مكحول عن عبد الرحمن بن غنم انه قال حدثني عشرة من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا كنا ندرس العلم في مسجد

لعله صوابه
اذا كنت

قبا اذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعلموا
ما شئتم ان تعلموا فلن ياجركم الله حتى تعملوا وقال عيسى عليه
السلام مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امراة زنت في السر
فحملت فظهر حملها فافتضحت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله
تبارك وتعالى يوم القيمة على رؤس الاشهاد وقال معاذ
احذروا زلة العالم لان قدره عند الناس عظيم فيتبعونه على زلته
وقال عمر رضي الله عنه اذا زل العالم زل بزلته عالم من
الخلق وقال ثلث لهن يهدم الزمان احداهن زلة عالم وقال
ابن مسعود سياتي على الناس زمان تملح فيه عذوبة القلوب
فلا ينتفع يومئذ بالعلم عالمه ولا متعلمه فتكون قلوب علمائهم
مثل السباخ من ذوات الملح ينزل عليها قطر السما فلا يوجد لها
عذوبة وذلك اذا مالت قلوب العلما الى حب الدنيا وايثارها على
الآخرة فعند ذلك يسلبها الله ينابيع الحكمة ويطفي مصابيح الهدى
من قلوبهم فيخبرك عالمهم حين تلقاه انه يخشى الله بلسانه والفجور
بين في عمله فما اخصب الالسن يومئذ واجدب القلوب فوالله الذي
لا اله الا هو ما ذاك الا لان المعلمين علموا لغير الله والمتعلمين تعلموا
لغير الله ،، وفي الانجيل مكتوب لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا

علیه ابن عبد البر مكذا واسنده
ابن عدي وابو نعيم والخطيب في
كتاب اقتضاء العلم العمل من حديث معاذ فقط
وبسند ضعيف ورواه الدارمي موقوفا
على معاذ بسند صحيح ع

بما علمتم وقال حذيفة انكم في زمان من ترك فيه عشر ما
يعلم هلك وسياتي زمان من عمل بعشر ما علم نجا وذلك لكثرة
البطالين واعلم ان مثل العالم مثل القاضي وقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم القضاة ثلثة قاض قضى بالحق وهو يعلم فذلك في الجنة وقاض
قضى بالجور وهو يعلم اولا يعلم فهما في النار وقال كعب يكون في
آخر الزمان علما يزهدون الناس في الدنيا ولا يزهدون ويخوفون
ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة ويأتون يوثرون الدنيا
على الآخرة يأكلون بالسنتهم يقربون الاغنيا دون الفقرا يتغايرون
على العلم كما يتغاير النسآ على الرجال يغضب احدهم على جليسه
اذا جالس غيره اوليك الجبارون اعدا الرحمن وقد روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ان الشيطان ربما يسبقكم بالعلم
فقيل يا رسول الله وكيف ذلك قال يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى
تعلم فلا يزال في العلم قايلا وللعمل مسوفا حتى يموت وما عمل قال
سري السقطي اعتزل للتعبد رجل كان حريصا على طلب علم الظاهر
فسالته فقال رايت في النوم قايلا يقول الى كم تضيع العلم ضيعك
الله فقلت اني لاحفظه فقال لي حفظ العلم العمل به فتركت الطلب
واقبلت على العمل وقال ابن مسعود ليس العلم بكثرة الرواية انما

العلم الخشية وقال الحسن اعلموا ما شيتم ان تعلموا فوالله
لا ياجركم الله حتى تعملوا فان السفها همتهم الرواية والعلما همتهم
الرعاية وقال ملك ان طلب العلم لحسن وان نشره لحسن
اذا صحت فيه النية ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح الى حين تمسي
ولا توثرون عليه شيا وقال ابن مسعود انزل القرآن ليعمل به
فاتخذتم دراسته عملا وسياتي قوم يثقفونه مثل القنا ليسوا
بخياركم والعالم الذي لا يعمل كالمريض الذي يصف الدوآء والجايع الذي
يصف لذايذ الاطعمة ولا يجده نفي مثله يقال ولكم الويل
مما تصفون وفي الخبر مما اخاف على امتي زلة العالم وجدال
منافق في القرآن ومنها ان يكون عنايته بتحصيل العلم النافع في
الآخرة المرغب في الطاعة متجنبا للعلوم التي يقل نفعها ويكثر
فيها الجدال والقيل والقال فمثال من يعرض من علم الاعمال
ويشتغل بالجدال مثال رجل مريض به علل كثيرة وقد صادف
طبيبا حاذقا في وقت ضيق يخشى فواته فاشتغل بالسوال عن خاصية
العقاقير والادوية وغرايب الطب وترك مهمه الذي هو مواخذ
به وذلك محض السفه وروي ان رجلا جا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال علمني من غرايب العلم فقال له ما صنعت في راس

الطبراني من حديث ابي الدرداء ولابن حبان نحوه من حديث عمران ابن حصين ٥ ع

ابن السني وابي نعيم في كتابي الرياضة لهما ٥ وفي الخطبة ابن عبد البر من حديث عبد الله بن المسور مرسلا وهو ضعيف جدا ٥ ع

العلم قال وما راس العلم قال هل عرفت الرب قال نعم قال وما
صنعت في حقه قال ما شا الله قال هل عرفت الموت قال نعم
قال فما اعددت له قال ما شا الله قال اذهب فاحكم ما هنالك
ثم تعال نعلمك غرايب العلم بل ينبغي ان يكون التعلم من جنس ما روي
عن حاتم الاصم تلميذ شقيق البلخي انه قال له شقيق منذ كم
صحبتني فقال حاتم منذ ثلث وثلثين سنه فقال فما تعلمت مني في
هذه المده فقال ثماني مسايل قال شقيق انا لله وانا اليه راجعون
ذهب عمري معك ولم تتعلم الا ثماني مسايل قال يا استاذ لم اتعلم
غيرها ولا احب ان اكذب فقال هات هذه الثماني مسايل حتى اسمعها
قال نظرت الى هذا الخلق فرايت كل واحد يحب محبوبا فهو مع محبوبه
الى القبر واذا وصل الى القبر فارقه فجعلت الحسنات محبوبي فاذا
دخلت القبر دخل محبوبي معي فقال احسنت يا حاتم فما الثانيه قال
نظرت في قول الله عز وجل واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى
فان الجنه هي الماوى فعلمت ان قوله سبحانه هو الحق فاجهدت نفسي
في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله الثالثه اني نظرت الى هذا
الخلق فرايت كل من معه شي له قيمه عنده ومقدار رفعه وحفظه
ثم نظرت في قول الله عز وجل ما عندكم ينفد وما عند الله باق فكلما

وقع معي شي له مقدار وقيمه وجهته اليه ليبقى لي عنده
والرابعه اني نظرت الى هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يرجع الى المال
والحسب والشرف والنسب فنظرت فاذا هي لا شي ثم نظرت الى قول
الله عز وجل ان اكرمكم عند الله اتقاكم فعملت في التقوى حتى اكون
عند الله كريما والخامسه نظرت الى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في
بعض ويلعن بعضهم بعضا واصل هذا كله الحسد ثم نظرت الى قول الله
عز وجل نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا فتركت الحسد واجتنبت
الخلق وعلمت ان القسم من عند الله وتركت عداوة الخلق عني السادسه
نظرت الى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضا فرجعت
الى قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فعاديته وحده
واخذت في حذري منه لان الله تعالى شهد عليه انه عدوي وتركت عداوة
الخلق السابعه نظرت الى هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يطلب هذه
الكسره فيذل نفسه ويدخل فيما لا يحل له ثم نظرت الى قوله تعالى
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فعلمت اني واحد من هذه الدواب
التي على الله رزقها فاشتغلت بما لله علي وتركت ما لي عنده الثامنه
نظرت الى هذا الخلق فرايتهم متوكلين هذا على ضيعته وهذا على تجارته
وهذا على صناعته وهذا على صحة بدنه وكل مخلوق متوكل على مخلوق

فرجعت الى قوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه فتوكلت عليه
فهو حسبي. قال شقيق يا حاتم وفقك الله فاني نظرت في علم
التوراة والانجيل والزبور والقران العظيم وهو يدور على هذه
الثماني المسايل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الاربعة فهذا
الفن من العلم يهتم بادراكه والتفطن له علما الاخرة. واما علما
الدنيا فيشتغلون بما تيسر به اكتساب المال والجاه ويهملون امثال
هذه العلوم التي بها بعث الانبيا كلهم وقال الضحاك بن مزاحم
ادركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض الا الورع وهم اليوم يتعلمون الكلام
ومنها ان يكون غير مايل الى الترفه في المطعم والتنعم في الملبس والتجمل
في الاثاث والمسكن بل يوثر الاقتصاد في جميع ذلك ويتشبه فيه
بالسلف ويميل الى الاكتفا بالاقل في جميع ذلك وكل ما ازداد الى
طرف القلة ميله ازداد من الله قربه وارتفع في علما الاخرة حزبه

حكاية

ويشهد بذلك ما جا عن ابي عبد الله الخواص وكان من اصحاب حاتم
الاصم قال دخلت مع حاتم الري ومعنا ثلثماية وعشرون رجلا
نريد الحج وعليهم الزربنانات وليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا
على رجل من التجار متقشف يحب المساكين فاضافنا تلك الليلة فلما
كان من الغد قال لحاتم الك حاجة فاني اريد ان اعود فقيها لنا هو عليل

فقال حاتم عيادة المريض لها فضل والنظر الى الفقيه عبادة فانا
ايضا اجي معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري فلما جينا الى
الباب فاذا هو مشرف حسن فبقي حاتم متفكرا يقول باب عالم
على هذه الحال ثم اذن لهم فدخلوا فاذا دار قوراء واذا بزة وسعة
وستور فبقي حاتم ثم دخلوا الى المجلس الذي هو فيه فاذا الفرش
وطية وهو راقد عليها وعند راسه غلام ومذبة فقعد الرازي
وسال وحاتم قايم فاوما اليه ابن مقاتل ان اجلس فقال لا اجلس
لعل لك حاجة فقال نعم فقال ما هي قال مسالة اسالك عنها
فقال سلني قال قم فاستو حتى اسلك فاستوى فقال حاتم علمك هذا
من اين اخذته فقال الثقات حدثوني به قال عن من قال عن اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال واصحاب رسول الله عمن قال
عن رسول الله قال ورسول الله عمن قال عن جبريل عن الله سبحانه
وتعالى قال حاتم ففيما اداه جبريل عن الله الى رسول الله واداه
رسول الله الى اصحابه الى الثقات واداه الثقات اليك هل
سمعت في العلم من كان في داره اميرا وكانت سعته اكثر كان له
عند الله عز وجل المنزلة اكبر قال لا قال فكيف سمعت قال سمعت من
زهد في الدنيا ورغب في الاخرة واحب المساكين وقدم لاخرته كان له

عند الله المنزلة قال حاتم وانت ممن اقتديت ابالنبي واصحابه
الصالحين رضي الله عنهم ام بفرعون ونمرود اول من بنى بالجص والآجر
يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول
العالم على هذه الحالة الا اكون انا شرا منه وخرج من عنده
فازداد ابن مقاتل مرضا وبلغ اهل الري ما جرى بينه وبين ابن
مقاتل فقالوا له ان الطنافسي بقزوين اكثر شيئا منه فسار حاتم
اليه متعمدا فدخل عليه فقال رحمك الله انا رجل اعجمي احب
ان تعلمني مبتدا ديني ومفتاح صلاتي كيف اتوضا للصلاة قال نعم
وكرامة يا غلام هات اناء فيه ما فاتي به فقعد الطنافسي وتوضا
ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا فتوضا قال حاتم مكانك حتى اتوضا بين يديك
فيكون اوكد لما اريد فقام الطنافسي وقعد حاتم فتوضا ثم غسل
الذراعين اربعا فقال له الطنافسي يا هذا اسرفت قال له حاتم
فيماذا قال غسلت ذراعك اربعا قال حاتم يا سبحان الله انا في
كف من ما اسرفت وانت في هذا الجمع كله لم تسرف فعلم الطنافسي
انه قصد ذلك دون التعلم فدخل الى البيت فلم يخرج الى الناس
اربعين يوما فلما دخل بغداد اجتمع اليه اهل بغداد فقالوا يا ابا
عبد الرحمن انت رجل الكن اعجمي وليس يكلمك احد الا

قطعته قال معي ثلث خصال بهن اظهر على خصمي افرح اذا اصاب
خصمي واحزن اذا اخطا واحفظ نفسي لا اتجهل عليه فبلغ ذلك
احمد بن حنبل رحمه الله فقال يا سبحان الله ما اعقله قوموا بنا
اليه فلما دخلوا عليه قالوا يا ابا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا
قال يا ابا عبد الرحمن لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك اربع خصال
تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك وتبذل لهم شيئك وتكون
من شيئهم آيسا فاذا كنت هكذا سلمت ثم سار الى المدينة
فاستقبله اهل المدينة فقال يا قوم ايش مدينة هذه قالوا
مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم قال فاين قصر رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى اصلي فيه قالوا ما كان له قصر انما
كان له بيت لاطي بالارض قال فاين قصور اصحابه رضي الله عنهم
قالوا ما كان لهم قصور انما كانت لهم بيوت لاطية فقال حاتم
يا قوم فهذه مدينة فرعون فاخذوه وذهبوا به الى السلطان
وقالوا هذا العجمي يقول هذه مدينة فرعون قال الوالي ولم ذلك
قال حاتم لا تعجل علي انا رجل اعجمي غريب دخلت البلد فقلت مدينة من
هذه فقالوا مدينة الرسول عليه السلام فقلت اين قصره وقص
القصة ثم قال وقد قال الله تعالى لقد كان لكم في رسول الله

اسوة حسنة فانتم لمن تأسيتم برسول الله صلى الله عليه وسلم
ام بفرعون اول من بنى بالجص والاجر فخلوا عنه وتركوه هذه
حكاية حاتم وسيأتي من سيرة السلف في البذاذة وترك التجمل
ما يشهد لذلك في مواضعه والتحقيق فيه ان التزين بالمباح ليس
بحرام ولكن الخوض فيه يوجب الانس به حتى يشق تركه واستدامة
الزينة لا يمكن الا بمباشرة اسباب في الغالب يلزم من مراعاتها
ارتكاب المعاصي من المداهنة ومراعاة الخلق ومراياتهم وامور اخر
هي محظورة والحزم اجتناب ذلك لان من خاض في الدنيا لا يسلم
منها البتة ولو كانت السلامة مبذولة مع الخوض لكان صلى
الله عليه وسلم لا يبالغ في ترك الدنيا حتى نزع القميص المعلم
ونزع خاتم الذهب في اثنا الخطبة الى غير ذلك مما سيأتي بيانه
وقد حكي ان يحيى بن يزيد النوفلي كتب الى مالك بن انس
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد في الاولين والاخرين
من يحيى بن يزيد بن عبد الملك الى مالك بن انس اما بعد فقد
بلغني انك تلبس الدقاق وتاكل الرقاق وتجلس على الوطا
وتجعل على بابك حاجبا وقد جلست مجلس العلم وضربت اليك
المطي وارتحل اليك الناس فاتخذوك اماما ورضوا بقولك

فاتق الله يا مالك وعليك بالتواضع كتبت اليك بالنصيحة مني
كتابا ما اطلع عليه الا الله والسلام فكتب اليه مالك
بسم الله الرحمن الرحيم من مالك بن انس الى يحيى بن يزيد سلام عليك
اما بعد فقد وصل الي كتابك فوقع مني موقع النصيحة في
الشفقة والادب امتعك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة
خيرا واسال الله التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
فاما ما ذكرت لي اني اكل الرقاق والبس الدقاق واحتجب واجلس
على الوطا فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله وقد قال الله
تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق
واني لاعلم ان ترك ذلك خير من الدخول فيه فلا تدعنا من كتابك
ولسنا ندعك من كتابنا والسلام فانظر الى انصاف مالك اذ
اعترف ان ترك ذلك خير وافتى بانه مباح وقد صدق فيهما
جميعا ومثل مالك في منصبه اذا سمحت نفسه بالانصاف والاعتراف
في مثل هذه النصيحة فتقوى ايضا نفسه على الوقوف على حدود
المباح حتى لا يحمله ذلك على المراياة والمداهنة والتجاوز الى
المكروهات واما غيره فلا يقدر عليه فالتعرج على التنعم في
المباح خطره عظيم وهو بعيد من الخوف والخشية وخاصية

الخشية التباعد والتباعد من مظان الخطر ومنها ان يكون
منقبضا عن السلاطين لا يدخل عليهم البتة مادام يجد الى الفرار
عنهم سبيلا بل ينبغي ان يحترز من مخالطتهم وان جاؤا اليه فان
الدنيا حلوة خضرة وزمامها بايدي السلاطين والمخالط لهم لا
يخلوا عن تكلف في طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع انهم ظلمة
ويجب على كل متدين الانكار عليهم وتضييق صدورهم باظهار
ظلمهم وتقبيح فعلهم فالداخل عليهم اما ان يلتفت الى تجملهم
فيزدري نعمة الله عليه او يسكت عن الانكار عليهم فيكون مداهنا
او يتكلف في كلامه لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح
او يطمع في ان ينال من دنياهم وذلك هو السحت وسيأتي في كتاب
الحلال والحرام ما يجوز ان يؤخذ من اموال السلاطين وما لا يجوز من
الادرار والجوائز وغيرها وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح للشرور
عدة وعلماء الاخرة طريقهم الاحتياط وقد قال صلى الله عليه وسلم
من بدا جفا يعني سكن البادية ومن اتبع الصيد غفل ومن اتى السلطان
افتتن وقال عليه السلام سيكون عليكم امراء تعرفون منهم وتنكرون
فمن انكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع ابعده
الله قيل افلا نقتلهم قال لا ما صلوا وقال سفيان في جهنم واد لا

يسكنه الا القراء الزوارون للملوك وقال حذيفة اياكم
ومواقف الفتن قيل وما هو قال ابواب الامراء يدخل احدكم على
الامير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه وقال عليه السلام
العلماء امناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان
فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم
رواه انس وقيل للاعمش لقد احييت العلم لكثرة من ياخذ عنك
فقال لا تعجلوا ثلث يموتون قبل الادراك وثلث يلزمون
السلطان فهم شر الخلق والثلث الباقي لا يفلح منهم الا القليل
فلذلك قال سعيد بن المسيب اذا رايتم العالم يغشى الامراء
فاحترزوا منه فانه لص وقال الاوزاعي ما من شيء ابغض
الى الله من عالم يزور عاملا وقال صلى الله عليه وسلم شرار
العلماء الذين ياتون الامراء وخيار الامراء الذين ياتون العلماء وقال
مكحول الدمشقي من تعلم القرآن وتفقه في الدين ثم صحب السلطان
تملقا اليه وطمعا لما في يديه خاض في نار جهنم بعدد خطاه
وقال سمنون ما اسمج بالعالم ان يؤتى الى مجلسه فلا يوجد فيسال
عنه فيقال انه عند الامير قال وكنت اسمع انه يقال اذا
رايتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت اذ ما دخلت

ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ع

الرسل

ابن ماجه بالشطر الاول نحوه من حديث ابي هريرة بسند ضعيف ع

قط على السلطان الا وحاسبت نفسي بعد الخروج فارى عليها
الدرك وانتم ترون ما القاه من الغلظه والعظه وكثرة
المخالفه لهواه ولوددت ان انجوا من الدخول كفافا مع انى
لا اخذ منهم شيا ولا اشرب لهم شربة ماء ثم قال وعلماء
زماننا شر من علماء بنى اسرائيل يخبرون السلطان بالرخص وبما يوافق
هواهم ولو اخبروه بالذى عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره
دخولهم وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم وقال الحسن كان
فيمن كان قبلكم رجل له قدم فى الاسلام وصحبة لرسول الله قال
ابن المبارك عنى به سعد بن ابى وقاص قال وكان يغشى السلطان
فقعد عنهم فقال له بنوه ياتى هولاء من ليس هو مثلك فى الصحبة
والقدم فى الاسلام فلو اتيتهم فقال يا بنى اتى جيفة قد احاط بها
قوم والله لئن استطعت لا اشاركهم فيها قالوا يا ابانا اذا يهلك
هزلا قال يا بنى لان اموت مهزولا احب الى من ان اموت منافقا
سمينا قال الحسن خصمهم والله اذ علم ان التراب ياكل اللحم
والسمن دون الايمان وفى هذا اشارة الى ان الدخول على السلطان
لا يسلم من النفاق البتة وهو مضاد الايمان وقال ابو ذر
لسلمة يا سلمة لا تغش ابواب السلاطين فانك لا تصيب من دنياهم

شيئا الا اصابوا من دينك افضل منه وهذه فتنة عظيمة
للعلماء وخديعة صعبة للشيطان عليهم لاسيما من له لهجة مقبولة
وكلام حلو اذ لا يزال الشيطان يلقى اليه ان فى وعظك لهم
ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع الى
ان يخيل اليه ان الدخول عليهم من الدين ثم اذا دخل لم يلبث ان
يتلطف فى الكلام ويداهن ويخوض فى الثناء والاطراء وفيه هلاك
الدين وكان يقال العلماء اذا علموا عملوا فاذا عملوا شغلوا
فاذا شغلوا فقدوا فاذا فقدوا طلبوا فاذا طلبوا هربوا ٥
وكتب عمر بن عبد العزيز الى الحسن رحمهما الله اما بعد فاشر على
بقوم استعين بهم على امر الله تعالى فكتب اليه اما اهل الدين فلن
يريدوك واما اهل الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك بالاشراف فانهم
يصونون شرفهم ان يدنسوه بالخيانة هذا فى عمر بن عبد العزيز
وكان ازهد اهل زمانه فاذا كان شرط الدين الهرب منه فكيف
يستتب طلب غيره ومخالطته ولم يزل السلف مثل الحسن والثوري
وابن المبارك والفضيل وابرهيم بن ادهم ويوسف بن اسباط يتكلمون
فى علماء الدنيا من اهل مكة والشام اما لميلهم الى الدنيا واما
لمخالطتهم السلاطين ومنها ان لا يكون متسارعا الى الفتوى بل يكون

مُتوقفًا محترزًا ما وجد الى الخلاص سبيلا فان سُئل عما يعلمه
حقيقةً بنص كتاب الله او نص حديث او اجماع او قياس جلي
افتى فان سُئل عما يشك فيه قال لا ادري وان سُئل عما يظنه
باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه واحال على غيره ان كان
في غيره غنية هذا هو الحزم لان تقلد خطر الاجتهاد عظيم وفي
الخبر العلم ثلثة كتاب ناطق وسنة قايمة ولا ادري وقال
الشعبي لا ادري نصف العلم ومن سكت حيث لا يدري لله فليس
باقل اجرا ممن نطق لان الاعتراف بالجهل اشد على النفس وهكذا
كانت عادة الصحابة والسلف كان ابن عمر اذا سُئل عن الفتوى
قال اذهب الى الامير الذي تقلد امور الناس فضعها في عنقه وقال
ابن مسعود ان الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون
وقال جنة العالم لا ادري فاذا اخطاه اصيب مقاتله وقال
ابرهيم بن ادهم ليس شي اشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت
بعلم يقول انظروا الى هذا سكوته اشد علي من كلامه ووصف
بعضهم الابدال فقال اكلهم فاقة وكلامهم ضرورة اي لا يتكلمون
حتى يسألوا فاذا سُئلوا ووجدوا من يكفيهم يسكتوا وان اضطروا
اجابوا وكانوا يعدون الابتدا قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام

ومر علي وعبد الله برجل يتكلم على الناس فقالا هذا يقول
اعرفوني وقال بعضهم انما العالم الذي اذا سُئل عن المسئلة فكانما
يقلع ضرسه وكان ابن عمر يقول تريدون ان تجعلونا جسرا تعبرون
علينا الى جهنم وقال ابو حفص النيسابوري العالم هو الذي
يخاف عند السؤال ان يقال له يوم القيمة من اين اجبت وكان ابرهيم
التيمي اذا سُئل عن مسئلة يبكي ويقول لم تجدوا غيري حتى احتجتم الي
وكان ابو العالية الرياحي وابرهيم والثوري وابن ادهم يتكلمون على
اثنين وثلثة والنفر اليسير فاذا كثروا انصرفوا وقال عليه السلام
ما ادري عزير نبي ام لا وما ادري تبع ملعون ام لا وما ادري ذو القرنين نبي
ام لا ولما سُئل عن خير البقاع وشرها قال لا ادري حتى نزل جبريل
فسأله فقال لا ادري حتى اعلمه الله ان المساجد خير البقاع وشرها
الاسواق وكان ابن عمر يسأل عن عشر مسايل فيجيب عن واحدة ويسكت
عن تسع وكان ابن عباس يجيب عن تسع ويسكت عن واحدة وكان في
الفقهاء من يقول لا ادري اكثر من ان يقول ادري منهم سفين الثوري
وملك بن انس واحمد بن حنبل والفضيل بن عياض وبشر بن الحرث وقال
عبد الرحمن بن ابي ليلى ادركت في هذا المسجد مائة وعشرين من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم من احد يسأل عن حديث وفتوى

ابو داود والحاكم ... قلت اخرجه البخاري والدارقطني ... من حديث ابي هريرة

احمد وابو يعلى والبزار والحاكم وصحح اسناده والطبراني من حديث جبير بن مطعم ... ابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابن عمر

الا ود ان اخاه كفاه ذلك وفي لفظ آخر كانت المسئلة
تعرض على احدهم فيردها الى الاخر ويردها الاخر الى اخر حتى تعود
الى الاول وروي ان اصحاب الصفه اهدى الى واحد منهم راس مشوي
وهم في غايه الضر فاهداه الى آخر واهدى الاخر الى آخر هكذا
دار بينهم حتى رجع الى الاول فانظر الان كيف انعكس امر العلما فصار
المهروب عنه مطلوبا والمطلوب مهروبا عنه ويشهد لحسن الاحتراز
من تقلد الفتوى ما روي مسندا انه لا يفتي الناس الا ثلثه امير او
مامور او متكلف وقال بعضهم كان الصحابه يتدافعون اربعة اشيا
الامامة والوديعه والوصية والفتوى وقال بعضهم كان اسرعهم
الى الفتوى اقلهم علما واشدهم دفعا لها اورعهم وكان شغل الصحابه
والتابعين في خمسة قراة القران وعماره المساجد وذكر الله تعالى
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك لما سمعوه من قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم كل كلام ابن ادم عليه لا له الا ثلثا امر
بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله تعالى وقال تعالى لا خير في
كثير من نجويهم الايه وراى بعض العلما بعض اصحاب الراي من الكوفه
في المنام فقال ما رايت فيما كنت عليه من الفتوى والراي فكلح وجهه
واعرض وقال ما وجدناه شيا وما حمدنا عاقبته وقال ابن حصين

ابن ماجه من حديث ابي خلاد باسناد ضعيف

ان احدهم ليفتي في مسئلة لو وردت على عمر رضي الله عنه لجمع اهل
بدر فلم يزل السكوت دابا اهل العلم الا عند الضروره وفي الخبر
اذا رايتم الرجل قد اوتي صمتا وزهدا فاقتربوا منه فانه يلقى
الحكمه وقيل العالم اما عالم عامه وهو المفتي وهم اصحاب الاساطين
او عالم خاصه وهو العالم بالتوحيد واعمال القلوب وهم ارباب
الزوايا المتفردون وكان يقال مثل احمد بن حنبل مثل دجله كل احد
يغترف منها ومثل بشر بن الحرث مثل بير عذبه مغطاه لا يقصدها
الا واحد بعد واحد وكانوا يقولون فلان عالم وفلان متكلم
وفلان اكثر كلاما وفلان اكثر علما وقال ابو سليمان المعرفه الى
السكوت اقرب منها الى الكلام وقال بعضهم اذا كثر العلم قل الكلام
وكتب سلمان الى ابي الدردا وكان قد اخا بينهما رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا اخي بلغني انك اقعدت طبيبا تداوي المرضى فانظر فان
كنت طبيبا فتكلم فان كلامك شفا وان كنت متطببا فالله الله
لا تقتل مسلما فكان ابو الدردا يتوقف بعد ذلك اذا سيل وكان
انس اذا سيل يقول سلوا مولانا الحسن وكان ابن عباس يقول
سلوا جابر بن زيد وابن عمر يقول سلوا سعيد بن المسيب وحكي انه
روي صحابي في حضور الحسن عشرين حديثا فسيل عن تفسيرها فقال

مواخاته صلى الله عليه وسلم بين سلمان وابي الدردا رواه البخاري من حديث ابي جحيفة

ما عندي إلا ما رويت فأخذ الحسن في تفسيرها حديثًا حديثًا فعجبوا
من حسن حفظه وحسن تفسيره فأخذ الصحابي كفًّا من حصى ورماهم
به وقال تسألوني عن العلم وهذا الحبر بين أظهركم ومنها أن يكون أكثر
اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه
وصدق الرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فإن المجاهدة
تفضي إلى المشاهدة وفي دقائق علم القلوب تتفجر ينابيع الحكمة من
القلب أما الكتب والتعليم فلا تفي بذلك بل الحكمة الخارجة عن الحصر
والعد إنما تفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الأعمال الظاهرة
والباطنة والجلوس مع الله في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكر
والانقطاع إلى الله عما سواه فذلك مفتاح الإلهام ومنبع الكشف فكم
من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكم من مقتصر
على المهم في التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف
الحكمة ما تحار فيه عقول ذوي الألباب ولذلك قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وفي بعض الكتب السالفة
يا بني إسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به ولا في تخوم الأرض من يصعد به
ولا من وراء البحار من يعبر يأتي به العلم مجعول في قلوبكم تأدبوا بين
يدي بآداب الروحانيين وتخلقوا إلي بأخلاق الصديقين أظهر العلم

أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وضعفه

في قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم وقال سهل التستري خرج العلماء
والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح إلا قلوب
الصديقين والشهداء ثم تلا وعنده مفاتح الغيب ولولا أن إدراك
قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال استفت
قلبك وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك وقال عليه السلام فيما يرويه عن
ربه لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له
سمعًا وبصرًا الخبر فكم من معان دقيقة من أسرار القرآن تخطر على
قلب المتجرد للذكر والفكر تخلو عنها كتب التفاسير ولا يطلع عليها
أفاضل المفسرين وإذا انكشف ذلك للمراقب وعرض على المفسرين
استحسنوه وعلموا أن ذلك من تنبيهات القلوب الزكية وألطاف الله
تعالى بالهمم المتوجهة إليه وكذلك في علوم المكاشفة وأسرار علوم
المعاملة ودقائق خواطر القلوب فإن كل علم من هذه العلوم بحر لا
يدرك عمقه وإنما يخوضه كل طالب بقدر ما رزق وبحسب ما وفق له من
حسن العمل وفي وصف هؤلاء العلماء قال علي رضي الله عنه في حديث
طويل القلوب أوعية وخيرها أوعاها والناس ثلاث عالم رباني
ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل
ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق العلم خير من المال

أخرجاه من حديث أبي هريرة بلفظ كنت
سمعه وبصره ... وفي الحلية
كما ذكره المؤلف من حديث أنس
بسند ضعيف

العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزكوا على الانفاق والمال
ينقصه النفقه ومحبة العلم دين يدان بها يكتسب الطاعه في
حياته وجميل الاحدوثه بعد موته العلم حاكم والمال محكوم عليه
ومنفعه المال تزول بزواله مات خزان الاموال وهم احيا والعلما
باقون ما بقي الدهر ثم تنفس الصعدا فقال هاه ان ها هنا علما جما
لو وجدت له حملة بل اجد لقنا غير مامون يستعمل آلة الدين في طلب
الدنيا ويستطيل بنعم الله على اوليايه ويستظهر بحجه على خلقه
او منقادا لاهل الحق ينزرع الشك في قلبه باول عارض من شبهة لا
بصيرة له لا ذا ولا ذاك فمنهوم باللذه سلس القياد في طلب الشهوات
او مغرى بجمع الاموال والادخار منقادا لهواه اقرب شبها بهما الانعام
السايمة اللهم هكذا يموت العلم اذا مات حاملوه بل لا تخلوا الارض
من قايم لله تعالى بحجة اما ظاهر مكشوف واما خايف مقهور لئلا
تبطل حجج الله وبيناته وكم واين اوليك الاقلون عددا الاعظمون
عند الله قدرا اعيانهم مفقوده وامثالهم في القلوب موجوده يحفظ
الله تعالى بهم حججه حتى يودعوها الى نظرايهم ويزرعوها في قلوب
اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين
فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وانسوا بما استوحش منها

الغافلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلا
اوليك اوليا الله من خلقه وعماله في ارضه ودعاته الى دينه وقال
واشوقاه الى رويتهم فهذا الذي ذكره اخيرا هو وصف علما الاخرة
وهو العلم الذي يستفاد اكثره من العمل والمواظبة على المجاهدة
ومنها ان يكون شديد العناية بتقوية اليقين فان اليقين هو راس
مال الدين قال صلى الله عليه وسلم اليقين الايمان كله ولا
بد من تعلم علم اليقين اعني اوايله ثم ينفتح للقلب طريقه ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم تعلموا اليقين ومعناه جالسوا الموقنين واسمعوا
منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتدا بهم ليقوى يقينكم كما
قوي يقينهم وقليل من اليقين خير من كثير من العمل قال صلى الله عليه
وسلم لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد في
العبادة قليل اليقين فقال ما من ادمي الا وله ذنوب ولكن من كان
غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لانه كلما اذنب تاب
واستغفر وندم فيكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة ولذلك
قال عليه السلام من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه
منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار وفي وصية لقمن لابنه
يا بني لا يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه ولا

البيهقي في الزهد والخطيب في التاريخ من حديث ابن مسعود باسناد حسن ع

ابو نعيم من رواية ثور بن يزيد مرسلا وهو معضل ورواه ابن ابي الدنيا في اليقين من قول خالد ابن معدان ه ع

الترمذي الحكيم في النوادر [illegible] باسناد ضعيف ه

لم اقف له على اصل وروى ابن عبد البر من حديث معاذ ما انزل الله شيئا اقل من اليقين ولا قسم شيئا بين الناس اقل من الحلم ع

ينقص عامل حتى ينقص يقينه وقال يحيى بن معاذ ان للتوحيد نورا
وللشرك نارا وان نور التوحيد احرق لسيئات الموحدين من نار
الشرك بحسنات المشركين واراد به اليقين وقد اشار القرآن الى
ذكر الموقنين في مواضع دل به على ان اليقين هو الرابطة للخيرات
والسعادات فان قلت فما معنى اليقين وما معنى قوته وضعفه
فصل في اليقين وحقيقته فلا بد من فهمه اولا ثم الاشتغال
بطلبه وتعلمه فان ما لا يفهم صورته لا يمكن طلبه فاعلم ان اليقين
لفظ مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين اما النظار والمتكلمون
فيعنون به عدم الشك اذ ميل النفس الى التصديق بالشيء له اربع مقامات
الاولى ان يعتدل التصديق والتكذيب ويعبر عنه بالشك كما اذا
سئلت عن شخص معين ان الله يعاقبه ام لا وهو مجهول الحال عندك
فان نفسك لا تميل الى الحكم فيه باثبات ونفي بل يستوي عندك
امكان الامرين فيسمى هذا شكا الثانية ان تميل نفسك الى احد
الامرين مع الشعور بامكان نقيضه ولكنه امكان لا يمنع ترجيح الاول
كما اذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى انه بعينه لو مات على هذه
الحالة هل يعاقب فان نفسك تميل الى انه لا يعاقب اكثر من ميلها الى
العقاب وذلك لظهور علامات الصلاح ومع هذا فانت تجوز اختفاء امر

موجب للعقاب في باطنه وسريرته فهذا التجويز مساو لذلك
الميل ولكنه غير دافع رجحانه فهذه الحالة تسمى ظنا الثالثة
ان تميل النفس الى التصديق بشيء بحيث يغلب عليها ولا يخطر بالبال
نقيضه ولو خطر لتأبت النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك عن معرفة محققة
اذ لو احسن صاحب هذا المقام التأمل والاصغاء الى التشكيك والتجويز
اتسعت نفسه للتجويز وهذا يسمى اعتقادا مقاربا لليقين وهو اعتقاد
العوام في الشرعيات كلها اذ رسخ في نفوسهم بمجرد السماع حتى ان كل فرقة
تثق بصحة مذهبها واصابة امامها ومتبوعها ولو ذكر لاحدهم امكان خطأ
امامه نفر عن قبوله الرابعة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذي لا يشك
المعرفة
فيه ولا يتصور التشكك فيه فاذا امتنع وجود الشك وامكانه يسمى
يقينا عند هؤلاء ومثاله انه اذا قيل للعاقل هل في الوجود شيء هو قديم
فلا يمكنه التصديق به بالبديهة لان القديم غير محسوس لا كالشمس والقمر
فانه يصدق بوجودهما بالحس وليس العلم بوجود شيء قديم اوليا ضروريا
مثل العلم بان الاثنين اكثر من الواحد بل مثل العلم بان حدوث حادث بلا
سبب محال فان هذا ايضا ضروري فحق غريزة العقل ان يتوقف عن التصديق
بوجود القديم على طريق الارتجال والبديهة ثم من الناس من يسمع ذلك
ويصدق بالسماع تصديقا جازما ويستمر عليه وذلك هو الاعتقاد

وهو حال جميع العوام ومن الناس من يصدق به بالبرهان وهو ان
يقال له ان لم يكن في الوجود قديم فالموجودات كلها حادثة وان
كانت كلها حادثة فهي حادثة بلا سبب اذ فيها حادث بلا سبب
وذلك محال فالمؤدي الى المحال محال فيلزم في العقل التصديق
بوجود شيء قديم بالضرورة لان الاقسام ثلاثة وهو ان تكون الموجودات
كلها قديمة او كلها حادثة او بعضها قديمة وبعضها حادثة فان كانت
كلها قديما فقد حصل المطلوب اذ ثبت على الجملة قديم وان كان
الكل حادثا فهو محال اذ يؤدي الى الحدوث بغير سبب فيثبت القسم
الثالث او الاول وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقينا سواء حصل
مثل ما ذكرناه او حصل بحس او بغريزة العقل كالعلم باستحالة حادث
بلا سبب او بتواتر كالعلم بوجود مكة او بتجربة كالعلم بان المطبوخ
مسهل او بدليل كما ذكرناه فشرط اطلاق الاسم عندهم عدم الشك
فكل علم لا شك فيه يسمى يقينا عند هؤلاء وعلى هذا لا يوصف اليقين
بالضعف اذ لا تفاوت في نفي الشك ⁂ الاصطلاح الثاني للفقهاء
والمتصوفة واكثر العلماء وهو ان لا يلتفت فيه الى اعتبار التجويز
والشك بل الى استيلائه وغلبته على القلب حتى يقال فلان ضعيف اليقين
بالموت مع انه لا يشك فيه ويقال فلان قوي اليقين في اتيان الرزق
مع انه يجوز انه لا ياتيه فمهما مالت النفس الى التصديق بشيء
وغلب ذلك على القلب واستولى حتى صار هو المتحكم والمتصرف
في النفس بالتحريض والمنع سمي ذلك يقينا ولا شك في ان الناس مشتركون
في القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه ولكن فيهم من لا يلتفت
اليه والى الاستعداد له وكانه غير موقن به وفيهم من استولى ذلك
على قلبه حتى استغرق همته بالاستعداد له ولم يغادر فيه متسعا لغيره
فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين ولذلك قال بعضهم ما رايت
يقينا لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه من الموت وعلى هذا
الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة ونحن اردنا بقولنا ان من
شان علماء الاخرة صرف العناية الى تقوية اليقين بالمعنيين جميعا
وهو نفي الشك ثم تسليطه على النفس حتى يكون هو الغالب المتحكم
وهو المتصرف واذا فهمت هذا علمت المراد من قولنا اذا قلنا ان اليقين
ينقسم ثلث انقسامات بالقوة والضعف والقلة والكثرة والخفا والجلا
فاما بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثاني وذلك في الغلبة والاستيلا
على القلب ودرجات اليقين في القوة والضعف لا تتناهى وتفاوت
الخلق في استعدادهم للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعاني ⁂ واما
التفاوت بالخفا والجلا فلا ينكر ايضا اما فيما يتطرق اليه التجويز فلا

ينكر اعني الاصطلاح الثاني وفيما انتفى الشك عنه ايضا لا سبيل
الى انكاره فانك تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود مكة ووجود فدك
مثلا وبين تصديقك بوجود موسى صلوات الله عليه ووجود يوشع
مع انك لا تشك في الامرين جميعا اذ مستندهما التواتر ولكن ترى احدهما
اجلى واوضح في قلبك من الثاني لان السبب في احدهما اقوى وهو كثرة
المخبرين وكذلك يدرك الناظر في هذا النظريات المعلومة بالادلة فانه
ليس وضوح ما لاح له بدليل واحد كوضوح ما لاح بادلة كثيرة مع تساويهما
في نفي الشك وهذا قد ينكره المتكلم الذي ياخذ العلم من الكتب والسماع
ولا يراجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الاحوال واما القلة والكثرة
فذلك بكثرة متعلقات اليقين كما يقال فلان اكثر علما اي معلوماته
اكثر وكذلك قد يكون العالم قوي اليقين في جميع ما ورد الشرع به
وقد يكون قوي اليقين في بعضه فان قلت فقد فهمت اليقين وقوته
وضعفه وكثرته وقلته وخفاءه وجلاءه بمعنى نفي الشك وبمعنى الاستيلاء
على القلب فما متعلقات اليقين ومجاريه وفيماذا يطلب اليقين فاني ما لم
اعرف ما يطلب فيه اليقين لم اقدر على طلبه فاعلم ان جميع ما ورد به
الانبياء من اوله الى اخره هو من مجاري اليقين فان اليقين عبارة عن معرفة
مخصوصة ومتعلقه المعلومات التي وردت بها الشرايع فلا مطمع في

احصائها ولكني اشير الى بعض امهاتها فمن ذلك التوحيد وهو
ان يرى الاشياء كلها من مسبب الاسباب ولا يلتفت الى الوسايط
بل يرى الواسطة مسخرة لا حكم لها فالمصدق بهذا مومن فان انتفى عن
قلبه مع الايمان امكان الشك فهو موقن باحد المعنيين فان غلب على
قلبه غلبة ازال منه الغضب على الاواسط والرضا منهم والشكر لهم
ونزل الوسايط في قلبه بمنزلة القلم واليد في حق المنعم بالتوقيع فانه
لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما بل يراهما آلتين وواسطتين
فقد صار موقنا بالمعنى الثاني وهو الاشرف وهو ثمرة اليقين
الاول وروحه وفايدته ومهما تحقق ان الشمس والقمر والنجوم والجماد
والنبات والحيوان وكل مخلوق فهي مسخرات بامره حسب تسخير القلم
في يد الكاتب وان القدرة الازلية هي المصدر للكل استولى عليه التوكل
والرضا والتسليم وصار بريا من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق
فهذا احد ابواب اليقين ومن ذلك الثقة بضمان الله للرزق في قوله
تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واليقين بان ذلك ياتيه
وانما قدر له سيساق اليه ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجملا في
الطلب ولم يشتد حرصه وشرهه وتاسفه على ما يفوته واثمر هذا
اليقين ايضا جملة من الطاعات والاخلاق الحميدة ومن ذلك ان يغلب على

قلبه ان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا
يره وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات
الى الثواب كنسبة الخبز الى الشبع ونسبة المعاصي الى العقاب
كنسبة السموم والافاعي الى الهلاك فكما يحرص على تحصيل الخبز طالب
الشبع فيحفظ قليله وكثيره فكذلك يحرص على الطاعة قليلها وكثيرها
وكما يجتنب قليل السم وكثيره فيجتنب قليل المعاصي وكثيرها وصغيرها وكبيرها
واليقين بالمعنى الاول قد يوجد لعموم المومنين اما بالمعنى الثاني فيختص
به المقربون وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة في الحركات والسكنات
والخطرات والمبالغة في التقوى والاحتراز عن السيئات وكلما كان اليقين
اغلب كان الاحتراز اشد والتشمير ابلغ ومن ذلك اليقين بان الله مطلع
عليك في كل حال ومشاهد لهواجس ضميرك وخفايا خواطرك وفكرك
وهذا متيقن عند كل مومن بالمعنى الاول وهو عدم الشك واما بالمعنى
الثاني وهو المقصود فهو عزيز يختص به الصديقون وثمرته ان يكون
الانسان في خلوته متادبا في جميع احواله كالجالس بمشهد ملك عظيم
معظم ينظر اليه فانه لا يزال مطرقا متادبا متماسكا محترزا عن كل
حركة تخالف هيئة الادب ويكون في فكرته الباطنة كهو في اعماله
الظاهرة اذ يتحقق ان الله مطلع على سريرته كما يطلع الخلق على ظاهره

فيكون مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه لعين الله الكالئة
اشد من مبالغته في تزيين ظاهره لساير الناس فهذا المقام في اليقين
يورث الحيا والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع
وجملة الاخلاق المحمودة وهذه الاخلاق تورث انواعا من الطاعات
رفيعة فاليقين في كل باب من الابواب مثل الشجرة وهذه الاخلاق في
القلب كالاغصان المتفرعة منها وهذه الاعمال والطاعات الصادرة
من الاخلاق كالثمار والانوار المتفرعة من الاغصان فاليقين هو
الاساس والاصل وله مجار وابواب اكثر مما عددناه وسيأتي
ذلك في ربع المنجيات وهذا القدر كاف في تفهيم معنى اللفظ
الان ومنها ان يكون حزينا منكسرا مطرقا صامتا يظهر اثر الخشية
على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكوته
لا ينظر اليه ناظر الا وكان نظره مذكرا لله وكانت صورته دليلا
على عمله فالجواد عينه فراره فعلماء الآخرة يعرفون بسيماهم في السكينة
والذلة والتواضع وقد قيل ما البس الله تعالى عبدا لبسة احسن من
خشوع وسكينة فهي لبسة الانبياء وسيما الصديقين والعلما فاما
التهافت في الكلام والتشدق والاستغراق في الضحك والحدة في
الحركة والنطق فكل ذلك من آثار البطر والامن والغفلة عن عظيم عقاب

الله وشديد سخطه وهو دأب ابنا الدنيا الغافلين عن الله دون
العلما به وهذا لان العلما ثلاثة كما قاله سهل التستري عالم
بامر الله لا بايام الله وهو المفتون في الحلال والحرام وهذا العلم
لا يورث الخشية وعالم بالله لا بامر الله ولا بايام الله وهو عموم
المومنين وعالم بالله وبايام الله وهم الصديقون في الخشية والخشوع
انما يغلب عليهم واراد بايام الله انواع عقوباته الغامضة ونعمه
الباطنة التي افاضها على القرون السالفة واللاحقة فمن احاط علمه بذلك
عظم خوفه وظهر خشوعه قال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم
وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تعلمون وليتواضع لكم من
يتعلم منكم ولا تكونوا من جبابرة العلما فلا يقوم علمكم بجهلكم
ويقال ما اتى الله تعالى عبدا علما الا اتاه الله معه حلما وتواضعا
وحسن خلق ورفقا فذلك هو العلم النافع وفي الاثر ان من اتاه الله
عز وجل علما وزهدا وتواضعا وحسن خلق فهو امام المتقين وفي الخبر
ان من خيار امتي قوم يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويبكون سرا
من خوف عذابه ابدانهم في الارض وقلوبهم في السماء ارواحهم في الدنيا
وعقولهم في الاخرة يتمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة وقال
الحسن الحلم وزير العلم والرفق ابوه والتواضع سرباله وقال بشر

والخشوع م

وبامر الله صح

ابن الحارث من طلب الرياسة بالعلم فتقرب الى الله ببغضه فانه
مقيت في السما والارض وروي في الاسرائيليات ان حكيما من الحكما
صنف ثلثمائة وستين مصحفا في الحكمة حتى وصف بالحكمة
فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل لفلان قد ملأت الارض نفاقا ولم تردني
بشيء من ذلك فاني لا اقبل من نفاقك شيئا فندم الرجل وترك ذلك
وخالط العامة ومشى في الاسواق وواكل بني اسرائيل وتواضع
في نفسه فاوحى الله تعالى اليه قل له الآن وافقت رضاي
وحكى الاوزاعي عن بلال بن سعيد انه كان يقول ينظر
احدكم الى الشرطي فيستعيذ بالله منه وينظر الى علما الدنيا
المتصنعين للخلق المتشوفين الى الرياسة فلا يمقته هذا الحق
بالمقت من ذلك الشرطي وروي انه قيل يا رسول الله اي الاعمال
افضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله
قيل واي الاصحاب خير قال صاحب ان ذكرت اعانك وان نسيت
ذكرك قيل فاي الاصحاب شر قال صاحب ان سكت لم يذكرك
وان ذكرت لم يعنك قيل فاي الناس اعلم قال اشدهم لله خشية
قالوا فاخبرنا بخيارنا نجالسهم قال الذين اذا رؤوا ذكر الله تعالى
قالوا فاي الناس شرا قال اللهم غفرا قالوا اخبرنا يا رسول

رؤيتهم

قال العلما اذا فسد واوقال صلى الله عليه وسلم لن اكثر
الناس امانا يوم القيمة اكثرهم فكرا في الدنيا واكثر الناس
ضحكا في الاخرة اكثرهم بكاء في الدنيا واشد الناس فرحا
في الاخرة اطولهم حزنا في الدنيا وقال علي رضي الله عنه في
خطبته ذمتي رهينة وانا زعيم لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا
يظما على الهدى سنخ اصل وان اجهل الناس من لا يعرف قدره
وان ابغض الناس الى الله رجل قمش علما اغار في اغباش الفتنة
سماه اشباه الناس وارذالهم عالما ولم يغن في العلم يوما
سالما بكر فاستكثر ما قل منه خير مما كثر حتى اذا ما ارتوى من ما
اجن واكثر من غير طائل جلس للناس مفتيا لتخليص ما التبس على غيره
وان نزلت به احدى المبهمات هيا حشو الراى من رايه فهو من قطع
الشبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري اخطا ام اصاب
ركاب جهالات خباط عشوات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم
ولا يعض على العلم بضرس قاطع فيغنم تبكي منه الدما وتستحل بقضائه
الفروج الحرام ولا ملي والله باصدار ما ورد عليه ولا هو اهل لما
فوض به اولئك الذين حلت عليهم المثلات وحقت عليهم النياحة والبكا
ايام الحياة وقال علي رضي الله عنه اذا سمعتم العلم فاكظموا

ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب وقال بعض السلف من
ضحك ضحكة مج من العلم مجة وقيل اذا جمع المعلم ثلاثا تمت النعمة
به على المتعلم الصبر والتواضع وحسن الخلق واذا جمع المتعلم
ثلاثا تمت النعمة به على المعلم العقل والادب وحسن الفهم وعلى
الجملة فالاخلاق التي وردبها القران لا ينفك عنها علما الاخرة لانهم
يتعلمون القران للعمل لا للدراسة قال ابن عمر لقد عشنا برهة
من الدهر وان احدنا يوتى الايمان قبل القران وتنزل السورة فيعلم
حلالها وحرامها وزاجرها وما ينبغي ان توقف عنده منها ولقد رايت
رجالا يوتى احدهم القران قبل الايمان فيقرا ما بين فاتحته الى خاتمته
لا يدري ما امره وما زاجره وما ينبغي ان يقف عنده وينثره نثر الدقل
وفي خبر اخر مثل معناه كنا اصحاب رسول الله اوتينا الايمان
قبل القران وسياتي بعدكم قوم يوتون القران قبل الايمان يقيمون
حروفه ويضيعون حدوده ويقولون قرانا فمن اقرا منا وعلمنا فمن
اعلم منا فذلك حظهم وفي لفظ اخر اولئك شرار هذه الامة وقيل
خمس من الاخلاق هي من علامات علما الاخرة مفهوم من خمس ايات
الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وايثار الاخرة على الدنيا
وهو الزهد اما الخشية فمن قوله تعالى انما يخشى الله من عباده

الحاكم وصححه على شرط الشيخين والبيهقي ع

ابن ماجه من حديث جندب مختصرا مع الاختلاف ه ع

العلماء واما الخشوع فمن قوله تعالى خاشعين لله لا يشترون
بآيات الله ثمنا قليلا واما التواضع فمن قوله تعالى واخفض جناحك
لمن اتبعك واما حسن الخلق فمن قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت
لهم واما الزهد فمن قوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم ويلكم
ثواب الله خير ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله
فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فقيل ما هذا الشرح
فقال ان النور اذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل
فهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى
دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله ومنها ان يكون اكثر
بحثه عن علم الاعمال عما يفسدها ويشوش القلب ويهيج الوساوس
ويثير الشر فان اصل الدين التوقي من الشر ولذلك قيل
عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه
ولان الاعمال الفعلية قريبة واقصاها المواظبة على ذكر الله
بالقلب واللسان وانما الشان في معرفة ما يفسدها ويشوشها
وهذا مما يكثر شعبه ويطول تفريعه وكل ذلك مما يغلب مسيس
الحاجة اليه وتعم به البلوى في سلوك طريق الآخرة واما علماء
الدنيا فانهم يتبعون غرائب التفريع في الاقضية والحكومات

ويتعبون في وضع صور تقضي الدهور ولا يقع وان وقع
فانما يقع لغيرهم لا لهم فاذا وقع كان في القائمين به كثرة ويتركون
ما يلازمهم ويتكرر عليهم آناء الليل والنهار في خواطرهم ووساوسهم
واعمالهم وما ابعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم لهم
بغيره النادر ايثارا للقبول والتقرب من الخلق على القرب من الله تعالى
وشرها في ان يسميه البطالون من ابناء الدنيا فاضلا محققا عالما
بالدقائق وجزاؤه من الله ان لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق بل يتكدر
عليه صفوه بنوائب الزمان ثم يرد القيامة مفلسا متحسرا على ما
يشاهده من ربح العاملين وفوز المقربين وذلك هو الخسران المبين
ولقد كان الحسن البصري اشبه الناس كلاما بكلام الانبياء
واقربهم هديا من الصحابة اتفقت الكلمة في حقه على ذلك وكان اكثر
كلامه في خواطر القلوب وفساد الاعمال ووساوس النفوس والصفا[ت]
الخفية الغامضة من شهوات النفس وقد قيل له يا ابا سعيد انك
تتكلم بكلام ليس يسمع من غيرك فمن اين اخذته فقال من حذيفة بن
اليمان وقيل لحذيفة نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة
فمن اين اخذته قال خصني به رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
الناس يسألونه عن الخير وكنت اسأله عن الشر مخافة ان اقع فيه

وعلمت ان الخير لا يسبقني وقال مرة فعلمت ان من لا يعرف الشر لا يعرف الخير وفي لفظ اخر كان الناس يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا يسألونه عن فضائل الاعمال وكنت اقول يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما راني اسأله عن افات الاعمال خصني بهذا العلم وكان حذيفة ايضا قد خص بعلم المنافقين وافرد بمعرفة علم النفاق واسبابه ودقائق الفتن فكان عمر وعثمان واكابر الصحابة رضي الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة وكان يسأل عن المنافقين فيخبر باعداد من بقي ولا يخبر باسمائهم وكان عمر يسأله عن نفسه هل يعلم به شيئا من النفاق فبرأه من ذلك وكان عمر اذا دعي الى جنازة نظر فان حضر حذيفة صلى عليها والا ترك ٥ وكان يسمى صاحب السر والعناية بمقامات القلب واحواله هو داب علما الاخرة لان القلب هو الساعي الى قرب الله وقد صار هذا الفن غريبا مندرسا فاذا تعرض العالم لشي منه استغرب واستبعد وقيل هذا تزويق المذكرين فاين التحقيق في دقائق الجادلات ولقد صدق من قال

الطرق شتى وطريق الحق مفردة ٥ والسالكون طريق الحق افراد ٥
لا يعرفون ولا يدرون مقصدهم ٥ فهم على مهل يمشون قصاد ٥

ويرون التحقيق

الناس في غفلة عما يراد بهم فجلهم عن سبيل الحق رقاد ٥ وعلى الجملة لا يميل اكثر الخلق الا الى الاسهل والاوفق لطباعهم فان الحق مر والوقوف عليه صعب وادراكه شديد وطريقه مستوعر لا سيما معرفة صفات القلب وتطهيرها عن الاخلاق المذمومة فان ذلك نزع للروح على الدوام وصاحبه ينزل منزلة شارب الدوا يصبر على مرارته رجا الشفا وينزل منزلة من جعل مدة العمر صومه فهو يقاسي الشدائد ليكون فطره عند الموت ٥ ومتى يكثر الرغبة في مثل هذا الطريق ولذلك قيل انه كان في البصرة مائة وعشرون متكلما في الوعظ والتذكير ولم يكن من يتكلم في علم اليقين واحوال القلوب وصفات الباطن الا ثلاثة مثل سهل التستري والصبحي وعبد الرحيم وكان يجلس الى اوليك الخلق الكثير الذي لا يحصى والى هولا عدد يسير قل ما يجاوز العشرة لان النفيس العزيز لا يصلح الا لاهل الخصوص وما يبذل للعموم فامره قريب ومنها ان يكون اعتماده في علومه على بصيرته وادراكه بصفا قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره وانما المقلد صاحب الشرع صلوات الله عليه فيما امر به وقاله وانما تقلد الصحابة من حيث ان فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اذا

ستة؟

قلد صاحب الشرع صلوات الله عليه في تلقي اقواله وافعاله
بالقبول فينبغي ان يكون حريصا على فهم اسراره فان المقلد انما يفعل
الفعل لان الرسول صلى الله عليه وسلم فعله لا بد ان يكون لسر
فيه فينبغي ان يكون شديد البحث عن اسرار الاعمال والاقوال فانه
ان اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء للعلم ولم يكن عالما ولذلك
كان يقال فلان من اوعية العلم وكان لا يسمى عالما اذ كان
شانه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والاسرار ومن انكشف عن قلبه
الغطا واستنار بنور الهداية صار في نفسه متبوعا مقلدا
فلا ينبغي ان يقلد غيره ولذلك قال ابن عباس ما من احد الا يوخذ
من علمه ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان تعلم
من زيد بن ثابت الفقه وقرا على ابي بن كعب ثم خالفهما في الفقه والقراة
وقال بعض السلف ما جانا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبلناه على الراس والعين وما جانا عن الصحابة فناخذ ونترك
وما جانا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال وانما فضل الصحابة
لمشاهدتهم قراين احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتلاق
قلوبهم امورا ادركت بالقراين فسددهم ذلك الى الصواب من حيث لا
يدخل في الرواية والعبارة اذ فاض عليهم من نور النبوة ما يحرسهم في

الاكثر عن الخطا واذا كان الاعتماد على المسموع من الغير
تقليدا غير مرضي فالاعتماد على الكتب والتصانيف ابعد بل الكتب
والتصانيف محدثة لم يكن شي منها في زمان الصحابة وصدر التابعين
وانما حدثت بعد ماية وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة
وجلة التابعين وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين
بل كان الاولون يكرهون كتب الاحاديث وتصنيف الكتب لئلا
يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبر والتفكر
وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ولذلك كره ابو بكر الصديق رضي
الله عنه وجماعة من الصحابة تصحيف القرآن في مصحف وقالوا
كيف نفعل شيا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وخافوا
اتكال الناس على المصاحف وقالوا نترك القرآن يتلقاه بعضهم من
بعض بالتلقين والاقرا ليكون هو شغلهم وهمهم حتى اشار عمر وبقية
الصحابة رضي الله عنهم بكتبة القرآن خوفا من تخاذل الناس وتكاسلهم
وحذرا من ان يقع نزاع فلا يوجد اصل يرجع اليه في كلمة او قراة
من المتشابهات فانشرح صدر ابي بكر لذلك فجمع القرآن في مصحف
واحد وكان ابن حنبل ينكر على مالك تصنيفه الموطا ويقول ابتدع ما
لم تفعله الصحابة وقيل اول كتاب صنف في الاسلام كتاب ابن

جرح في الاثار وحروف التفاسير عن مجاهد وعطا واصحاب ابن
عباس بمكه ثم كتاب معمر بن راشد الصنعاني باليمن جمع فيه
سننا منثوره مبوبه ثم كتاب الموطا بالمدينه لمالك بن انس ثم
جامع سفين الثوري ثم في القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام
وكثر الخوض في الجدل والخوض في ابطال المقالات ثم مال الناس
اليه والى القصص والوعظ بها فاخذ علم المتقين في الاندراس من
ذلك الزمان فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب والتفتيش
عن صفات النفس ومكايد الشيطان واعرض عن ذلك الا الاقلون

الأم

فصار يسمى المجادل المتكلم عالما والقاص المزخرف كلامه
بالعبارات المسجعة عالما وهذا لان العوام هم المستمعون اليهم
وكان لا يتميز لهم حقيقة العلم عن غيره ولم يكن سيرة الصحابة وعلومهم
ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون بها مباينة هؤلاء لهم فاستمر
عليهم اسم العلما وتوارث اللقب خلف عن سلف واصبح علم الاخره مطويا
وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام الا عن الخواص منهم كان اذا قيل لهم
فلان اعلم ام فلان فكان يقول فلان اكثر علما وفلان اكثر كلاما
وكان الخواص يدركون الفرق بين العلم وبين القدرة على الكلام هكذا
ضعف الدين في قرون سالفة فكيف الظن بزمانك هذا وقد انتهى

الامر الى ان مظهر الانكار يستهدف للنسبة الى الجنون فالاولى
ان يشتغل الانسان بنفسه ويسكت ومنها ان يكون شديد التوقي
من محدثات الامور وان اتفق عليه الجمهور فلا يغرنه اطباق
الخلق على ما احدث بعد الصحابة وليكن حريصا على التفتيش عن
احوال الصحابة وسيرتهم واعمالهم وما كان فيه اكثر همهم اكان في
التدريس والتصنيف والمناظرة والقضا والولاية وتولي الاوقاف
والوصايا واكل مال الايتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم في
العشره او في الخوف والحزن والتفكر والمجاهده ومراقبة البا

طن

والظاهر واجتناب دقيق الاثم وجليله والحرص على ادراك خفايا
شهوات النفس ومكايد الشيطان الى غير ذلك من علوم الباطن واعلم
تحقيقا ان اعلم اهل الزمان واقربهم الى الحق اشبههم بالصحابة واعرفهم
بطريق السلف فمنهم اخذ الدين ولذلك قال علي رضي الله عنه خيرنا
اتبعنا لهذا الدين لما ان قيل له خالفت فلانا فلا ينبغي ان يكترث بمخالفة
اهل العصر في موافقة اهل عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فان
الناس رووا رايا فيما هم فيه لميل طباعهم اليه ولم تسمح نفوسهم بالاعتراف
بان ذلك سبب الحرمان عن الجنة فادعوا انه لا سبيل للجنة سواه ولذلك
قال الحسن محدثان احدثا في الاسلام رجل ذو راي سوء زعم ان الجنة

لمن رأى مثل رأيه ومترف يعبد الدنيا لها يغضب ولها يرضى واياها
يطلب فارفضوهما الى النار وان رجلا اصبح في هذه الدنيا بين
مترف يدعوه الى دنياه وصاحب هوى يدعوه الى هواه وقد عصمه
الله تعالى منهما يحن الى السلف الصالح يسأل عن افعالهم ويقتص آثارهم
متعرض لاجر عظيم فكذلك فكونوا وقد روى عن ابن مسعود موقوفا
ومرفوعا انه قال انما هما اثنان الكلام والهدى فاحسن الكلام
كلام الله عز وجل واحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم
الا واياكم ومحدثات الامور فان شر الامور محدثاتها ان كل
محدث بدعة وان كل بدعة ضلالة الا لا يطولن عليكم الامد فتقسو
قلوبكم الا كل ما هو آت قريب الا ان البعيد ما ليس آتيا ٥ وفي
خطبة النبي صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس
وانفق من مال اكتسبه من غير معصية وخالط اهل الفقه والحكمة
طوبى لمن ذل في نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن
الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وانفق الفضل من ماله وامسك الفضل
من قوله ووسعته السنة ولم يعدها الى بدعة وكان ابن مسعود يقول
حسن الهدى في آخر الزمان خير من كثير العمل وقال انتم في زمان
خيركم فيه المسارع الى الامور وسيأتي بعدكم زمان يكون خيرهم

المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات وقد صدق فمن لم يتثبت في
هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا
هلك كما هلكوا وقال حذيفة اعجب من هذا ان معروفكم
اليوم منكر زمان قد مضى وان منكركم معروف زمان قد اتى وانكم
لا تزالون بخير ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف به ولقد
صدق فان اكثر معروفات هذه الاعصار منكرات في عصر الصحابة
اذ من غرر المعروفات في زماننا تزيين المساجد وتجليلها وانفاق
الاموال العظيمة في دقائق عمارتها وفرش البسط الرفيعة فيها وقد
كان يعد فرش البواري في المسجد بدعة وقيل انه من محدثات
الحجاج فقد كان الاولون قل ما يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا
وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل والمناظرة من اجل علوم الزمان
ويزعمون انه اعظم القربات وقد كان ذلك من المنكرات ومن ذلك
التلحين في الاذان والقرآن ومن ذلك التقشف في النظافة والوسوسة
في الطهارة وتقدير الاسباب البعيدة في نجاسة الثياب مع التساهل في
حل الاطعمة وتحريمها الى نظائر لذلك ولقد صدق ابن مسعود حيث قال
انتم اليوم في زمان الهوى فيه تابع العلم وسيأتي عليكم زمان يكون العلم
تابعا للهوى وكان احمد بن حنبل يقول تركوا العلم واقبلوا على الغرائب

ما اقل الفقه فيهم والله المستعان وقال مالك بن انس لم يكن
الناس فيما مضى يسألون عن هذه الامور كما يسال الناس اليوم ولم
يكن العلما يقولون حرام ولا حلال ادركتهم يقولون مكروه ومستحب
معناه انهم كانوا ينظرون في دقايق الكراهية والاستحباب
واما الحرام فكان تجنبه ظاهرا وكان هشام بن عروة يقول لا تسالوهم
اليوم عما احدثوا فانهم قد اعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنة فانهم
لا يعرفونها وكان سليمان الداراني يقول لا ينبغي لمن الهم شيئا من
الخير ان يعمل به حتى يسمع به في الاثر فيحمد الله تعالى اذ وافق ما في نفسه
وانما قال هذا لان ما ابدع من الاراء قد قرع الاسماع وعلق بالقلوب
فربما يشوش صفا القلب فيتخيل بسببه الباطل حقا فيحتاط فيه
بالاستظهار بشهادة الاثار ولهذا لما احدث مروان المنبر في
صلاة العيد عند المصلى قام اليه ابو سعيد الخدري وقال يا مروان
ما هذه البدعة فقال انها ليست بدعة هي خير مما تعلم ان الناس
قد كثروا فاردت ان يبلغهم الصوت فقال ابو سعيد والله لا ياتون
خيرا مما اعلم ابدا والله لا صليت وراك اليوم وانما انكر ذلك لان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوكا في خطبة العيد والاستسقا
على قوس او عصا لا على المنبر وفي الحديث المشهور من احدث في ديننا ما

متفق عليه من حديث عائشة بلفظ ... من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد

ليس منه فهو رد وفي خبر اخر من غش امتي فعليه لعنة الله
والملائكة والناس اجمعين قيل يا رسول الله وما غش امتك قال
ان يبتدع بدعة يحمل الناس عليها وقال صلى الله عليه وسلم ان
لله تعالى ملكا ينادي كل يوم من خالف سنة رسول الله لم
تنله شفاعته ومثال الجاني على الدين بابداع ما يخالف السنة
بالنسبة الى من يذنب ذنبا مثال من عصى الملك في قلب دولته بالنسبة
الى من خالف امر الملك في خدمة معينة وذلك قد يغفر فاما قلب
الدولة فلا وقال بعض العلماء ما تكلم فيه السلف فالسكوت
عنه جفا وما سكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف وقال اخر
الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى وقال
صلى الله عليه وسلم عليكم بالنمط الاوسط الذي يرجع اليه العالي
ويرتفع اليه التالي وقال ابن عباس ان الضلالة لها حلاوة
في قلوب اهلها قال الله تعالى اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وقال
افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فكل ما احدث بعد الصحابة مما جاوز
قدر الضرورة والحاجة فهو من اللعب واللهو وحكي عن ابليس لعنه الله
انه بث جنوده في وقت الصحابة فرجعوا اليه محسورين فقال
ما شانكم فقالوا ما راينا مثل هؤلاء ما نصيب منهم شيئا قد اتعبونا

الدارقطني في الافراد من حديث انس باسناد ضعيف جدا

لم اجد له اصلا

ابو عبيد في غريب الحديث موقوفا على علي بن ابي طالب ولم اجده مرفوعا

فيقول انكم لا تقدرون عليهم قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزيل
ربهم ولكن سياتى بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم فلما جا التابعون
بث جنوده فرجعوا اليه منكسرين فقالوا ما راينا اعجب من هولاء
نصيب منهم الشي بعد الشي من الذنوب فاذا كان اخر النهار اخذوا
فى الاستغفار فتبدل سياتهم حسنات فقال انكم لن تنالوا من
هولا شيا لصحة توحيدهم واتباعهم سنة نبيهم ولكن سياتى
بعد هولا قوم تقر اعينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم
بازمة اهوايهم كيف شئتم ان استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون
فتبدل سياتهم حسنات قال فجا قوم بعد القرن الاول فبث
فيهم الاهوا وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها دينا لا
يستغفرون منها ولا يتوبون عنها فسلط عليهم الاعدا وقادوهم
اين شاوا فان قلت من اين عرفت قائل هذا ما قاله ولم تشاهد ابليس
ولا حدثه بذلك فاعلم ان ارباب القلوب كاشفون باسرار الملكوت
تارة على سبيل الالهام بان يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لا
يعلمون وتارة على سبيل الرويا الصادقة وتارة فى اليقظة على سبيل
كشف المعانى بمشاهدة الامثلة كما يكون فى المنام وهذا اعلى
الدرجات وهى من درجات النبوة العالية كما ان الرويا الصادقة

جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة فاياك ان يكون حظك من
العلم انكار كل ما جاوز حد قصورك ففيه هلك المتحذلقون
من العلما الزاعمين انهم احاطوا بعلوم المعقول والجهل خير
من عقل يدعو الى انكار مثل هذه الامور لاولياء الله ومن انكر
ذلك للاوليا لزمه انكاره للانبياء وكان خارجا عن الدين بالكلية
وقال بعض العارفين انما انقطع الابدال فى اطراف الارض واستتروا
عن اعين الجمهور لانهم لا يطيقون النظر الى علما الوقت لانهم عندهم
جهال بالله تعالى وهم عند انفسهم وعند الجاهلين علماء قال
سهل التسترى ان من اعظم المعاصى الجهل بالجهل والنظر الى العامة
واستماع كلام اهل الغفلة وكل عالم خاض فى الدنيا فلا ينبغى ان يصغى
الى قوله بل ينبغى ان يتهم فى كل ما يقول لان كل انسان يخوض
فيما احب ويدفع ما لا يوافق محبوبه ولذلك قال الله تعالى ولا
تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا والعوام
العصاة اسعد حالا من الجهال بطريق الدين المعتقدين انهم
العلما لان العاصى معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب وهذا العامى
الجاهل الظان انه عالم وانما هو مشتغل به من العلوم التى هى وسا يله
الى الدنيا من سلوك طريق الاخرة والدين فلا يتوب ولا يستغفر بل

لا يزال مستمرا عليه الى الموت واذا غلب هذا على اكثر الناس الا
من عصمه الله وانقطع الطمع من اصلاحهم فالاسلم للدين الاحتياط
العزلة والانفراد عنهم كما سياتي في كتاب العزلة بيانه ولذلك
كتب يوسف بن اسباط الى حذيفة المرعشي ما ظنك بمن بقي لا يجد
احدا يذكر الله تعالى معه الا كان اثما او كانت مذاكرته معصية
وذلك انه لا يجد اهله ولقد صدق فان مخالطة الناس لا تنفك
عن غيبة او عن سماع غيبة او عن سكوت على منكر واحسن احواله
ان يفيد علما ولو تامل علم ان المستفيد انما يريد ان يجعل ذلك آلة
في طلب الدنيا ووسيلة الى الشر فيكون هو معينا له وردا وظهيرا
ومهيئا لاسبابه كالذي يبيع السيف من قاطع الطريق فالعلم
كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف للغزو ولذلك لا يرخص في
البيع ممن يعلم بقرائن احواله انه يريد به الاستعانة على قطع الطريق
فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة تجمع كل واحد
منها جملا من اخلاق علماء السلف فكن احد رجلين اما متصفا
بهذه الصفات او معترفا بالتقصير مع الاقرار به واياك ان تكون
من الثالث فتلبس على نفسك بان تبدل آلة الدنيا بالدين وتشبه سيرة
البطالين بسيرة العلماء الراسخين وتلتحق بجهلك وانكارك بزمرة

الهالكين الآيسين نعوذ بالله من خدع الشياطين فيها هلك
الجمهور فنسأل الله تعالى ان يجعلنا ممن لا تغره الحياة الدنيا
ولا يغره بالله الغرور

الباب السابع في العقل وشرفه

وحقيقته واقسامه بيان شرف العقل اعلم ان هذا لا يحتاج الى
تكلف في اظهاره لا سيما وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل والعقل منبع
العلم واساسه والعلم يجري منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من
الشمس والرؤية من العين وكيف لا يشرف ما هو وسيلة السعادة
في الدنيا والآخرة او كيف يستراب فيه والبهيمة مع قصور تمييزها
تحتشم العقل حتى ان اعظم البهائم بدنا واشدها ضراوة واقواها
سطوة اذا رأى صورة الانسان احتشمه وهابه لشعوره باستيلائه
عليه بما خص به من ادراك الحيل ولذلك قال عليه السلام الشيخ
في قومه كالنبي في امته وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر شخصه ولا لزيادة
قوته بل لزيادة تجربته التي هي ثمرة عقله ولذلك ترى الاتراك
والاكراد واجلاف الخلق مع قرب رتبتهم من البهائم يوقرون المشايخ
بالطبع ولذلك قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما وقعت اعينهم عليه واكتحلوا بغرته الكريمة هابوه وتراءى لهم ما كان

بيما صح

ابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عمر وابو منصور الديلمي من حديث ابي رافع باسناد ضعيف ع

حين صح

يتلألأ على ديباجة وجهه من نور النبوة وان كان ذلك باطنًا في
نفسه بطون العقل وشرف العقل مدرك بالضرورة وانما القصد
ان نورد ما وردت به الاخبار والايات في ذكر شرفه وقد سماه الله
تعالى نورًا في قوله الله نور السموات والارض وسمى العلم المستفاد
منه روحًا ووحيًا فقال واوحينا اليك روحًا من امرنا وقال
اومن كان ميتًا فاحييناه وحيث ذكر النور والظلمة اراد به
العلم والجهل كقوله يخرجهم من الظلمات الى النور وقال صلى
الله عليه وسلم يا ايها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل
تعرفوا به ما امرتم به وما نهيتم عنه واعلموا انه ينجدكم عند
ربكم واعلموا ان العاقل من اطاع الله وان كان دميم المنظر حقير
الخطر دني المنزلة رث الهيئة وان الجاهل من عصى الله وان كان جميل
المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحًا نطوقًا
والقردة والخنازير اعقل عند الله ممن عصاه ولا تغتروا بتعظيم
اهل الدنيا اياكم فانكم من الخاسرين وقال صلى الله عليه وسلم
اول ما خلق الله العقل قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر
ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقًا اكرم علي ان كان عرضًا فكيف
خلق قبل الاجسام وان كان جوهرًا فكيف يكون جوهرًا قائمًا بنفسه

لا تتحيز فاعلم ان هذا من علم المكاشفة ولا يليق ذكره بعلم المعا
ملة وغرضنا علم المعاملة وعن انس بن مالك قال اثنى قوم على رجل
عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كيف عقل الرجل فقالوا نخبرك عن اجتهاده في العبادة
واصناف الخير وتسألنا عن عقله فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وانما ترتفع
العباد غدا في الدرجات زلفى من ربهم على قدر عقولهم وعن عمر انه
صلى الله عليه وسلم قال ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه
الى هدى ويرده عن ردى وما تم ايمان عبد ولا استقام دينه حتى
كمل عقله وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليدرك بحسن
خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله
فعند ذلك تم ايمانه واطاع ربه وعصى عدوه ابليس وعن ابي
سعيد الخدري انه عليه السلام قال لكل شيء دعامة ودعامة
المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته اما سمعتم قول الفاجر
لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وعن عمر رضي الله عنه
انه قال لتميم الداري ما السودد فيكم قال العقل قال صدقت سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتك فقال كما قلت ثم

الطبراني في الكبير والاوسط من حديث ابي امامة وابو نعيم من حديث عائشة باسنادين ضعيفين ع

[illegible]

ابن المحبر في العقل بتمامه والترمذي الحكيم في النوادر مختصرًا ع

ابن المحبر في العقل وعند الحارث ابن ابي اسامة ع

ابن المحبر من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده والحديث عند الترمذي مختصرًا دون قوله ولا يتم [illegible] من حديث عائشة وصححه ع

ابن المحبر وعنه الحارث ع

ابن المحبر وعنه الحارث ع

قال سألت جبريل ما السودد فقال العقل وعن البرا قال
كثرت المسايل يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ايها الناس ان لكل شي مطيه واحسنهم دلاله ومعرفه بالحجه
افضلهم عقلا وعن ابى هريرة قال لما رجع رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن غزوة احد سمع الناس يقولون كان فلان اشجع من
فلان وفلان ابلي ما لم يبل غيره ونحو هذا فقال النبى صلى الله عليه
وسلم اما هذا فلا علم لكم به قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال
انهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل وكان نصرهم ونيتهم على
قدر عقولهم فاصيب منهم من اصيب على منازل شتى فاذا كان يوم القيمة
اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم وعن البرا ابن عازب
انه صلى الله عليه وسلم قال جدّ الملايكه واجتهدوا فى طاعة الله بالعقل
وجدّ المومنون من بنى ادم على قدر عقولهم فاعلمهم بطاعة الله اوفرهم
عقلا وعن عايشه قالت قلت يا رسول الله باى شي تتفاضل
الناس فى الدنيا قال بالعقل قلت وفى الاخرة قال بالعقل قلت
اليس انما يجزون باعمالهم فقال يا عايشة وهل عملوا الا بقدر ما
اعطاهم الله تعالى من العقل فبقدر ما اعطوا من العقل كانت اعمالهم
وبقدر ما عملوا يجزون وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم لكل شي آله وعده وان آلة المومن العقل ولكل
شي مطيه ومطية المرء عقله ولكل شي دعامه ودعامة الدين
العقل ولكل قوم غايه وغاية العباد العقل ولكل قوم راعى وراعى
العابدين العقل ولكل تاجر بضاعه وبضاعة المجتهدين العقل ولكل
اهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل ولكل خراب عماره وعمارة
الاخرة العقل ولكل امرى عقب ينسب اليه ويذكر به وعقب الصديقين
الذين ينسبون اليه ويذكرون به العقل ولكل سفر فسطاط
وفسطاط المومنين العقل وقال صلى الله عليه وسلم ان احب
المومنين الى الله من نصب فى طاعة الله ونصح لعباده المومنين وكمل
عقله ونصح نفسه فابصر وعمل به ايام حياته فافلح وانجح وقال
صلى الله عليه وسلم اتمكم عقلا اشدكم خوفا واحسنكم فيما امر به
ونهى عنه نظرا وان كان اقلكم تطوعا • بيان حقيقة العقل
واقسامه اعلم ان الناس اختلفوا فى حد العقل وحقيقته وذهل
الاكثرون عن كون هذا الاسم مطلقا على معانى مختلفة فصار
ذلك سبب اختلافهم والحق الكاشف للغطا فيه ان العقل اسم يطلق
بالاشتراك على اربعة معانى كما يطلق اسم العين مثلا على معانى
عدة وما يجرى هذا المجرى فلا ينبغى ان يطلب لجميع اقسامه حد واحد

ابن المحبر وعنه الحرث ه ع

ابن المحبر حدثنا ابن عمر دواه ابو منصور الديلمى فى مسند الفردوس باسناد اخر ضعيفه ع

ابن المحبر حدثنا ابى قتادة ه ع

بل نفرد كل قسم بالكشف عنه فالاول الوصف الذي به يفارق
الانسان ساير البهايم وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية
وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذي اراد به الحارث
المحاسبي حيث قال في حد العقل انه غريزة يتهيا بها ادراك العلوم
النظرية وكانه نور يقذف في القلب به يستعد لادراك الاشياء
ولم ينصف من انكر هذا ورد العقل الى مجرد العلوم الضرورية فان
الغافل عن العلوم والنايم يسميان عاقلين باعتبار وجود هذه
الغريزة مع فقد العلوم وكما ان الحياة غريزة تتهيا بها الجسم للحركات
الاختيارية والادراكات الحسية فكذلك العقل غريزة بها
يتهيا بعض الحيوانات للعلوم النظرية ولو جاز ان يسوى بين الانسان
والحمار في الغريزة ويقال لا فرق الا ان الله تعالى بحكم اجرا العادة يخلق
في الانسان علوما وليس يخلقها في الحمار والبهايم لجاز ان يسوى بين
الجماد والحمار في الحياة ويقال لا فرق الا ان الله تعالى يخلق في
الحمار حركات مخصوصة بحكم اجرا العادة فانه لو قدر الحمار جمادا
ميتا لوجب القول بان كل حركة تشاهد منه فالله قادر على خلقها
فيه على الترتيب المشاهد وكما وجب ان يقال لم تكن مفارقته للجماد
في الحركة الا بغريزة اختصت به عبر عنها بالحياة فكذلك مفارقة

الانسان البهايم في ادراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها
بالعقل وهو كالمراة التي تفارق غيرها من الاجسام في حكاية الصور
والالوان بصفة اختصت بها وهي الصقالة وكذلك العين تفارق
الجبهة في هيات وصفات بها استعدت للروية فنسبة هذه
الغريزة الى العلوم نسبة العين الى الروية ونسبة القران والشرع
الى هذه الغريزة في سياقها الى انكشاف العلوم لها كنسبة نور
الشمس الى البصر فهكذا ينبغي ان يفهم هذه الغريزة الثاني
هي العلوم التي تخرج الى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجايزات
واستحالة المستحيلات كالعلم بان الاثنين اكثر من الواحد وان
الشخص الواحد لا يكون في مكانين وهو الذي عناه بعض المتكلمين
حيث قال في حد العقل انه بعض العلوم الضرورية بجواز الجايزات
واستحالة المستحيلات وهو ايضا صحيح في نفسه لان هذه العلوم
موجودة وتسميتها عقلا ظاهر وانما الفاسد ان ننكر تلك
الغريزة ويقال لا موجود الا هذه العلوم الثالث علوم
تستفاد من التجارب بمجاري الاحوال فان من حنكته التجارب
وهذبته المذاهب يقال انه عاقل في العادة ومن لا يتصف
به يقال انه غبي غمر جاهل وهذا نوع اخر من العلوم يسمى

عقلاً الرابع ان ينتهي قوة تلك الغريزه الى ان يعرف عواقب الامور
ويقمع الشهوات الداعيه الى اللذه العاجله ويقهرها فاذا
حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلاً من حيث ان اقدامه
واحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة
العاجلة وهذا ايضاً من خواص الانسان التي بها يتميز عن الحيوان
فالاول هو الاس والسنخ والمنبع والثاني هو الفرع الاقرب
اليه والثالث فرع الاول والثاني اذ بقوة الغريزة والعلوم
الضرورية تستفاد علوم التجارب والرابع هي الثمرة الاخيرة
وهي الغاية القصوى فالاولان بالطبع والاخيران بالاكتساب
ولذلك قال علي رضي الله عنه العقل عقلان فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع اذا لم يكن مطبوع كما لا ينفع الشمس وضوء العين
ممنوع والاول هو المراد بقوله عليه السلام ما خلق الله خلقاً
اكرم عليه من العقل والاخر هو المراد بقوله اذا تقرب الناس
بابواب البر فتقرب انت بعقلك وهو المراد بقوله عليه السلام
لابي الدرداء ازدد عقلاً تزدد من ربك قرباً وقال بأبي انت
وامي وكيف لي بذلك فقال اجتنب محارم الله وادّ فرايض الله تكن
عاقلاً وتعمل بالصالحات من الاعمال تزدد في عاجل الدنيا رفعة

وكرامة وتنل بها من ربك القرب والعز وعن سعيد بن المسيب
ان عمر وابيّ بن كعب وابا هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من اعلم الناس فقال العاقل
فقالوا من اعبد الناس فقال العاقل قالوا فمن افضل الناس فقال
العاقل قالوا اليس العاقل من تمت مروته وظهرت فصاحته وجا
دت كفه وعظمت منزلته فقال عليه السلام ان كل ذلك لما متاع
الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ان العاقل هو المتقي
وان كان في الدنيا خسيساً دنياً وقال في حديث آخر انما
العاقل من امن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته ويشبه ان
يكون الاسم في اصل اللغة لتلك الغريزة وكذى في الاستعمال
وانما اطلق على العلوم من حيث انها ثمرتها كما يعرف الشيء بثمرته
فيقال العلم هو الخشية والعالم من يخشى الله فان العلم الخشيه
ثمرة العلم فيكون كالمجاز لغير تلك الغريزة ولكن ليس الغرض البحث
عن اللغة والمقصود ان هذه الاقسام الاربعه موجودة والاسم
يطلق على جميعها ولا خلاف في وجود جميعها الا في القسم الاول
والصحيح وجودها بل هي الاصل وهذه العلوم كانها مضمنة في
تلك الغريزة بالفطرة ولكن تظهر الى الوجود اذا جرى سبب يخرجها

عقلين

رايت صح

دت

ابن المحبر وفي طريقة الحرث ابن ابي اسامة والترمذي الحكيم في النوادر ع

الى الوجود حتى كان هذه العلوم ليست بشى وارد عليها من
خارج وكانها كانت مستكنة فيه فظهرت ومثاله الماء في الارض
فانه يظهر بحفر القنى ويجتمع ويتميز للحس لا بان يساق اليه شى جديد
وكذلك الدهن في اللوز وما الورد في الورد ولذلك قال
واذ اخذ ربك من بنى ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم
الست بربكم قالوا بلى فالمراد به اقرار نفوسهم لا اقرار السنتهم فانهم
انقسموا فى اقرار الالسنة حيث وجدت الالسنة والاشخاص
ولذلك قال ولئن سالتهم من خلقهم ليقولون الله معناه ان اعتبرت
احوالهم شهدت نفوسهم وبواطنهم فطرة الله التى فطر الناس عليها
اى كل ادمى فطر على الايمان بالله بل على معرفة الاشيا على ما هى
عليها اعنى انها كالمضمنة فيه لقرب استعدادها للادراك
ثم لما كان الايمان مركوزا فى النفوس بالفطرة انقسم الناس الى
من اعرض ونسى وهم الكفار والى من اجال خاطره فتذكر فكان
كمن حمل شهادة فنسيها بغفلة ثم تذكرها ولذلك قال تعالى
لعلهم يتذكرون وليتذكر اولوا الالباب واذكروا نعمة الله
عليكم وميثاقه الذى واثقكم به ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل
من مدكر وتسمية هذا النمط تذكرا ليس ببعيد وكان التذكر

بذلك

فيها

ضربان احدهما ان يذكر صورة كانت حاضرة الوجود فى قلبه لكن
غابت بعد الوجود والآخر ان يكون عن صورة كانت مضمنة فيه
بالفطرة وهذه حقايق ظاهرة للناظر بنور البصيرة ثقيلة على من
تيسر وجه السماع والتقليد دون الكشف والعيان ولذلك تراه
يتخبط فى مثل هذه الايات ويتعسف فى تاويل التذكر واقرار
النفوس انواعا من التعسفات ويتخايل اليه فى الايات والاخبار
ضروب من المناقضات وربما يغلب ذلك عليه حتى ينظر اليها
بعين الاستحقار ويعتقد فيها التهافت ومثاله مثال الاعمى
الذى يدخل دارا فيعثر فيها بالاوانى المصفوفة فى الدار فيقول
ما لهذه الاوانى لا ترفع من الطريق وترد الى مواضعها فيقيل له انها
فى مواضعها وانما الخلل فى البصر فكذلك خلل البصيرة
يجرى مجراه واطم منه واعظم اذ النفس كالفارس والبدن
كالفرس وعمى الفارس اضر من عمى الفرس ولمشابهة بصر الباطن
لبصيرة الظاهر قال الله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى
وقال وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض وسمى ضده
عمى وقال فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور
وقال ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى واضل سبيلا ٥

وهذه الامور التى كشفت للالباب بعضها كان بالبصر وبعضها
بالبصيرة وسمى الكل رؤيه وبالجملة من لم يكن بصيرته الباطنه
ثاقبه لم يعلق به من الدين الا قشوره وامثلته دون لبابه وحقايقه
فهذه اقسام ما ينطلق اسم العقل عليها **بيان تفاوت الناس فى**

العقل اختلف الناس فى تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام
من قل تحصيله بل الاولى والمبادرة الى التصريح بالحق والحق الصريح
فيه ان التفاوت يتطرق الى الاقسام الاربعة سوى القسم الثانى
وهو العلم الضرورى بجواز الجايزات واستحالة المستحيلات فان من
عرف ان الاثنين اكثر من الواحد عرف ايضا استحاله كون شخص فى
مكانين وكون الشى الواحد قديما حادثا وكذا ساير النظاير وكل
من يدركه ادراكا محققا من غير شك فاما الاقسام الثلثه فالتفاوت
يتطرق اليه اما القسم الرابع وهو استيلا القوة على قمع الشهوات
لا يخفى تفاوت الناس فيه بل لا يخفى احوال الشخص الواحد وهذا
التفاوت تارة يكون لتفاوت الشهوة اذ قد يقدر العاقل على
ترك بعض الشهوات دون بعض ولكن غير مقصور عليه فان الشاب
قد يعجز عن ترك الزنا واذا كبر وتم عقله قدر عليه وشهوة الريا
والرياسة قوة بالكبر لا ضعفا وقد يكون سببه التفاوت فى العلم
تزداد

المعرف لغايله تلك الشهوة ولهذا يقدر الطبيب على الاحتما
عن بعض الاطعمة المضرة وقد لا يقدر من يساويه فى العقل اذا
لم يكن طبيبا وان كان يعتقد على الجملة فيه مضرة ولكن اذا
كان علم الطبيب فيه اتم كان خوفه اشد فيكون الخوف جندا
للعقل وعدة فى قمع الشهوة وكسرها ولذلك يكون العالم اقدر على
ترك المعاصى من العامى لقوة علمه بضرر المعاصى واعنى به العالم
الحقيقى دون ارباب الطيالسة واصحاب الهذيان فان كان التفاوت من
جهة الشهوة لم يرجع الى تفاوت العقل وان كان من جهة العلم
فقد سمينا هذا الضرب من العلم عقلا فانه يقوى غريزة العقل
فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية اليه وقد يكون بمجرد التفاوت
فى غريزة العقل فانها اذا قويت كان قمعها للشهوة لا محاله اشد
واما القسم الثالث وهو علم التجارب فتفاوت الناس فيه لا ينكر
فانهم يتفاوتون بكثرة الاصابة وبسرعة الادراك ويكون سببه
اما تفاوت فى الغريزة واما تفاوت فى الممارسة واما الاول وهو
الاصل اعنى الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل الى جحده فانه مثل نور
يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادى اشراقه عند سن التمييز
ثم لا يزال ينمو ويزداد نموا خفى التدريج الى ان يتكامل بقرب الاربعين

مثاله نور الصبح فان اوايله تخفى خفا يشق ادراكه ثم يتدرج الى
الزيادة الى ان يكمل بطلوع قرص الشمس وتفاوت نور البصيرة
كتفاوت نور البصر فالفرق مدرك بين الاعمش وبين الحاد البصر
بل سنة الله جارية في جميع خلقه بالتدرج في الايجاد حتى ان
غريزة الشهوة لا تركز في الصبي عند البلوغ دفعة بغتة بل تظهر
شيا شيا على التدريج وكذى جميع القوى والصفات ومن انكر
تفاوت الناس في هذه الغريزة فكانه منخلع عن ربقة العقل ومن
ظن ان عقل النبي صلى الله عليه وسلم مثل عقل احاد السوادية
واجلاف البوادي فهو اخس في نفسه من احاد السوادية وكيف ننكر
تفاوت الغريزة ولولاه لما اختلف الناس في فهم العلوم ولما
انقسموا الى بليد لا يفهم بالتفهيم بعد تعب طويل من المعلم والى
ذكي يفهم بادنى رمز واشارة والى كامل تنبعث من نفسه حقايق
الامور دون التعليم يكاد زيته يضي ولو لم تمسسه نار وذلك
مثل الانبيا صلوات الله عليهم اذ يتضح لهم في باطنهم امور غامضة
من غير تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالالهام وعن مثله عبر
النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال ان روح القدس نفث في روعي
احبب من احببت فانك مفارقه وعش ما شيت فانك ميت واعمل

ما شيت فانك مجزي به وهذا النمط من تعريف الملايكة للانبيا
تخالف الوحي الصريح الذي هو سماع الصوت بحاسة الاذن ومشا
هدة الملك بحاسة البصر ولذلك اخبر عن هذا بالنفث في الروع
ودرجات الوحي كثيرة والخوض فيها لا يليق بعلم المعاملة بل هو من
علم المكاشفة ولا تظن ان معرفة درجات الوحي تستدعي منصب الوحي
اذ لا يبعد ان يعرف الطبيب المريض درجات الصحة ويعلم درجات
العدالة وان كان خاليا عنها فالعلم شي ووجود المعلوم شي فلا
كل من عرف النبوة والولاية كان نبيا ولا وليا ولا كل من عرف
الورع والتقوى ودقايقه كان تقيا وانقسام الناس الى من يتنبه
من نفسه ويفهم والى من لا يفهم الا بتنبيه وتعليم والى من لا ينفعه
التعليم ايضا ولا ينبهه كانقسام الارض الى ما يجتمع فيه الماء
ويقوى فيتفجر بنفسه عيونا والى ما يحتاج الى الحفر ليخرج في
القنوات والى ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس وذلك لاختلاف
جواهر الارض في صفاتها فكذلك هذا الاختلاف في النفوس في
غريزة العقل ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل ما روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم ساله ابن سلام في حديث طويل في اخر
وصف عظم العرش وان الملايكة قالت يا رب هل خلقت شيا اعظم

من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال هيهات لا
يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال فاني خلقت
العقل اصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من اعطي حبة ومنهم
من اعطي حبتين ومنهم الثلث والاربع ومنهم من اعطي فرقا ومنهم
وسقا ومنهم اكثر من ذلك فان قلت فما بال اقوام من المتصوفة
يذمون العقل والمعقول فاعلم ان السبب فيه ان الناس نقلوا
اسم العقل والمعقول الى المجادله والمناظرات بالمناقضات
والالزامات وهو صنعة الكلام فلم يقدروا على ان يقرروا
عندهم انكم اخطاتم في التسمية اذ كان ذلك لا ينمحي عن قلوبهم بعد
تداول الالسنة فذموا العقل والمعقول وهو المسمى به عندهم
فاما نور البصيرة الباطنة التي بها يعرف الله ويعرف صدق
رسله فكيف يتصور ذمه وقد اثنى الله تعالى عليه وان ذم فما
الذي يحمد فان كان المحمود هو الشرع فبم علم صحة الشرع فان
علم بالعقل المذموم الذي لا يوثق به فيكون الشرع ايضا مذموما
ولا يلتفت الى من يقول انه يدرك بعين اليقين ونور الايمان لا
بالعقل فانا نريد بالعقل ما نريده بعين اليقين ونور الايمان وهي
الصفة الباطنة التي تميز بها الادمي عن البهايم حتى ادرك بها

حقايق الامور واكثر هذه التخبيطات انما ثارت من جهل
اقوام طلبوا الحقايق من الالفاظ فتخبطوا لتخبط اصطلا
حات الناس في الالفاظ وهذا القدر كاف في بيان
العقل والله اعلم بالصواب — تم كتاب العلم

بحمد الله ومنه
وصلواته على سيدنا محمد واله وسلامه
تيلوه كتاب قواعد العقايد
وهو الكتاب الثاني من ربع العبادات
من كتاب احيا علوم الدين تصنيف الامام
حجة الاسلام ابي حامد الغزالي
قدس الله روحه ونور ضريحه
بمحمد واله وسلم.

بلغ مقابلة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه استعين

كتاب قواعد العقايد وفيه اربعة فصول

الفصل الاول في ترجمة عقيدة اهل السنة في كلمتي
الشهادة التي هي احد مباني الاسلام فنقول وبالله التوفيق
الحمد لله المبدي المعيد الفعال لما يريد ذي العرش المجيد والبطش
الشديد الهادي صفوة العبيد الى المنهج الرشيد والمسلك
السديد المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقايدهم
عن ظلمات التشكيك والترديد السالك بهم الى اتباع رسوله
المصطفى صلى الله عليه وسلم واقتفا صحبه الاكرمين
بالتأييد والتسديد المتجلي لهم في ذاته وافعاله بمحاسن اوصافه
التي لا يدركها الا من القى السمع وهو شهيد المعرف اياهم
في ذاته انه واحد لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا ضد له
متفرد لا ند له وانه قديم لا اول له ازلي لا بداية له
مستمر الوجود لا اخر له ابدي لا نهاية له قيوم لا انقطاع
له دايم لا انصرام له لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال
لا يقضى عليه بالانقضا تصرم الاباد وانقراض الاجال بل هو
الاول والآخر والباطن والظاهر **التنزيه** وانه ليس
بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر وانه لا يماثل الاجسام
لا في التقدير ولا في قبول الانقسام وانه ليس بجوهر ولا
تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الاعراض بل لا يماثل
موجودا ولا يماثله موجود وليس كمثله شيء ولا هو مثل
شيء وانه لا يحده المقدار ولا تحويه الاقطار ولا تحيط به
الجهات ولا تكتنفه السموات وانه مستوي على العرش
على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي اراده استواء منزها عن
المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله
العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون
في قبضته وهو فوق العرش وفوق كل شيء الى تخوم الثرى فوقية
لا تزيده قربا الى العرش والسما بل هو رفيع الدرجات عن العرش كما
انه رفيع الدرجات عن الثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود
وهو اقرب الى العبد من حبل الوريد فهو على كل شيء شهيد اذ
لا يماثل قربه قرب الاجسام كما لا يماثل ذاته ذات الاجسام وانه
لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء تعالى عن ان يحويه مكان كما تقدس
عن ان يحده زمان بل كان قبل ان خلق الزمان والمكان وهو الان
على ما عليه كان وانه باين عن خلقه بصفاته ليس في ذاته سواه

ولا في سواه ذاته وانه مقدس عن التغير والانتقال لا تحله
الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال في نعوت جلاله منزها
عن الزوال وفي صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال
وانه في ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئي الذات بالابصار
نعمة منه ولطفا بالابرار في دار القرار واتماما للنعيم بالنظر الى
وجهه الكريم القدرة وانه حي قادر جبار قاهر لا يعتريه
قصور وعجز لا تأخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت
وانه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت له السلطان والقهر
والخلق والامر السموات مطويات بيمينه والخلائق مقهورون
في قبضته وانه المتفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالايجاد
والابداع خلق الخلق واعمالهم وقدر ارزاقهم واجالهم لا يشذ
عن قبضته مقدور ولا يعزب عن قدرته تصاريف الامور لا تحصى
مقدوراته ولا تتناهى معلوماته العلم وانه عالم بجميع
المعلومات محيط بما يجري من تخوم الارضين الى اعلى السموات
لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء بل يعلم
دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء يدرك
حركة الذر في جو الهواء ويعلم السر واخفى ويطلع على

هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر بعلم
قديم ازلي لم يزل موصوفا به في ازل الازال لا بعلم متجدد حاصل
في ذاته بالحلول والانتقال الارادة وانه مريد للكائنات
مدبر للحادثات فلا يجري في الملك والملكوت قليل ولا كثير
صغير او كبير خير او شر نفع او ضر ايمان او كفر عرفان او نكر
فوز او خسر زيادة او نقصان طاعة او عصيان كفر او ايمان
الا بقضائه وقدره وحكمه ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم
يكن لا تخرج عن مشيئته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر بل هو
المبدئ المعيد الفعال لما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه
ولا مهرب للعبد عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على
طاعته الا بمحبته وارادته لو اجتمع الانس والجن والملائكة
والشياطين على ان يحركوا في العالم ذرة او يسكنوها دون ارادته
ومشيئته عجزوا عنه وان ارادته قائمة بذاته في جملة صفاته
لم يزل كذلك موصوفا بها مريدا في ازله لوجود الاشياء في
اوقاتها التي قدرها فوجدت في اوقاتها كما اراده في ازله من غير
تقدم ولا تأخر بل وقعت على وفق علمه وارادته من غير تبدل
ولا تغير دبر الامور لا بترتيب افكار وتربص زمان فلذلك

لا يشغله شان عن شان **السمع والبصر** وانه تعالى سميع
بصير يسمع ويرى ولا يعزب عن سمعه مسموع وان خفي ولا يغيب
عن رؤيته مرئي وان دق ولا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته
ظلام يرى من غير حدقة ولا اجفان ويسمع من غير اصمخة ولا اذان
كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة ويخلق بغير آلة اذ لا يشبه
صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذات الخلق ٥
الكلام وانه متكلم آمر ناهي واعد متوعد بكلام ازلي
قديم قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق فليس بصوت يحدث
من انسلال هوا او اصطكاك اجرام ولا بحرف ينقطع باطباق
شفة او تحريك لسان وان القران والتوراة والانجيل والزبور
كتبه المنزلة على رسله وان القران مقرو بالالسنة مكتوب في
المصاحف محفوظ في القلوب وانه مع ذلك قديم قائم بذات الله
جل جلاله لا يقبل الانفصال والفراق بالانتقال الى القلوب
والاوراق وان موسى سمع كلام الله تعالى بغير حرف ولا صوت كما
يرى الابرار ذات الله تعالى من غير جوهر ولا عرض واذا كانت له
هذه الصفات كان حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما
بالحياة والقدرة والعلم والارادة والسمع والبصر والكلام

لا بمجرد الذات **الافعال** وانه سبحانه لا موجود سواه الا
وهو حادث بفعله وفائض من عدله على احسن الوجوه واكملها
واتمها واعدلها وانه حكيم في افعاله عادل في اقضيته ولا يقاس عدله
بعدل العباد اذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره
فلا يتصور الظلم من الله تعالى فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون
تصرفه فيه ظلما فكل ما سواه من جن وانس وشيطان وملك
وسما وارض وحيوان ونبات وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس
حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وانشاه انشاء
بعد ان لم يكن شيا اذ كان في الازل موجودا وحده ولم يكن معه
غيره فاحدث الخلق بعد اظهارا لقدرته وتحقيقا لما سبق من
ارادته ولما حق في الازل من كلمته لا لافتقاره اليه وحاجته
وانه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب
ومتطول بالانعام والاصلاح لا عن لزوم فله الفضل والاحسان
والنعمة والامتنان اذ كان قادرا على ان يصب على عباده انواع
العذاب ويبتليهم بضروب الالام والاوصاب ولو فعل ذلك لكان
منه عدلا ولم يكن منه قبحا ولا ظلما وانه يثيب عباده على
الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم اذ لا يجب

عليه فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب لاحد عليه حق وان حقه
في الطاعات وجب على الخلق بايجابه على لسان انبيائه لا لمجرد
العقل ولكنه بعث الرسل واظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة
فبلغوا امره ونهيه ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم
فيما جاؤا به **معنى الكلمة الثانية** وهي شهادة الرسول
وانه بعث النبي الامي القرشي محمدا صلى الله عليه وسلم برسالته
الى كافة العرب والعجم والجن والانس فنسخ بشرعه الشرايع
الا ما قرره وفضله على ساير الانبياء وجعله سيد البشر
ومنع كمال الايمان بشهادة التوحيد وهو قول لا اله الا الله
ما لم يقترن بها شهادة الرسول وهو قول محمد رسول الله والزم
الخلق تصديقه بجميع ما اخبر عنه في الدنيا والاخرة وانه
لا يتقبل ايمان عبد حتى يؤمن بما اخبر عنه بعد الموت واوله
سؤال منكر ونكير وهما شخصان مهيبان هايلان يقعدان
العبد في قبره سويا ذا روح وجسد ويسألانه عن التوحيد
والرسالة ويقولان من ربك وما دينك ومن نبيك وهما فتانا
القبر وانه حق وحكمه عدل على الجسم والروح كما يشا ويؤمن بالميزان
ذي الكفتين واللسان وصفه في العظم انه مثل طباق السموات

والارض توزن فيه الاعمال بقدرة الله والصنج يوميذ مثاقيل الذر
والخردل تحقيقا لتمام العدل وتطرح صحايف الحسنات في صورة
حسنة في كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله
بفضل الله وتطرح صحايف السيئات في كفة الظلمة فيخف به الميزان
بعدل الله وان يؤمن بان الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم
احد من السيف وادق من الشعر تزل عليها اقدام الكافرين بحكم الله
فتهوي بهم الى النار وتثبت عليها اقدام المؤمنين فيساقون الى دار
القرار وان يؤمن بالحوض المورود حوض محمد صلى الله عليه وسلم يشرب منه
المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد جواز الصراط ومن شرب منه شربة لم
يظما بعدها ابدا عرضه مسيرة شهر اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل
حوله اباريق عددها نجوم السماء فيه ميزابان يصبان من الكوثر ويؤمن
بالحساب وتفاوت الخلق فيه الى مناقش في الحساب والى مسامح فيه
والى من يدخل الجنة بغير حساب وهم المقربون فيسأل من شاء من الانبياء
عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين ويسأل المبتدعة
عن السنة ويسأل المؤمنين عن الاعمال ويؤمن باخراج الموحدين من النار
بعد الانتقام حتى لا يبقى في جهنم موحد بفضل الله ويؤمن بشفاعة
الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم ساير المؤمنين على حسب جاهه ومنزلته

ومن يعص من المؤمنين ولم يكن له شفيع اخرج بفضل الله فلا يخلد
في النار مؤمن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان
وان يعتقد فضل الصحابة وترتيبهم وان افضل الناس بعد رسول الله
ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي وان يحسن الظن بجميع الصحابة ويثني عليهم
كما اثنى الله تعالى ورسوله عليهم اجمعين وكل ذلك مما وردت به الاخبار
وشهدت به الاثار فمن اعتقد جميع ذلك موقنا به كان من اهل الحق
وعصابة السنة وفارق رهط الضلال وحزب البدعة فنسال
الله كمال اليقين والثبات في الدين لنا ولكافة المسلمين انه ارحم الراحمين

الفصل الثاني في وجه التدريج الى الارشاد وترتيب درجات

الاعتقاد ما ذكرناه من ترجمة العقيدة ينبغي ان يقدم الى الصبي
في اول نشوه ليحفظه حفظا ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئا
فشيئا فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والايقان والتصديق به
وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان فمن فضل الله على الانسان شرح صدره [قلبه]
في اول نشوه للايمان من غير حاجة الى حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك
وجميع عقائد العوام مباديه التلقين المجرد والتقليد المحض نعم يكون
الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتداء على
معنى انه يقبل الازالة بنقيضه لو القي اليه فلا بد من تقويته واثباته

في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ ولا يتزلزل وليس الطريق في تقويته
ان يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القران وتفسيره وقراءة
الحديث ومعانيه ويشتغل بوظائف العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد
رسوخا بما يقرع سمعه من ادلة القرآن وحججه وما يرد عليه من شواهد
الاحاديث وفوايدها وبما يسطع عليه من انوار العبادات ووظائفها [بفها]
وبما يسري اليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسيماهم وسيرتهم
وهيئاتهم في الخضوع لله والخوف منه والاستكانة له فيكون
اول التلقين كالقاء بذر في الصدر ويكون هذه الاسباب كالسقي [او الارض]
والتربية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة
اصلها ثابت وفرعها في السماء وينبغي ان يحرس سمعه من الجدل والكلام
غاية الحراسة فان ما يشوشه الجدل اكثر مما يمهده وما يفسده
اكثر مما يصلحه بل تقويته بالجدل يضاهي ضرب الشجرة بالمدق من الحديد
رجاء تقويتها بان تكثر اجزاؤها وربما يفتتها ويفسدها وهو الاغلب [ذلك مر]
والمشاهدة تكفيك في هذا بيانا فناهيك بالعيان برهانا فقس عقيدة
اهل الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين فترى
اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدواهي والصواعق
وعقيدة المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل في

الهوا تنفيه الريح مرة هكذا ومرة هكذا الا من سمع منهم دليل
الاعتقاد فتلقفه تقليدا كما تلقف نفس الاعتقاد تقليدا ولا فرق
بين التقليد في تعلم الدليل او تعلم المدلول فتلقين الدليل شي والاستقلال
بالنظر شي آخر بعيد عنه ثم الصبي اذا وقع نشوه على هذه العقيدة ان
اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها ولكنه يسلم في الآخرة باعتقاد
الحق اذ لم يكلف الشرع اجلاف العرب اكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه
العقايد فاما البحث والتفتيش وتكلف نظم الادلة فلم يكلفوه اصلا
وان اراد ان يكون من سالكي طريق الآخرة وساعده التوفيق حتى اشتغل
بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة
انفتح له ابواب من الهداية يكشف عن حقايق هذه العقيدة بنور الهي يقذف
في قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعده اذ قال والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا وهو الجوهر النفيس الذي هو غاية الصديقين والمقربين
واليه الاشارة بالسر الذي وقر في قلب ابي بكر الصديق حيث فضل به
الخلق فانكشاف ذلك السر بل تلك الاسرار له درجات بحسب
درجات المجاهدة ودرجات الباطن في النظافة والطهارة عما سوى الله
في الاستضاءة بنور اليقين وذلك كتفاوت الخلق في اسرار الطب والفقه
وساير العلوم اذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطن

في الذكا والفطنة وكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه
مسئلة فان قلت تعلم الجدل والكلام مذموم كتعلم النجوم او هو
مباح او مندوب اليه فاعلم ان للناس في هذا غلوا واسرافا في اطراف
فمن قايل انه بدعة وحرام وان العبد ان لقي الله بكل ذنب سوى الشرك
خير له ان يلقاه بالكلام ومن قايل انه واجب وفرض اما على الكفاية
او على الاعيان وانه افضل الاعمال واعلى القربات فانه تحقيق
لعلم التوحيد ونضال عن دين الله والى التحريم ذهب الشافعي ومالك
واحمد بن حنبل وسفين وجميع اهل الحديث من السلف قال ابن
عبد الاعلى سمعت الشافعي يوم ناظر حفص الفرد وكان من متكلمي
المعتزلة يقول لان يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا
الشرك خير من ان يلقاه بشي من الكلام ولقد سمعت من حفص الفرد
كلاما لا اقدر ان احكيه وقال ايضا قد اطلعت من اهل
الكلام على شي ما ظننته قط ولان يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه
ما عدا الشرك خير له من ان ينظر في الكلام وحكى الكرابيسي ان
الشافعي سئل عن شي من الكلام فغضب وقال سل عن هذا حفص
الفرد واصحابه اخزاهم الله ولما مرض الشافعي دخل عليه حفص الفرد
وقال من انا فقال حفص الفرد لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما

من

انتَ فيهِ وَقالَ ايضًا لو علم الناس ما فى الكلام من الاهواء
لفروا منهُ فرارهم من الاسد وقال ايضًا اذا سمعت الرجل
يقول الاسم هو المسمى او غير المسمى فاشهد بانه من اهل الكلام ولا
دين له وقال الزعفرانى قال الشافعى حكمى فى اصحاب الكلام
ان يضربوا بالجريد ويطاف بهم فى العشاير والقبايل ويقال هذا
جزاء من ترك الكتاب والسنة واخذ فى الكلام وقال احمد بن حنبل
لا يفلح صاحب كلام ابدًا ولا يكاد يرى احد نظر فى الكلام الا
وفى قلبه دغل وبالغ فيه حتى هجر الحرث المحاسبى مع زهده وورعه
بسبب تصنيفه كتابا فى الرد على المبتدعة وقال ويحك الست
تحكى بدعهم اولا ثم ترد عليهم الست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة
البدعة والتفكر فى تلك الشبهات فيدعوهم ذلك الى الراى والبحث
وقال احمد علماء الكلام زنادقة وقال مالك ارايت ان جاء من هو
اجدل منه ايدع دينه كل يوم لدين جديد يعنى ان اقوال المجادلين
تتفاوت وقال مالك لا تجوز شهادة اهل البدع والاهواء فقال
بعض اصحابه فى تاويله انه اراد باهل الاهواء اهل الكلام على اى
مذهب كانوا وقال ابو يوسف من طلب العلم بالكلام تزندق
وقال الحسن لا تجالسوا اهل الاهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم

وقد اتفق اهل الحديث من السلف على هذا ولا ينحصر ما نقل
عنهم من التشديدات فيه وقالوا ما سكت عنه الصحابة مع
انهم اعرف بالحقايق وافصح بترتيب الالفاظ من غيرهم الا لعلمهم
بما يتولد منه من الشر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم هلك
المتنطعون هلك المتنطعون اى المتعمقون فى البحث
والاستقصاء واحتجوا ايضا بان ذلك لو كان من الدين لكان ذلك
اهم ما يامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلم طريقه ويثنى
على اربابه فقد علمهم الاستنجا وندبهم الى حفظ الفرايض واثنى
عليهم ونهى عن الكلام فى القدر وقال امسكوا وعلى هذا استمر
الصحابة والزيادة على الاستاذ طغيان وظلم وهم الاستاذون
والقدوة ونحن الاتباع والتلاميذ واما الفرقة الاخرى
احتجوا بان المحذور من الكلام ان كان هو لفظ الجوهر والعرض وهذه
الاصطلاحات الغريبة التى لم تعهدها الصحابة فالامر فيه
قريب اذ ما من علم الا وقد احدث فيه اصطلاحات لاجل التفهيم
كالحديث والتفسير والفقه ولو عرض عليهم عبارة النقض والكسر
والتركيب والتعدية وفساد الوضع لما كانوا يفهمونه فاحداث
عبارة للدلالة بها على مقصود صحيح كاحداث انية على هيئة حديدة

مسلم من حديث ابن مسعود ٥ ع

مسلم من طريق سلمان الفارسى ٥ ع
ابن ماجه من حديث ابى هريرة
تعلموا الفرايض وعلموا الناس
الحديث ورواه الحاكم والبيهقى
وقال تفرد به حفص بن عمر
بن ابى العطاف وليس بالقوى
وللترمذى من حديث انس
وافرضهم زيد بن ثابت ٥ ع

لا استعمالها في مباح وان كان المحذور هو المعنى فنحن لا نعني به الا معرفة
الدليل على حدث العالم ووحدانية الخالق وصفاته كما جاء به الشرع
فمن اين تحرم معرفة الله بالدليل وان كان المحذور هو التشعب
والتعصب والعداوة والبغضا وما يفضي اليه الكلام فذلك
محرم ويجب الاحتراز عنه كما ان الكبر والريا وطلب الرياسة مما
يفضي اليه علم الحديث والتفسير والفقه وهو محرم يجب الاحتراز
عنه ولكن لا يمنع من العلم لاجل ادائه اليه وكيف يكون ذكر
الحجة والمطالبة بها والبحث عنها محظورا وقد قال الله تعالى
قل هاتوا برهانكم وقال ليهلك من هلك عن بينة وقال
هل عندكم من سلطان اي حجة وبرهان وقال فلله الحجة
البالغة وقال تعالى الم تر الى الذي حاج ابرهيم الى قوله فبهت
الذي كفر اذ ذكر احتجاج ابرهيم ومجادلته وافحامه خصمه في معرض
الثنا عليه وقال تعالى يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا
وقال في قصة فرعون وما رب العالمين الى قوله اولو جئتك
بشيء مبين ○ وعلى الجملة فالقران من اوله الى اخره محاجة مع الكفار
فعمدة ادلة المتكلمين في التوحيد قوله لو كان فيهما الهة الا الله
لفسدتا وفي البعث قل يحييها الذي انشأها اول مرة الى غير ذلك

وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه وقال تعالى

من الأدلة ولم تزل الرسل يحاجون المنكرين ويجادلونهم قال
تعالى وجادلهم بالتي هي احسن والصحابة ايضا كانوا يجادلون
ولكن عند الحاجة وكانت الحاجة اليه قليلة في زمانهم واول من
سن دعوة المبتدعة بالمجادلة الى الحق علي اذ بعث ابن عباس الى
الخوارج يكلمهم فقال ما تنقمون على امامكم قالوا قاتل ولم يسب ولم
يغنم قال ذلك في قتال الكفار ارايتم لو سبيت عايشة في يوم الجمل
فوقعت عايشة في سهم احدكم اكنتم تستحلون منها ما تستحلون من
ملككم وهي امكم في نص الكتاب فقالوا لا ورجع منهم الى الطاعة بمجادلته
الفان وروي ان الحسن ناظر قدريا فرجع عن القدر وناظر علي بن ابي
طالب رضي الله عنه رجلا من القدرية وناظر عبد الله بن مسعود يزيد
ابن عميرة في الايمان قال عبد الله لو قلت اني مؤمن لقلت اني في الجنة
فقال له يزيد بن عميرة يا صاحب رسول الله صلى الله عليه هذه زلة
منك وهل الايمان الا ان نؤمن بالله وملايكته وكتبه ورسله والبعث
والميزان ونقيم الصلاة والصوم والزكاة ولنا ذنوب لو نعلم انها
تغفر لنا لعلمنا انا من اهل الجنة فمن اجل ذلك نقول انا مؤمنون ولا
نقول انا من اهل الجنة فقال ابن مسعود صدقت والله انها مني زلة
فينبغي ان يقال كان خوضهم فيه قليلا لا كثيرا وقصيرا لا طويلا

ابن ابي طالب رضي الله عنه

وعند الحاجة لا بطريق التدريس والتصنيف واتخاذه صناعة
فيقال اما قلة خوضهم كان لقلة الحاجة اذ لم يكن البدعة
تظهر في ذلك الزمان واما القصر فقد كان الغاية افحام الخصم
واعترافه وانكشاف الحق فلو طال اشكال الخصم او الحاجة لطال لا
محالة الزامهم وما كانوا يقدرون قدر الحاجة بميزان ولا مكيال
بعد الشروع فيه واما عدم تصديهم للتدريس والتصنيف فهكذا
كان في الفقه والتفسير والحديث ايضا فان جاز تصنيف الفقه
ووضع الصور النادرة التي لا تتفق الا على الندور اما ادخارا ليوم
وقوعها وان كان نادرا او تشحيذا للخاطر فنحن ايضا نرتب طريق المحاجة
لتوقع وقوع الحاجة بثوران شبهة او هيجان مبتدع او لتشحيذ
الخاطر او لادخار الحجة حتى لا يعجز عنه عند الحاجة على البديهة
والارتجال كمن يعد السلاح قبل القتال ليوم القتال فهذا ما يمكن ان
يذكر للفريقين فان قلت فما المختار عندك فيه فاعلم ان الحق فيه
ان اطلاق القول بذمه في كل حال او بحمده في كل حال خطأ بل لا بد فيه
من تفصيل واعلم اولا ان الشيء قد يحرم لذاته كالخمر والميتة واعني
بقولي لذاته ان علة تحريمه وصف في ذاته وهو الاسكار والموت
وهذا اذا سئلنا عنه اطلقنا القول بانه حرام ولا يلتفت الى اباحة

الميتة عند الاضطرار واباحة تجرع الخمر اذا غص الانسان بلقمة
ولم يجد ما يسيغها به سوى الخمر والى ما يحرم لغيره كالبيع على
بيع اخيك في وقت الخيار والبيع وقت النداء وكاكل الطين فانه
يحرم بما فيه من الاضرار وهذا ينقسم الى ما يضر قليله وكثيره
فيطلق القول عليه بانه حرام كالسم الذي يقتل قليله وكثيره والى ما
يضر عند الكثرة فيطلق القول عليه بالاباحة كالعسل فان كثيره
يضر بالمحرور وكاكل الطين وكان اطلاق التحريم على الخمر والتحليل
على العسل التفاتا الى اغلب الاحوال فان تصدى شيء تقابلت
فيه الاحوال فالاولى والابعد عن الالتباس ان يفصل فنعود الى الكلام
ونقول فيه منفعة وفيه مضرة فهو باعتبار منفعته في وقت الانتفاع
حلال او مندوب او واجب كما يقتضيه الحال وهو باعتبار مضرته
في وقت الاستضرار ومحله حرام اما مضرته فاثارة الشبهات
وتحريك العقائد وازالتها عن الجزم والتصميم فذلك مما يحصل في
الابتداء ورجوعها بالدليل مشكوك فيه ويختلف فيه الاشخاص
فهذا ضرره في الاعتقاد الحق وله ضرر في تأكيد اعتقاد المبتدعة
وتثبيتها في صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم ويشتد حرصهم على
الاصرار عليه ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يثور من

الجدل ولذلك ترى المبتدع العامي يمكن ان يزال اعتقاده
باللطف في اسرع زمان الا اذا كان نشوه في بلد يظهر فيه الجدل
والتعصب فانه لو اجتمع عليه الاولون والاخرون لم يقدروا
على نزع البدعة من صدره بل الهوى والتعصب وبغض خصوم
المجادلين وفرقة المخالفين يستولي على قلبه ويمنعه من ادراك
الحق حتى لو قيل له هل تريد ان يكشف الله لك الغطا فيعرفك
بالعيان ان الحق مع خصمك كره ذلك خيفة ان يفرح به خصمه
وهذا هو الدا العظيم الذي استطار في البلاد والعباد وهو نوع
فساد اثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره واما منفعته فقد
يظن ان فايدته كشف الحقايق ومعرفتها على ما هي عليها وهيهات فليس
في الكلام وفا بهذا المطلب الشريف ولعل التخبيط والتضليل فيه
اكثر من الكشف والتعريف وهذا اذا سمعته من محدث او حشوي
ربما خطر ببالك ان الناس اعدا ما جهلوا فاسمع هذا ممن خبر الكلام
ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه الى منتهى درجة
المتكلمين وجاوز ذلك الى التعمق في علوم اخر تناسب نوع الكلام
وتحقق ان الطريق الى حقايق المعرفة من هذا الوجه مسدود ولعمري
لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وايضاح لبعض الامور ولكن على

من

الندور وفي امور جليلة تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام
بل منفعته شي واحد وهو حراسة العقيدة التي ترجمناها
على العوام وحفظها عن تشويشات المبتدعة بانواع الجدل
فان العامي ضعيف يستفزه جدل المبتدع وان كان فاسدا
ومعارضة الفاسد بالفاسد تدفعه والناس متعبدون بهذه
العقيدة التي قدمناها اذ ورد الشرع بها واجمع السلف عليها
والعلما متعبدون بحفظ ~~لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم~~ ذلك
على العوام من تلبيسات المبتدعة كما تعبد السلاطين بحفظ اموالهم
عن تهجمات الظلمة والغصاب واذا وقعت الاحاطة بضرره ومنفعته
فينبغي ان يكون كالطبيب الحاذق في استعمال الدوا الخطر اذ لا يضعه
الا في موضعه وذلك في وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة وتفصيله
ان العوام المشغولين بالحرف والصناعات يجب ان يتركوا على سلامة
عقايدهم التي اعتقدوها مهما تلقنوا الاعتقاد الحق الذي ذكرناه
فان تعليمهم الكلام ضرر محض في حقهم اذ ربما يثير لهم شكا
ويزلزل عليهم الاعتقاد ولا يمكن القيام بعد ذلك بالاصلاح واما
العامي المعتقد للبدعة فينبغي ان يدعى الى الحق بالتلطف لا بالتعصب
وبالكلام اللطيف المقنع للنفس المؤثر في القلب القريب من سياق

[لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم صح]

ادلة القرآن والحديث الممزوج بفن الوعظ والتحذير فان ذلك
انفع من الجدال المصنوع على شرط المتكلمين اذ العامي اذا سمع
ذلك اعتقد انه نوع صنعة تعلمها المتكلم ليستدرج الناس
الى اعتقاده فان عجز عن الجواب قدر ان المجادلين من مذهبهم ايضا
يقدرون على دفعه فالجدل مع هذا ومع الاول حرام وكذا مع من
وقع له شك اذ يجب ازالته باللطف والوعظ والادلة القريبة
المقبولة البعيدة عن تعمق الكلام واستقصا الجدل وانما ينفع
في موضع واحد وهو ان يفرض عامي اعتقد البدعة بنوع جدل سمعه
فيقابل ذلك الجدل بمثله فيعود الى اعتقاد الحق وذلك فيمن ظهر له
من الانس بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة بالمواعظ والتحذيرات
العامية فقد انتهى هذا الى حالة لا يشفيه الا دوا الجدل فجاز
ان يلقى اليه وهذا في بلاد يقل فيها المبتدعة ولا تختلف فيها
المذاهب فيقتصر فيها على ترجمة الاعتقاد الذي ذكرناه ولا يتعرض
للادلة ويترصد وقوع شبهة فان وقعت ذكر بقدر الحاجة فان كانت
البدعة شايعة وكان يخاف على الصبيان ان يخدعوا فلا باس
ان يعلموا القدر الذي اودعناه كتاب الرسالة القدسية ليكون
ذلك سببا لدفع تاثير مجادلات المبتدعة ان وقعت اليهم

وهذا مقدار مختصر وقد اودعناه هذا الكتاب لاختصاره
فان كان فيه ذكا وتنبه بذكايه لموضع سوال وثار في نفسه
شبهة فقد بدت العلة المحذورة وظهر الداء فلا باس
ان يرقى منه الى القدر الذي ذكرناه في كتاب الاقتصاد في
الاعتقاد وهو قدر مائة ورقة وليس فيه خروج عن النظر في
قواعد العقايد الى غير ذلك من مباحث المتكلمين فان اقنعه
ذلك كف عنه وان لم يقنعه ذلك فقد صارت العلة مزمنة
والدا غالبا والمرض ساريا فيتلطف به الطبيب بقدر امكانه
وينتظر قضا الله فيه الى ان ينكشف له الحق بتنبيه من الله سبحانه
او يستمر على الشك والشبهة الى ما قدر له فالقدر الذي يحويه
ذلك الكتاب وجنسه من المصنفات هو الذي يرجى نفعه
فاما الخارج منه فقسمان احدهما بحث عن غير قواعد العقايد
كالبحث عن الاعتمادات والالوان وعن الادراكات والخوض
في الرؤية هل لها ضد يسمى المنع او العمى وان كان فذلك
واحد هو منع عن جميع ما لا يرى او ثبت لكل مرئي يمكن
رؤيته منع بحسب عدده الى غير ذلك من الترهات المضلة
والقسم الثاني زيادة تقرير لتلك الادلة في غير تلك القواعد

وزيادة اسوله واجوبه وذلك ايضا استقصا لا يزيد الا ضلالا
وجهلا في حق من لم يقنعه ذلك القدر فرب كلام يزيده الاطناب
والتقرير غموضا ولقد قال قايل البحث عن حكم الادراكات
والاعتمادات عنها فايده تشحيذ الخواطر والخاطر آله الدين كالسيف
آله الجهاد فلا باس بتشحيذه كان كقوله لعب الشطرنج يشحذ الخاطر
فهو من الدين وذلك هوس فان الخاطر يتشحذ بساير علوم الشرع
ولا يخاف منها مضرة فقد عرفت بهذا القدر المذموم والقدر المحمود
من الكلام والحال التي يذم فيها والحال التي تحمد والشخص الذي ينتفع
به والذي لا ينتفع فان قلت مهما اعترف بالحاجة اليه في دفع
المبتدع والآن فقد ثارت البدع وعمت البلوى وارهقت الحاجة
فلا بد وان يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات كالقيام
بحراسة الاموال وساير الحقوق كالقضا والولاية وغيرها وما
لم يشتغل العلما بنشر ذلك في التدريس فيه والبحث عنه لا يدوم
ولو ترك بالكلية لاندرس وليس في مجرد الطباع كفاية لحل
شبه المبتدعة ما لم يتعلم فينبغي ان يكون التدريس فيه ايضا من
فروض الكفايات بخلاف زمان الصحابة وان الحاجة ما كانت ماسة
اليه واعلم ان الحق انه لا بد في كل بلد من قايم لهذا العلم مستقل بدفع

شبه المبتدعة التي ثارت في تلك البلدة وذلك يدوم بالتعليم
ولكن ليس من الصواب تدريسه على العموم كتدريس الفقه
والتفسير فان هذا مثل الدوا والفقه مثل الغذا لا يحذر وضرر
الدوا محذور لما ذكرنا فيه من انواع الضرر فالعالم به ينبغي ان يخصص
بتعليم هذا العلم من فيه ثلث خصال احدها التجرد للعلم والحرص عليه
فان المحترف يمنعه الشغل عن الاستتمام وازالة الشكوك
اذا عرضت والثانية الذكا والفطنة والفصاحة فان البليد
لا ينتفع بفهمه والفدم لا ينتفع بحجاجه فيخاف عليه من ضرر الكلام
ولا يرجى فيه نفعه والثالث ان يكون في طبعه الصلاح والديانة
والتقوى ولا تكون الشهوات غالبة عليه فان الفاسق بادنى شبهة
ينخلع عن الدين فان ذلك يحل عنه الحجر ويرفع السد بينه وبين
الملاذ فلا يحرص على ازالة الشبهة بل يغتنمها ليتخلص من اعبا
التكليف فيكون ما يفسده مثل هذا المتعلم اكثر مما يصلحه
واذا عرفت هذه الانقسامات اتضح لك ان الحجة المحمودة في
الكلام ما هي من جنس حجج القرآن من الكلمات اللطيفة المؤثرة
في القلوب المقنعة للنفوس دون التغلغل في التقسيمات
والتدقيقات التي لا يفهمها اكثر الناس واذا فهموها اعتقدوا

مثل الغذا

انما شعوذه وصنعه تعلمها صاحبها للتلبيس فاذا قابله مثله
في الصنعه قاومه وعرفت ان الشافعي وكافه السلف انما
منعوا عن الخوض فيه والتجرد له لما فيه من الضرر الذي نبهنا
عليه وان ما نقل من ابن عباس من مناظرة الخوارج وما نقل
عن علي رضي الله عنه من المناظرة في القدر وغيره كان من الكلام
الجلي الظاهر وفي محل الحاجة وذلك محمود في كل حال نعم
قد تختلف الاعصار في كثرة الحاجة وقلتها فلا يبعد ان يختلف
الحكم لذلك فهذا حكم العقيدة التي تعبد الخلق بها وحكم
طريق النضال عنها وحفظها فاما ازالة الشبه وكشف الحقايق
ومعرفة الاشيا على ما هي عليها ودرك الاسرار الذي ترجمه ظاهر
الفاظ هذه العقيدة فلا مفتاح له الا المجاهدة وقمع الشهوات
والاقبال بالكلية على الله وملازمة الفكر الصافي عن شوايب المجادلة
وهي رحمة من الله تفيض على من تعرض لنفحاتها بقدر الرزق
وبحسب التعرض وبقدر قبول المحل وطهارة القلب وذلك البحر
الذي لا يدرك غوره ولا يبلغ ساحله **مسئله** فان قلت
هذا الكلام مشير الى ان هذه العلوم لها ظواهر واسرار
وبعضها جلي يبدو اولا وبعضها خفي يتضح بالمجاهدة والرياضة

والطلب الحثيث والفكر الصافي والسر الخالي عن كل شي
من اشغال الدنيا سوى المطلوب وهذا يكاد يكون مخالفا
للشرع اذ ليس للشرع ظاهر وباطن وسر وعلن بل الظاهر
والباطن والسر والعلن واحد فاعلم ان انقسام هذه العلوم
الى خفيه وجليه لا ينكرها ذو بصيرة وانما ينكرها القاصرون
الذين تلقفوا في اول الصبى شيا وجمدوا عليه ولم يكن لهم ترقي الى
شاو العلى ومقامات العلما والاوليا وذلك ظاهر من ادلة
الشرع قال صلى الله عليه وسلم ان للقرآن ظاهرا وباطنا
وحدا ومطلعا وقال علي رضي الله عنه واشار الى صدره ان هاهنا
علوما جمة لو وجدت لها حمله وقال صلى الله عليه نحن معاشر
الانبيا امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم وقال ما حدث احد
قوما بحديث لم تبلغه عقولهم الا كان فتنة عليهم وقال تعالى وتلك
الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون بالله الحديث الى
آخره كما اوردناه في كتاب العلم وقال صلى الله عليه وسلم
لو علمتم ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فليت شعري ان لم يكن
ذلك سرا منع من افشايه لقصور الافهام عن دركه او لمعنى آخر فلم
لم يذكره لهم فلا شك في انهم كانوا يصدقونه لو ذكره لهم وقال ابن

تقدم في العلم مقال العقيلي في الضعفا وابن السني وابو نعيم ... من حديث ابن عباس باسناد ضعيف ولمسلم في مقدمة صحيحه موقوفا على ابن مسعود بنحوه

عباس في قوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض
مثلهن يتنزل الامر بينهن لو ذكرت تفسيره لرجمتموني وفي لفظ
لكن لقلتم انه كافر وقال صلى الله عليه وسلم ما فضلكم
ابو بكر بكثرة صيام وصلاة ولكن لسر وقر في صدره ولا شك في ان
ذلك متعلقا بقواعد الدين غير خارج منها وما كان من قواعد الدين لم
يكن خافيا بظواهرها على غيره وقال سهل التستري للعالم ثلاثة
علوم ظاهر يبذله لاهل الظاهر وعلم باطن لا يسع اظهاره الا لاهله
وعلم هو بينه وبين الله لا يظهره لاحد وقال بعض العارفين افشا
سر الربوبية كفر وقال بعضهم للربوبية سر لو اظهر بطلت النبوة
وللنبوة سر لو كشف بطل العلم وللعلماء بالله سر لو اظهروه لبطلت
الاحكام وهذا القايل ان لم يرد بذلك بطلان النبوة في حق الضعفا
لقصور فهمهم فما ذكره ليس بحق بل الصحيح انه لا تناقض وان الكامل
من لا يطفي نور معرفته نور ورعه ومدرك الورع النبوة **مسئلة**
فان قلت فهذه الايات والاخبار يتطرق اليها تاويلات فبين كيفية
اختلاف الظاهر والباطن فان الباطن ان كان مناقضا للظاهر ففيه
ابطال الشرع وهو قول من قال الحقيقة خلاف الشريعة وهو كفر لان
الشريعة عبارة عن الظاهر والحقيقة عبارة عن الباطن وان كان

لا يناقضه ولا يخالفه فهو هو فيزول به الانقسام ولا يكون
للشرع سر لا يفشى بل يكون الخفي والجلي واحدا فاعلم ان هذا السؤال
تحرك قطبا عظيما وينجر الى علوم المكاشفة ويخرج عن مقصود علم
المعاملة وهو غرض هذه الكتب فان الحقايق التي ذكرناها من اعمال
القلوب وقد تعبدنا بتلقيها بالقبول والتصديق بعقد القلب عليها
لا بان نتوصل الى ان ينكشف لنا حقايقها فان ذلك لم يكلف به كافة
الخلق ولولا انه من الاعمال لما اوردناه في هذا الكتاب ولولا انه
عمل ظاهر القلب لا عمل باطنه لما اوردناه في الشطر الاول من الكتاب
وانما الكشف الحقيقي هو صفة سر القلب وباطنه ولكن اذا انجر الكلام
الى تحريك خيال في مناقضة الظاهر للباطن فلا بد من كلام وجيز في
حله فمن قال ان الحقيقة تخالف الشريعة او الباطن يناقض الظاهر فهو
الى الكفر اقرب منه الى الايمان بل الاسرار التي يختص المقربون بدركها
ولا يشاركهم الاكثرون في علمها ويمتنعون عن افشايها اليهم
يرجع الى خمسة اقسام الاول ان يكون الشيء في نفسه دقيقا تكل
اكثر الافهام عن دركه فيختص بدركه الخواص وعليهم ان لا يفشوه الى
غير اهله اذ يصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر افهامهم عن الدرك
واخفا سر الروح وكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيانه

الشيخان في حديث ابن مسعود وفي سؤال اليهود عن الروح قال فامسك النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئا الحديث ع

من هذا القسم فان حقيقته مما تكل الافهام عن دركه وتقصر الاوهام
عن تصور كنهه ولا تظنن ان ذلك لم يكن مكشوفا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فان من لم يعرف الروح فكانه لم يعرف نفسه فكيف يعرف
ربه ولا يبعد ان يكون ذلك مكشوفا لبعض الاوليا والعلما وان لم يكونوا
انبيا ولكنهم يتأدبون باداب الشرع فيسكتون عما سكت عنه بل في صفات
الله سبحانه من الخفا ما تقصر افهام الجماهير عن دركه ولم يذكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم منها الا الظواهر للافهام من العلم
والقدرة وغيرهما حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها الى علمهم
وقدرتهم اذ كانت لهم من الاوصاف ما يسمى علما وقدرة فيتوهمون
ذلك بنوع مقايسة ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق مما يناسبه بعض
المناسبة شي لم يفهموه بل لذة الجماع اذا ذكر للصبي او العنين لم
يفهمه الا بمناسبه الى لذة المطعوم الذي يدركه ولا يكون ذلك فهما
على التحقيق والمخالفة بين علم الله وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم اكثر
من المخالفة بين لذة الجماع والاكل وبالجملة فلا يدرك الانسان
الا نفسه وصفات نفسه بما هو حاضر له في الحال او مما كانت له
من قبل ثم بالمقايسة اليه يفهم ذلك لغيره ثم قد يصدق بان بينهما
تفاوتا في الشرف والكمال فليس في قوة البشر الا ان يثبت لله ما

هو ثابت لنفسه من الفعل والعلم والقدرة وغيرها من الصفات مع
التصديق بان ذلك اكمل واشرف فيكون معظم تحويمه على صفات
نفسه لا على ما اختص الرب تعالى به من الجلال ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك
وليس المعنى به اني اعجز عن التعبير عما ادركته بل اعتراف بالقصور عن
ادراك كنه جلاله ولذلك قال بعضهم ما عرف الله بالحقيقة سوى
الله وقال الصديق الحمد لله الذي لم يجعل للخلق سبيلا الى معرفته الا
بالعجز عن معرفته ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط ولنرجع الى
الغرض وهو ان احد الاقسام ما تكل الافهام عن دركه ومن جملته
الروح ومن جملته بعض صفات الله ولعل الاشارة الى مثله في قوله
صلى الله عليه وسلم ان لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لاحرقت
سبحات وجهه كل من ادركه بصره القسم الثاني من الخفيات التي
تمتنع الانبيا والصديقون عن ذكرها ما هو مفهوم في نفسه لا يكل
الفهم عنه ولكن ذكره يضر باكثر المستمعين ولا يضر بالانبيا والصديقين
وسر القدر الذي منع اهل العلم به عن افشايه من هذا القسم ولا
يبعد ان يكون ذكر بعض الحقايق مضرا ببعض الخلق كما يضر نور الشمس
بابصار الخفافيش وكما تضر رياح الورد بالجعل فكيف يبعد هذا

مسلم من حديث عايشة انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك في سجوده ع

ابو الشيخ ابن حبان في كتاب العظمة من حديث ابي هريرة بين الله وبين الملايكة الذين حول العرش لسبعون حجابا من نور واسناده ضعيف وفيه ايضا من حديث انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل هل ترى ربك قال ان بيني وبينه لسبعين حجابا من نور وللطبراني في الكبير من حديث سهل بن سعد دون الله تعالى سبعون الف حجاب من نور وظلمة ولابي يعلى من حديث ... لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ع

حقه

وقولنا ان الكفر والزنا والمعاصي والشرور بقضا الله وارادته
ومشيته في حق نفسه وقد اضر سماعه بقوم اذ اوهم ذلك عندهم
دلاله على السفه ونقيض الحكمة والرضا بالقبيح والظلم والحد
ابن الراوندي وطايفه من المخذولين بمثل ذلك فكذلك سر القدر
لو افشي اوهم عند اكثر الخلق عجزا اذ تقصر افهامهم عن درك ما يزيل
ذلك الوهم عنهم ولو قال قايل ان القيامة لو ذكر ميقاتها
وانها بعد الف سنة او اكثر او اقل لكان مفهوما ولكن لم يذكر
لمصلحة العباد وخوفا من الضرر فلعل المدة اليها بعيدة فيطول
الامد واذا استبطات النفوس وقت العقاب قل اكتراثها او لعلها
كانت قريبة في علم الله ولو ذكرت لعظم الخوف واعرض الناس عن
الاعمال وخرب الدنيا فهذا المعنى لو اتجه وصح فيكون مثالا لهذا
القسم القسم الثالث ان يكون الشي بحيث لو ذكر صريحا لفهم ولم
يكن فيه ضرر ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون
وقعه في قلب المستمع اغلب وله مصلحة في ان يعظم وقع ذلك الامر
في قلبه كما لو قال قايل رايت فلانا نقلد الدر في اعناق الخنازير
فكنى به عن افشا العلم وبث الحكمة الى غير اهلها فالمستمع قد يسبق الى
فهمه ظاهره والمحقق اذا نظر وعلم ان ذلك الانسان لم يكن معه در

ولا كان في موضعه خبز بل تفطن لذلك السر والباطن فتفاوت
الناس في ذلك ومن هذا قول الشاعر

رجلان خياط وآخر حايك متقابلان على السما الاول

لا زال ينسج ذاك خرقة مدبر ويخيط صاحبه ثياب المقبل

فانه عبر عن سبب سماوي في الاقبال والادبار برجلين صانعين وهذا
النوع يرجع الى التعبير عن المعنى بالصورة التي تتضمن عين المعنى او مثله
ومنه قوله عليه السلام ان المسجد لينزوي عن النخامة كما ينزوي
الجلدة من النار وانت ترى ان ساحة المسجد لا تنقبض بالنخامة ومعنا
ان روح المسجد ومعناه كونه معظما ورمي النخامة تحقير فيضاد معنى
المسجدية مضاده النار لاتصال اجزا الجلده وكذلك قوله اما يخشى الذي
يرفع راسه قبل الامام ان يحول الله راسه راس حمار وذلك من حيث الصورة
قط لم يكن ولا يكون ولكن من حيث المعنى هو كاين اذ راس الحمار لم يكن
بحقيقته لونه وشكله بل بخاصيته وهو البلادة والحمق ومن رفع
راسه قبل الامام فقد صار راسه راس حمار في معنى البلادة والحمق
وهو المقصود دون الشكل الذي هو قالب المعنى اذ من غاية الحمق ان
يجمع بين الاقتدا والتقدم فانهما متناقضان وانما يعرف هذا السر
على خلاف الظاهر اما بدليل عقلي او شرعي اما العقلي بان يكون حمله على

لم ارله اصلا في الرفع وانما هو من قول ابي هريرة ورواه ابن ابي شيبة في مصنفه ع

اخرجاه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ع

الظاهر غير ممكن لقوله عليه السلام قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع
الرحمن اذا فتشنا عن صدور المؤمنين فلم نجد فيها اصابع فعلم انها
كناية عن القدرة التي هي سر الاصبع وروحها الخفي وكني بالاصبع
عن القدرة لان ذلك اعظم وقعا في تفهيم تمام الاقتدار ومن هذا
القبيل كنايته عن الاقتدار بقوله انما قولنا لشي اذا اردناه ان
نقول له كن فيكون فان ظاهره ممتنع وقوله كن ان كان خطابا مع
الشي قبل وجوده فهو محال اذ المعدوم لا يفهم الخطاب حتى يمتثل
وان كان بعد الوجود فهو مستغني عن التكون ولكن لما كان هذه
الكناية اوقع في النفوس في تفهيم غاية الاقتدار عدل اليه واما
المدرك بالشرع فهو ان يكون اجراوه على الظاهر ممكنا ولكن روي
انه اريد به غير الظاهر كما ورد في تفسير قوله تعالى انزل من السماء ما
فسالت اودية بقدرها الآية وان معنى الما هو القرآن ومعنى الاودية
القلوب وان بعضها احتملت شيا كثيرا وبعضها قليلا وبعضها لم
يحتمل والزبد مثل الكفر فانه وان ظهر وطفا على راس الما فانه لا يثبت
والهداية التي ينفع الناس تمكث وفي هذا القسم تعمق جماعة فاولوا ما
ورد في الآخرة من الميزان والصراط وغيرهما وهو بدعة اذ لم ينقل ذلك
بطريق الرواية واجراوه على الظاهر غير محال فيجب اجراوه على الظاهر

القسم الرابع ان يدرك الانسان الشي جملة ثم يدركه تفصيلا
بالتحقيق والذوق بان يصير حالا ملابسا له فيتفاوت العلمان ويكون
الاول كالقشر والثاني كاللب والاول كالظاهر والآخر كالباطن
وذلك كما يتمثل الانسان في عينه شخص في الظلمة او على البعد
فيحصل له نوع علم فاذا راه بالقرب او بعد زوال الظلام ادرك تفرقة
بينهما ولا يكون الاخير ضد الاول بل هو استكمال له وكذلك في العلم
والايمان والتصديق اذ قد يصدق الانسان بوجود العشق والمرض
والموت قبل وقوعه ولكن تحققه عند الوقوع اكمل من تحققه قبل
الوقوع بل للانسان في الشهوة والعشق وساير الاحوال ثلثة احوال
متفاوتة وادراكات متباينة الاول تصديقه بوجوده قبل وقوعه
والآخر عند وقوعه والآخر بعد تصرمه فان تحققك بالجوع بعد زواله
يخالف التحقق به قبل زواله وكذلك من علوم الدين ما يصير ذوقا فيكون
ذلك كالباطن بالاضافة الى ما قبل ذلك ففرق بين علم المريض بالصحة وبين
علم الصحيح ففي هذه الاقسام الاربعة تتفاوت الخلق وليس في شي منه
باطن يناقض الظاهر بل يتممه ويكمله كما يتمم اللب القشر القسم الخامس
ان يعبر بلسان المقال عن لسان الحال فالقاصر الفهم يقف على الظاهر
ويعتقده نطقا والبصير بالحقائق يدرك السر فيه وهذا كقول القايل

نعيكلمه

قال الجدار للوتد لم تشقني قال سل من يدقني فلم يتركني وراى الحجر
الذي ورائي فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان المقال ومن هذا
قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين
والبليد يفتقر في فهمه الى ان يقدر لهما حياة يخلقها للارض وعقلا
وفهما للخطاب وخطابا هو صوت وحرف يسمعه الارض فيجيب بصوت
وحرف وتقول اتينا طائعين والبصير يعلم ان ذلك لسان الحال
وانه نبأ عن كونه مسخرا بالضرورة مضطرة الى التسخير ومن هذا
قوله وان من شي الا يسبح بحمده فان البليد يفتقر الى ان يقدر للجماد
حياة وعقلا ونطقا بصوت وحرف حتى يقول سبحان الله ليتحقق تسبيحه
والبصير يعلم انه ما اريد به نطق اللسان بل كونه مسبحا بوجوده
ومقدسا بذاته وشاهدا بوحدانية الله كما يقال

○ وفي كل شي له آية تدل على انه واحد ○

وكما يقال هذه الصنعة المحكمة تشهد لصانعها بحسن التدبير وكمال
العلم لا بمعنى انها تقول اشهد ولكن بالذات والحال فكذلك ما من
شي الا وهو محتاج في نفسه الى موجد يوجده ويبقيه ويديم اوصافه
ويردده في اطواره فهي بحاجته تشهد لخالقه بالتقديس يدرك شهادته
ذوو البصائر دون الجامدين على الظاهر ولذلك قال ولكن لا تفقهون

تسبيحهم اما القاصرون فلا يفهمون اصلا واما المقربون
والعلما والراسخون فلا يفهمون كنهه وكماله اذ لكل شي شهادات
شتى على تقديس الله وتسبيحه ويدرك كل واحد بقدر ذوقه
وبصيرته وتعداد تلك الشهادات لا يليق بعلم المعاملة فهذا الفن
ايضا مما يتفاوت ارباب الظواهر وارباب البصائر في علمه وتظهر به
مفارقة الباطن الظاهر وفي هذا المقام لارباب المقامات اسراف
واقتصاد فمن مسرف في رفع الظواهر انتهى الى تغيير جميع الظواهر او اكثرها
حتى حملوا قوله تعالى تكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم وقوله وقالوا لجلودهم
لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شي وكذلك
المخاطبات التي تجري في منكر ونكير وفي الميزان وفي الحساب ومناظرات
اهل النار واهل الجنة في قولهم افيضوا علينا من الما زعموا ان كل ذلك
لسان الحال وغلا آخرون في حسم الباب منهم احمد بن حنبل رضي الله عنه
حتى منع تاويل قوله كن فيكون وزعموا ان ذلك خطاب بحرف وصوت
يوجد من الله تعالى في كل لحظة بعدد كل مكون حتى سمعت بعض اصحابه
انه حسم باب التاويل الا لثلثة الفاظ قوله صلى الله عليه وسلم الحجر
الاسود يمين الله في الارض وقوله قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن
وقوله اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن ومال الى حسم الباب ارباب الظواهر

الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو ○ ع

احمد من حديث ابي هريرة في حديث قال فيه واجد نفس ربكم من قبل اليمن ورجاله ثقات ○ وفي البزار والطبراني حديث سلمة بن نفيل نحوه واصله الت... بنحوه ○ ع

والظن باحمد بن حنبل انه علم ان الاستوا ليس هو الاستقرار والنزول
ليس هو الانتقال ولكنه منع من التاويل حسما للباب ورعاية لصلاح
الخلق فانه اذا فتح الباب اتسع الخرق وخرج عن الضبط وجاوز الاقتصاد
اذ حد الاقتصاد لا ينضبط ولا باس بهذا الزجر ويشهد له سيرة السلف
فانهم كانوا يقولون امروها كما جاءت حتى قال مالك لما سئل عن
الاستوا الاستوا معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال
عنه بدعة وذهبت طايفة الى الاقتصاد ففتحوا باب التاويل في كل ما
يتعلق بصفات الله وتركوا ما يتعلق بالاخرة على ظواهرها ومنعوا
التاويل وهم الاشعرية وزاد المعتزلة عليهم حتى اولوا من صفات الله الروية
واولوا كونه سميعا بصيرا واولوا المعراج وزعموا انه لم يكن بالجسد
واولوا عذاب القبر والميزان والصراط وجملة من احكام الاخرة ولكن
اقروا بحشر الاجساد وبالجنة واشتمالها على الماكولات والمشروبات
والمنكوحات والملاذ المحسوسة وبالنار واشتمالها على جسم
محسوس محرق تحرق الجلود وتذيب الشحوم ومن ترقيهم الى هذا الحد
زاد الفلاسفة فاولوا كل ما ورد في الاخرة وردوها الى الام عقلية
روحانية ولذات عقلية وانكروا حشر الاجساد وقالوا ببقاء النفوس
وانها اما ان تكون معذبة واما منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك بالحس

وهولاء هم المسرفون وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال وبين جمود
الحنابلة دقيق غامض لا يطلع عليه الا الموفقون الذين يدركون
الامور بنور الهي لا بالسماع ثم اذا انكشفت لهم اسرار الامور على ما
هي عليها نظروا الى السمع والالفاظ الواردة فما وافق ما شاهدوه
بنور اليقين قرروه وما خالف اولوه فاما من ياخذ معرفة هذه
الامور من السمع المجرد فلا يستقر له فيه قدم ولا يتعين له موقف
والاليق بالمقتصر على السمع المجرد مقام احمد بن حنبل والان فكشف
الغطا عن حد الاقتصاد في هذه الامور داخل في علم المكاشفة
والقول فيه يطول ولا نخوض فيه والغرض بيان موافقة الباطن
للظاهر وعدم مخالفته له وقد انكشفت بهذه الاقسام الخمسة
واذ راينا ان نقتصر بكافة العوام على ترجمة العقيدة التي حررناها
وانهم لا يكلفون غير ذلك في الدرجة الاولى الا اذا كان
خوف تشويش لشيوع البدعة فنرقى في الدرجة الثانية الى
عقيدة فيها لوامع الادلة مختصرة من غير تعمق فلنورد
في هذا الكتاب تلك اللوامع ولنقتصر فيها على ما حررناه
لاهل القدس وسميناه الرسالة القدسية وهي هذه الفصل
الثالث من كتاب قواعد العقائد في لوامع الادلة التي ترجمناها

نقول بسم الله الرحمن الرحيم وبه استعين
الحمد لله الذي ميّز عصابة السنة بانوار اليقين واثر رهط الحق
بالهداية الى دعائم الدين وجنبهم زيغ الزائغين وضلال الملحدين
ووفقهم للاقتداء بسيد المرسلين وسددهم بالتاسي بصحبة
الاكرمين ويسر لهم اقتفاء اثار السلف الصالحين حتى اعتصموا
من مقتضيات العقول بالحبل المتين ومن سير الاولين وعقايدهم
بالمنهج المبين فجمعوا في القبول بين نتايج العقول وقضايا الشرع
المنقول وتحققوا ان النطق بما تعبدوا به من قول لا اله الا الله محمد
رسول الله ليس له طايل ومحصول ان لم يتحقق بما تدور عليه الشهادة
من الاقطاب والاصول وعرفوا ان كلمتي الشهادة على ايجازها
تتضمن اثبات ذات الاله واثبات صفاته واثبات افعاله واثبات
صدق الرسول فعلموا ان بنا الايمان على هذه الاركان وهي اربعة
يدور كل ركن على عشرة اصول الركن الاول في معرفة ذات الله
ومداره على عشرة اصول وهي العلم بوجود الله وقدمه وبقايه وانه
ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وانه ليس مختصا بجهة ولا مستقرا
على مكان وانه يرى وانه واحد الركن الثاني في صفاته ويشتمل
على عشرة اصول وهي العلم بكونه حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا

الاحاطة ص

متكلما منزها عن حلول الحوادث وانه قديم الكلام والعلم
والارادة الركن الثالث في افعال الله تعالى ومداره على عشرة اصول
وهي ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى وانها مكتسبة للعباد
وانها مرادة لله وانه متفضل بالخلق وان له تكليف ما لا يطاق وله
ايلام البريء ولا يجب عليه رعاية الاصلح وانه لا واجب الا بالشرع
وان بعثة الانبيا جايز وان نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
ثابتة مؤيدة بالمعجزات الركن الرابع في السمعيات وهو اثبات الحشر والنشر
وعذاب القبر وسوال منكر ونكير والميزان والصراط وخلق الجنة
والنار واحكام الامامة فالركن الاول من اركان الايمان معرفة
ذات الله سبحانه وتعالى ومداره على عشرة اصول الاصل الاول معرفة
وجوده تعالى واول ما يستضا به من الانوار ويسلك من طريق
الاعتبار ما ارشد اليه القرآن فليس بعد بيان الله بيان وقد قال
تعالى الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا
وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا
شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا
لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا وقال تعالى ان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس

وجعلنا الليل لباسا

وما انزل الله من السما من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها
من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السما والارض لايات
لقوم يعقلون وقال تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا
وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله انبتكم من الارض نباتا
ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا وقال تعالى افرايتم ما تمنون انتم تخلقونه
ام نحن الخالقون الى قوله نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فليس
يخفى على من معه ادنى مسكة عقل اذا تامل بادنى فكره مضمون هذه
الايات وادار نظره على عجايب خلق الارض والسموات وبدايع فطرة
الحيوان والنبات ان هذا الامر العجيب والترتيب المحكم لا يستغني عن
صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره بل تكاد فطرة النفوس تشهد
بكونها مقهورة تحت تسخيره وتصريفه بمقتضى تدبيره ولذلك قال
تعالى افي الله شك فاطر السموات والارض ولهذا بعث الانبيا كلهم
لدعوة الخلق الى التوحيد ليقولوا لا اله الا الله وما امروا ان يقولوا
لنا اله وللعالم اله فان ذلك كان مجبولا في فطرة عقولهم من مبدا
نشوهم وفي عنفوان شبابهم ولذلك قال تعالى ولئن سالتهم
خلق السموات والارض ليقولن الله وقال تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا
فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم

له

فاذن في فطرة الانسان وشواهد القران ما يغني عن اقامة البرهان
ولكنا على سبيل الاستظهار والاقتدا بالعلما النظار نقول من
بداية العقول ان الحادث لا يستغني في حدوثه عن سبب يحدثه والعالم
حادث فاذن لا يستغني في حدوثه عن سبب اما قولنا الحادث لا يستغني
عن سبب فجلي فان كل حادث فهو مختص بوقت يجوز في العقل تقدير تقدمه
وتاخره فاختصاصه بوقته دون ما بعده وما قبله يفتقر بالضرورة الى
المخصص واما قولنا العالم حادث فبرهانه ان اجسام العالم لا تخلوا
عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلوا عن الحوادث فهو حادث
وفي هذا البرهان ثلث دعاوي الاولى ان الاجسام لا تخلوا عن الحركة
والسكون وهذه مدركة بالبديهة والاضطرار فلا يحتاج فيه الى تامل
وافتكار فان من عقل جسما لا ساكنا ولا متحركا كان لمتن الجهل راكبا
وعن نهج الحق ناكبا والثانية قولنا انهما حادثان ويدل على ذلك تعاقبهما
ووجود البعض منهما بعد البعض وذلك مشاهد في جميع الاجسام وما
لم نشاهد فما من ساكن الا والعقل قاض بجواز حركته وما من متحرك
الا والعقل قاض بجواز سكونه فالطاري منهما حادث لطريانه والسابق
حادث لانه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه على ما سياتي بيانه وبرهانه
في اثبات بقا الصانع تعالى وتقدس والثالثة قولنا ما لا يخلوا عن الحوادث

مع حدوثه

فهو حادث وبرهانه انه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث
حوادث لا اول لها ولو لم تنقض تلك بجملتها لا تنتهي النوبة الى
وجود الحادث الحاضر في الحال وانقضا ما لا نهاية له محال ولانه
لو كان للفلك دورات لا نهاية لها لكان لا يخلو عددها من ان يكون
شفعا او وترا او شفعا ووترا جميعا او لا شفعا ولا وترا ومحال
ان يكون شفعا ووترا جميعا او لا شفعا ولا وترا فان ذلك جمع بين
النفي والاثبات اذ في اثبات احدهما نفي الاخر وفي نفي احدهما اثبات
الاخر ومحال ان يكون شفعا لان الشفع يصير وترا بزيادة واحد
فكيف يعوز ما لا نهاية له واحد ومحال ان يكون وترا اذ الوتر يصير
شفعا بواحد فكيف يعوزها واحد مع انه لا نهاية لاعدادها فيحصل
من هذا ان العالم لا يخلو عن الحوادث فهو اذن حادث واذا ثبت
حدوثه كان افتقاره الى المحدث من المدركات بالضرورة الاصل
الثاني العلم بان الباري تعالى قديم لم يزل ازلي ليس لوجوده اول
بل هو اول كل شي وقبل كل ميت وحي وبرهانه انه لو كان
حادثا ولم يكن قديما لافتقر هو ايضا الى محدث وافتقر محدثه الى
محدث ولتسلسل ذلك الى غير نهاية وما تسلسل لم يتحصل او ينتهي الى
محدث قديم هو الاول وذلك هو المطلوب الذي سميناه صانع العالم

وباريه ومحدثه ومبديه الاصل الثالث العلم بانه مع كونه
ازليا ابدي اي ليس لوجوده آخر فهو الاول والآخر والظاهر والباطن
لان ما ثبت قدمه استحال عدمه وبرهانه انه لو انعدم لكان لا
يخلو اما ان ينعدم بنفسه او بمعدم يضاده ولو جاز ان ينعدم شي
يتصور دوامه بنفسه لجاز ان يوجد شي بنفسه فكما يحتاج طريان
الوجود الى سبب فكذا يحتاج طريان العدم الى سبب وباطل ان
ينعدم بمعدم يضاده لان ذلك المعدم لو كان قديما لما تصور
الوجود معه وقد ظهر بالاصلين السابقين وجوده وقدمه فكيف
كان وجوده في القدم ومعه ضده وان كان الضد المعدم
حادثا كان محالا اذ ليس الحادث في مضادته للقديم حتى يقطع وجوده
باولى من القديم في مضادته للحادث حتى يدفع وجوده بل الدفع اهون
من القطع والقديم اقوى من الحادث الاصل الرابع العلم بانه ليس
بجوهر متحيز فهو مختص بحيزه ولا يخلو من ان يكون ساكنا فيه او
متحركا عنه فلا يخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو
عن الحوادث فهو حادث ولو تصور جوهر متحيز قديم لكان يعقل قدم جواهر
العالم فان سماه مسمي جوهرا ولم يرد به المتحيز كان مخطيا من حيث اللفظ
لا من حيث المعنى الاصل الخامس العلم بانه تعالى ليس بجسم مولف

بل تعالى وتقدس عن مناسبته
الحيز وبرهانه ان كل جوهر متحيز

من جواهر اذ الجسم عبارة عن المؤتلف من الجواهر واذا ابطل كونه
جوهرا مخصوصا متحيزا بطل كونه جسما لان كل جسم فمختص بحيز
ومركب من جوهر وجوهر ويستحيل خلوه عن الافتراق والاجتماع
والحركة والسكون والهيئة والمقدار وهذه سمات الحدث ولو جاز
ان يعتقد ان صانع العالم جسم لجاز ان يعتقد الالهية للشمس والقمر
او لشئ آخر من اقسام الاجسام فان تجاسر متجاسر على تسميته تعالى
جسما من غير ارادة التأليف عن الجواهر كان ذلك غلطا في الاسم مع
الاصابة في نفي معنى الجسم الاصل السادس العلم بانه تعالى ليس
بعرض قائم بجسم او حال في محل لان العرض ما يحل في الجسم وكل جسم فهو
حادث ويكون محدثه موجودا قبله فكيف يكون حالا في الجسم وقد كان
موجودا في الازل وحده وما معه غيره ثم احدث الاجسام والاعراض
بعده ولانه عالم قادر مريد خالق كما سيأتي بيانه وهذه الاوصاف
تستحيل على الاعراض بل لا تعقل الا لموجود قائم بنفسه مستقل
بذاته وقد حصل من هذه الاصول انه موجود قائم بنفسه ليس بجوهر
ولا جسم ولا عرض وان العالم كله جواهر واعراض واجسام فاذن لا يشبه
شيئا ولا يشبهه شئ بل هو الحي القيوم الذي ليس كمثله شئ واني يشبه المخلوق
خالقه والمقدر المصور مقدره ومصوره والاجسام والاعراض كلها من

مجمله

خلقه وصنعه فاستحال القضاء عليها بمماثلته ومشابهته ٥
الاصل السابع العلم بان الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات
فان الجهة اما فوق واما اسفل واما يمين او شمال او قدام او خلف ٥
وهذه الجهات هو الذي خلقها واحدثها بواسطة خلق الانسان اذ
خلق له طرفين احدهما يعتمد على الارض ويسمى رجلا والاخر يقابله
ويسمى راسا فحدث اسم الفوق لما يلي جهة الراس واسم السفل لما يلي
جهة الرجل حتى ان النملة التي تدب منتكسة تحت السقف ينقلب
جهة الفوق في حقها تحتا وان كان في حقنا فوقا وخلق للانسان
اليدين فاحدهما اقوى من الاخرى في الغالب فحدث اسم اليمين للاقوى
والشمال لما يقابله وتسمى الجهة التي تلي اليمين يمينا والاخرى شمالا
وخلق له جانبين يبصر من احدهما ويتحرك اليه فحدث اسم القدام للجهة التي
يتقدم اليها بالحركة واسم الخلف لما يقابلها فالجهات حادثة بحدوث
الانسان ولو لم يخلق الانسان بهذه الخلقة بل خلقه مستديرا كالكرة
لم يكن لهذه الجهات وجود البتة فكيف كان في الازل مختصا بجهة والجهة
حادثة او كيف صار بجهة بعد ان لم يكن له أبان خلق العالم بجهة وتعالى
ان يكون له فوق اذ تعالى عن ان يكون له راس والفوق عبارة عما يكون جهة الراس
وتعالى ان يكون له تحت اذ تعالى عن ان يكون له رجل والتحت عبارة عما

بل جهة الرجل فكان ذلك مما يستحيل في العقل ولان المعقول
من كونه بجهة انه مختص بالحيز اختصاص الجوهر او مختص بالجوهر
اختصاص العرض وقد ظهر استحالة كونه جوهرا وعرضا فاستحال
كونه مختصا بجهة وان اريد بالجهة غير هذين المعنيين كان
غلطا في الاسم مع المساعدة على المعنى ولانه لو كان فوق العالم
لكان محاذيا له وكل محاذ لجسم فاما ان يكون مثله او اصغر منه او
اكبر وكل ذلك تقدير يحوج الى مقدر ويتعالى عنه الخالق المدبر
فاما رفع الايدي عند السؤال الى جهة السما فهو لانها قبلة الدعا
وفيه ايضا اشارة الى ما هو وصف مدعو من الجلال والكبريا
تنبيها بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلا وانه تعالى فوق
كل موجود بالقهر والاستيلاء. الاصل الثامن العلم
بانه مستو على عرشه بالمعنى الذي اراده الله تعالى بالاستواء
وهو الذي لا ينافي وصف الكبريا ولا يتطرق اليه سمات الحدوث والفنا
وهو الذي اريد بالاستوا الى السما حيث قال جل وتعالى في القرآن
ثم استوى الى السما وهي دخان فقال وليس ذلك الا بطريق القهر
والاستيلاء كما قال الشاعر

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق.

واضطر اهل الحق الى هذا التاويل كما اضطر اهل الباطل الى
تاويل قوله تعالى وهو معكم اينما كنتم اذ حمل بالاتفاق على الاحاطة
والعلم وحمل قوله صلى الله عليه وسلم قلب المومن بين اصبعين من اصابع
الرحمن على القدرة والقهر وحمل قوله عليه السلام الحجر الاسود
يمين الله في الارض على التشريف والاكرام لانه لو ترك على ظاهره
للزم منه المحال فكذا في الاستوا لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم
منه كون المتمكن جسما مماسا للعرش اما مثله او اكبر او اصغر
وذلك محال وما يودي الى المحال محال. الاصل التاسع العلم
بانه تعالى مع كونه منزها عن الصور والاقدار مقدسا عن الجهات
والاقطار مرئي بالاعين والابصار في الدار الآخرة لقوله تعالى
وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ولا يرى في الدنيا تصديقا لقوله
تعالى لا تدركه الابصار ولقوله في خطاب موسى عليه السلام لن تراني
وليت شعري كيف عرف المعتزلي من صفة رب الارباب ما جهله موسى
عليه السلام وكيف سال موسى عليه السلام الروية مع كونها محالا
ولعل الجهل بذوي البدع والاهوا من الجهلة والاغبيا اولى من الجهل
بالانبيا واما وجه اجراء اية الروية على الظاهر لانه غير مودي الى
المحال فان الروية نوع كشف وعلم الا انه اتم واوضح من العلم فاذا

وليس في جهة

جاز تعلق العلم به وليس في جهة جاز تعلق الرؤية وكما يجوز ان
يرى الله الخلق وليس في مقابلتهم جاز ان يراه الخلق من غير
مقابله وكما جاز ان يعلم من غير كيفية وصوره جاز ان يرى كذلك
من غير كيفية وصورة ؛ الاصل العاشر العلم بان الله واحد
لا شريك له فرد لا ند له انفرد بالخلق والابداع واستبد بالايجاد
والاختراع لا مثل له نساهمه ويساويه ولا ضد له فينازعه ويناويه
وبرهانه قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وبيانه انهما
لو كانا اثنين واراد احدهما امرا فالثاني ان كان مضطرا الى
مساعدته كان هذا الثاني مقهورا عاجزا ولم يكن الها قادرا وان
كان قادرا على مخالفته ومدافعته كان الثاني قويا قاهرا والاول
ضعيفا قاصرا فلم يكن الها قادرا ٥ الركن الثاني العلم بصفات
الله تعالى ومداره على عشرة اصول الاصل الاول العلم
بان صانع العالم قادر وانه تعالى في قوله وهو على كل شيء قدير
صادق لان العالم محكم في صنعته مرتب في خلقته ومن راى ثوبا من
ديباج حسن النسج والتأليف متناسب التطريز والتطريف ثم توهم
صدور نسجه من ميت لا استطاعة له او انسان لا قدرة له كان
منخلعا عن غريزة العقل ومنخرطا في سلك اهل الغباوة والجهل ٥

الاصل الثاني العلم بانه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط
بكل المخلوقات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض والسموات
صادق في قوله وهو بكل شيء عليم ومرشد الى صدقه بقوله الا يعلم
من خلق وهو اللطيف الخبير ارشدك الى الاستدلال بالخلق على
العلم لانك لا تسترتب في دلالة الخلق اللطيف والصنع المزين
بالترتيب ولو في الشيء الحقير اللطيف على علم الصانع بكيفية
الترتيب والترصيف فما ذكره الله سبحانه هو المنتهى في الهداية
والتعريف ؛ الاصل الثالث العلم بكونه حيا فان من ثبت
علمه وقدرته ثبت بالضرورة حياته ولو تصور قادر عالم مدبر
دون ان يكون حيا لجاز ان يشك في حياة الحيوانات عند ترددها
في الحركات والسكنات بل في حياة ارباب الحرف والصناعات
وذلك انغماس في غمرة الجهالات ؛ الاصل الرابع العلم بكونه
تعالى مريدا لافعاله فلا موجود الا وهو مستند الى مشيته
وصادر عن ارادته فهو المبدئ المعيد الفعال لما يريد وكيف لا
يكون مريدا وكل فعل صدر منه امكن ان يصدر منه ضده
وما لا ضد له امكن ان يصدر منه ذلك بعينه قبله وبعده
والقدرة تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة فلا بد من

ارادة صادفة للقدرة الى احد المقدورين ولو اغنى العلم عن
الارادة فى تخصيص المعلوم حتى يقال انما وجد فى الوقت الذى سبق
العلم بوجوده لجاز ان يغنى عن القدرة حتى يقال وجد بغير
قدرة لانه سبق العلم بوجوده ٭ الاصل الخامس انه تعالى
سميع بصير لا يعزب عن رؤيته هواجس الضمير وخفايا الوهم
والتفكير ولا يشذ عن سمعه صوت دبيب النملة السودا فى
الليلة الظلما على الصخرة الصما فكيف لا يكون سميعا بصيرا
والسمع والبصر كمال لا محالة وليس بنقص فكيف يكون المخلوق
والمصنوع اشرف واتم من الصانع وكيف تعتدل القسمة مهما وقع
النقص فى جنبته والكمال فى خلقه وصنعه او كيف تستقيم حجة
ابرهيم عليه السلام على ابيه اذ كان يعبد الاصنام جهلا
وغيا فقال له لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيا
فلو انقلب عليه ذلك فى معبوده لاضحت حجته داحضة ودلالته
ساقطة ولم يصدق قوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابرهيم على
قومه وكما عقل كونه فاعلا بلا جارحة وعالما بلا قلب ولا دماغ
فليعقل كونه بصيرا بلا حدقة وسميعا بلا اذن اذ لا فرق بينهما ٭
الاصل السادس انه متكلم بكلام هو وصف قايم بذاته ليس

بحرف ولا صوت بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده
وجود غيره والكلام فى الحقيقة هو كلام النفس وانما الاصوات
قطعت حروفا للدلالات كما يدل عليها تارة بالحركات
والاشارات وكيف التبس هذا على طايفة من الاغبيا ولم يلتبس على
جهلة الشعرا حتى قال قايلهم ٭
ان الكلام لفى الفواد وانما جعل اللسان على الفواد دليلا
ومن لم يعقله عقله ولا نهاه نهاه عن ان يقول لسانى حادث ولكن
ما يحدث فيه بقدرتى الحادثة قديم فاقطع عن عقله طمعك وكف
عن خطابه لسانك ومن لم يفهم ان القديم عبارة عما ليس قبله شى
وان البا قبل السين فى قوله بسم الله ولا يكون السين المتاخرة عن
البا قديما فنزه عن الالتفات اليه قلبك فلله سر فى ابعاد
بعض العباد ومن يضلل الله فما له من هاد ومن استبعد ان يسمع موسى
صلى الله عليه فى الدنيا كلاما ليس بصوت فليستنكر ان يرى
فى الاخرة موجودا ليس بجسم ولا لون وان عقل ان يرى ما ليس بلون
ولا جسم ولا قدر ولا كيفية وهو الى الان لم ير غيره فليعقل
فى حاسة السمع ما عقله فى حاسة البصر وان عقل ان يكون له علم
واحد هو علم بجميع المعلومات فليعقل صفة واحدة للذات هو

الوجود

ولا كمية

كلام بجميع ما دل عليه العبارات وان عقل كون السموات السبع
والارض وكون الجنة والنار مكتوبا فى ورقة صغيرة ومحفوظا
فى مقدار ذرة من القلب ومرئيا فى مقدار عدسة من الحدقة من غير ان
تحل ذات السموات السبع والارض والجنة والنار فى الحدقة
والورقة فليعقل كون الكلام مقروا بالالسنة محفوظا فى القلوب
مكتوبا فى المصاحف من غير حلول ذات الكلام فيها اذ لو حل ذات
الكلام بكتبها فى ورق لحل ذات البارى بكتبه اسمه فى الورق ولو حل
ذات الله تعالى بكتبه اسمه فى ورق لحل ذات النار بكتبه اسمها فى
الورق ولاحترق ، الاصل السابع ان كلامه القايم بنفسه
قديم وكذا جميع صفاته اذ يستحيل ان يكون محلا للحوادث داخلا
تحت التغير بل يجب للصفات من نعوت القدم ما يجب للذات فلا
تعتريه التغيرات ولا تحله الحادثات بل لم يزل فى قدمه موصوفا
بمحامد الصفات ولا يزال فى ابده كذلك منزها عن تغير الحالات.
لان محل الحوادث لا يخلو عنها وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث
وانما ثبت نعت الحدثان للاجسام من حيث يعترضها التغاير وتقلب
الاوصاف فكيف يكون خالقها مشاركا فى قبول التغير وينبنى على هذا
ان كلامه قديم قائم بذاته وانما الحادثات هى الاصوات الدالة عليه وكما

عقل قيام طلب التعلم وارادته بذات الوالد قبل ان يخلق ولده
حتى اذا خلق ولده وعقل وخلق الله تعالى له علما بما فى قلب ابيه من
الطلب صار مامورا بذلك الطلب الذى قام بذات ابيه ودام
وجوده الى وقت معرفة ولده فليعقل قيام الطلب الذى دل عليه قوله
تعالى اخلع نعليك بذات الله تعالى ومصير موسى صلوات الله
على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام مخاطبا به بعد وجوده
اذ خلقت له معرفة بذلك الطلب وسمع لذلك الكلام القديم
الاصل الثامن ان علمه قديم فلم يزل عالما بذاته وصفاته
وما يحدثه من مخلوقاته ومهما حدثت المخلوقات لم يحدث له علم
بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم الازلى اذ لو خلق لنا علم بقدوم
زيد عند طلوع الشمس ودام ذلك العلم تقديرا حتى طلعت الشمس
لكان قدوم زيد عند طلوع الشمس معلوما لنا بذلك العلم من
غير تجدد علم آخر فهكذا ينبغى ان يفهم قدم الله تعالى ۵ الاصل
التاسع ان ارادته قديمة وهى فى القدم تعلقت باحداث
الحوادث فى اوقاتها اللايقة بها على وفق سبق العلم الازلى اذ لو
كانت حادثة لصار محل الحوادث ولو حدثت فى غير ذاته لم يكن
هو مريدا بها كما لا تكون انت متحركا بحركة ليست فى ذاتك وكيف

علم

ما قدرت فيفتقر حدوثها الى ارادة اخرى وكذلك الارادة الاخرى
تفتقر الى اخرى ويتسلسل الامر الى غير نهاية ولو جاز ان يحدث
ارادة بغير ارادة لجاز ان يحدث العالم بغير ارادة ٭ الاصل
العاشر ان الله تعالى عالم بعلم حي بحياة قادر بقدرة مريد بارادة
ومتكلم بكلام وسميع بسمع وبصير ببصر وله هذه الاوصاف
من هذه الصفات القديمة وقول القايل عالم بلا علم كقول القايل
غني بلا مال وعلم بلا عالم وعالم بلا معلوم فان العلم والمعلوم والعالم
متلازمة كالقتل والمقتول والقاتل وكما لا يتصور قاتل بلا قتل ولا
قتيل ولا يتصور قتيل بلا قاتل ولا قتل فكذلك لا يتصور عالم بلا علم
وعلم بلا معلوم ومعلوم بلا عالم بل هذه الثلثة متلازمة في العقل
لا ينفك بعضها عن البعض فمن جوز انفكاك العالم عن العلم فليجوز انفكاكه
عن المعلوم وانفكاك العلم عن العالم اذ لا فرق بين هذه الاضافات
الركن الثالث العلم بافعال الله تعالى ومداره على عشرة
اصول ٭ الاصل الاول العلم بان كل حادث في العالم فهو فعله
وخلقه واختراعه لا خالق سواه ولا محدث الا اياه خلق الخلق
وصنعتهم واوجد قدرتهم وحركتهم فجميع افعال عباده مخلوقة له
ومتعلق بقدرته تصديقا له في قوله تعالى خالق كل شيء وفي قوله

والله خلقكم وما تعملون وفي قوله واسروا قولكم او اجهروا
به انه عليم بذات الصدور الا يعلم من خلق وهو اللطيف
الخبير امر العباد بالتحرز في اقوالهم واسرارهم واضمارهم لعلمه
بموارد افعالهم واستدل على العلم بالخلق وكيف لا يكون خالقا لفعل
العبد وقدرته لا قصور فيها وهي متعلقة بحركات ابدان العباد
والحركات متماثلة وتعلق القدرة بها لذاتها فما الذي يقصر تعلقها
عن بعض الحركات دون بعض مع تماثلها وكيف يكون الحيوان مستبدا
بالاختراع ويصدر من العنكبوت والنحل وساير الحيوانات من
لطايف الصناعات ما تتحير فيه عقول ذوي الالباب فكيف انفردت هي
باختراعها دون رب الارباب وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها
من الاكتساب هيهات هيهات هيهات ذلت المخلوقات وتفرد
بالملك والملكوت جبار الارض والسموات الاصل الثاني
ان انفراد الله سبحانه باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها
مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل الله خلق القدرة
والمقدور جميعا وخلق الاختيار والمختار فاما القدرة فوصف
للعبد وخلق للرب وليس بكسب له واما الحركة فخلق للرب ووصف
للعبد وكسب له فانها خلقت بقدرة هي وصفه فكانت للحركة نسبة

الى صفة اخرى وتسمى قدرة فيسمى باعتبار تلك النسبة كسبا وكيف
يكون جبرا محضا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة
والرعدة الضرورية او كيف يكون خلقا للعبد وهو لا يحيط علما
بتفاصيل اجزاء الحركات المكتسبة واعدادها واذا بطل الطرفان
لم يبق الا الاقتصاد في الاعتقاد وهو انها مقدورة بقدرة الله
اختراعا وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنه بالاكتساب
وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور ان يكون بالاختراع فقط
اذ قدرة الله في الازل كانت متعلقة بالعالم ولم يكن الاختراع
حاصلا بها وهو عند الاختراع متعلق به نوعا اخر من التعلق فيه
فظهر تعلق القدرة ليس مخصوصا بحصول المقدور بها، الاصل
الثالث ان فعل العبد وان كان كسبا للعبد فلا يخرج عن كونه مرادا
لله تعالى ولا يجري في الملك والملكوت طرفة عين ولا لفتة خاطر ولا
فلتة ناظر الا بقضاء الله وقدرته وبارادته ومشيئته فمنه الخير
والشر والنفع والضر والاسلام والكفر والعرفان والنكر والفوز والخسر
والغواية والرشد والطاعة والعصيان والشرك والايمان لا راد
لقضائه ولا معقب لحكمه يضل من يشاء ويهدي من يشاء لا يسئل عما
يفعل وهم يسئلون ويدل عليه من النقل قول الامة قاطبة ما شاء

الله كان وما لم يشأ لم يكن وقوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على
الهدى وقوله ولو شاء الله لهدى الناس جميعا وقوله ولو شئنا لآتينا
كل نفس هداها ويدل عليه من جهة العقل ان المعاصي والجرائم
ان كان الله يكرهها ولا يريدها وانما هي جارية على وفق ارادة ابليس
لعنه الله مع انه عدو لله فالجاري على وفق ارادة العدو اكثر من
الجاري على وفق ارادته فليت شعري كيف يستجيز المسلم ان يرد
ملك الجبار ذي الجلال والاكرام الى رتبة لو ردت اليها رياسة
زعيم ضيعة لاستنكف منها اذ لو كان ما يستتب لعدو الزعيم في القرية
اكثر مما يستتب له لاستنكف من زعامته وتبرأ عن ولايته والمعصية
هي الغالبة على الخلق وكل ذلك جار عند المبتدعة على خلاف
ارادة الحق وهذا غاية الضعف والعجز تعالى رب الارباب عن
قول الظالمين علوا كبيرا ثم مهما ظهر ان افعال العباد مخلوقة
لله تعالى صح انها مرادة له فان قيل وكيف ينهى عما يريد ويأمر
بما لا يريد قلنا الامر غير الارادة ولذلك اذا ضرب السيد عبده
فعاتبه السلطان عليه فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان
فاراد اظهار حجته بان يأمر عبده بفعل ويخالفه بين يديه فقال
له اسرج هذه الدابة بمشهد من السلطان فهو يأمره بما لا يريد

امتثاله ولو لم يكن امراً لما كان عذره عند السلطان متمهداً
ولو كان غرضه الامتثال لكان غرضه الهلاك بنفسه وهو محال
الاصل الرابع ان الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ومتطول
بتكليف العباد ولم يكن الخلق والتكليف واجبا عليه وقالت
المعتزلة وجب عليه ذلك لما فيه من مصلحة العباد وهو محال اذ
هو الموجب والامر والناهي وكيف يتهدف لايجاب او يتعرض
للزوم وخطاب والمراد بالواجب احد امرين اما الفعل الذي في
تركه ضرر آجل كما يقال يجب على العبد ان يطيع الله او ضرر
عاجل كما يقال يجب على العطشان ان يشرب الماء حتى لا يموت
واما يراد به الذي عدمه يودي الى محال كما يقال وجود المعلوم
واجب وجوده اذ عدمه يودي الى محال وهو ان يصير العلم جهلا
فان اراد الخصم بان الخلق واجب على الله بالمعنى الاول فقد عرضه
للضرر وان اراد به المعنى الثاني فهو مسلم اذ بعد سبق العلم لا
بد من وجود المعلوم وان اراد به معنى ثالثا فهو غير مفهوم وقوله
يجب لمصلحة عباده كلام فاسد فانه اذ لم يتضرر بتركه مصلحة العباد
لم يكن للوجوب في حقه معنى ثم مصلحة العباد في ان يخلقهم في الجنة
فاما ان يخلقهم في دار البلايا ويعرضهم للخطايا ثم يهدفهم لخطر العقاب

وهول العرض والحساب فما في ذلك غبطة عند ذوي الالباب
الاصل الخامس انه يجوز على الله سبحانه ان يكلف عباده ما لا
يطيقونه خلافا للمعتزلة ولو لم يجز ذلك لاستحال سوال دفعه
وقد سالوا ذلك فقالوا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ولان الله
تعالى اخبر نبيه بان ابا جهل لا يصدقه ثم امره بان يصدقه في جميع
اقواله وكان من جملة اقواله انه لا يصدقه فكيف يصدقه في انه لا
يصدقه وهل هذا الا محال وجوده ، الاصل السادس ان لله
ايلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم سابق ومن غير ثواب لاحق خلافا
للمعتزلة لانه متصرف في ملكه ولا يتصور ان يعدو تصرفه ملكه والظلم
عبارة عن التصرف في ملك الغير وهو محال على الله فانه لا يصادف
لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما ويدل على جواز ذلك وجوده فان
ذبح البهايم ايلام لها وما صب عليها من انواع العذاب من جهة الادميين
لم يتقدمها جريمة فان قيل ان الله تعالى يحشرها ويجازيها على قدر ما
تقاسيها من الالام ويجب ذلك على الله فنقول من زعم انه يجب على الله
فنقول من زعم انه يجب على الله احيا كل نملة وطيت وكل بقة عركت
حتى يثيبها على الامها فقد خرج عن الشرع والعقل اذ يقال وصف الثواب
والحشر لكونه واجبا عليه ان كان المراد به انه يتضرر بتركه فهو محال

هو مح

وان اريد به غيره فقد سبق انه غير مفهوم اذا خرج عن المعاني المذكورة للواجب • الاصل السابع انه يفعل بعباده ما يشا فلا يجب عليه رعاية الاصلح لعباده لما ذكرناه من انه لا يجب عليه شي بل لا يعقل في حقه الوجوب فانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وليت شعري بم يجيب المعتزلي في قوله ان الاصلح واجب عليه عن مسئلة يفرضها عليهم وهو ان يفرض مناظرة في الاخرة بين صبي مات مسلما وبين بالغ مات مسلما فان الله يزيد في درجات البالغ ويفضله على الصبي لانه تعب بالايمان والطاعات بعد البلوغ ويجب عليه ذلك عند المعتزلي فلو قال الصبي يا رب لم رفعت منزلته علي فيقول لانه بلغ واجتهد في الطاعة فيقول الصبي انت امتني في الصبا فكان يجب ان تديم حياتي حتى ابلغ فاجتهد فقد عدلت عن العدل في التفضيل عليه بتطويل العمر دوني فلم فضلته فيقول الله اني علمت انك لو بلغت لاشركت او عصيت فكان الاصلح لك الموت في الصبا هذا عذر المعتزلي عن الله وعند هذا ينادي الكفار من دركات لظى ويقولون اما علمت اننا اذا بلغنا اشركنا فهلا امتنا في الصبا فانا رضينا دون منزلة الصبي المسلم فبماذا يجاب عن ذلك وهل يجب عند هذا القطع بان الامور الالهية تعالى بحكم الجلال عن ان يوزن

بميزان اهل الاعتزال فان قيل مهما قدر على رعاية الاصلح للعباد ثم سلط عليهم اسباب العذاب كان ذلك قبيحا لا يليق بالحكمة قلنا معنى القبيح ما لا يوافق الغرض حتى قد يكون الشي قبيحا عند شخص حسنا عند غيره اذا وافق غرض احدهما دون الاخر حتى يستقبح قتل الشخص اولياؤه ويستحسنه اعداؤه فان اريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الباري فهو محال اذ لا غرض له فلا يتصور منه قبح كما لا يتصور منه ظلم اذ لا يمكنه التصرف في ملك الغير وان اريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الغير فلم قلتم ان ذلك عليه محال وهل هذا الا مجرد تشهي شهد بخلافه ما فرضناه من مخاصمة اهل النار ثم الحكيم معناه العالم بحقايق الاشيا والقادر على احكام فعلها على وفق ارادته وهذا من اين يوجب رعاية الاصلح واما الحكيم منا يراعي الاصلح نظرا لنفسه ليستفيد به في الدنيا ثنا او في الاخرة ثوابا او يدفع به ضررا عن نفسه رحمة ورقة وكل ذلك على الله محال الاصل الثامن ان معرفة الله وطاعته واجب بايجاب الله وشرعه لا بالعقل خلافا للمعتزلة لان العقل ان اوجب الطاعة فلا يخلو اما ان يوجبه لغير فايدة وهو محال فان العقل لا يوجب العبث واما ان يوجبه لفايدة وغرض وذلك لا يخلو اما ان يرجع الى المعبود وذلك محال فانه

يدة

تتقدس عن الاعراض والفوايد بل الكفر والايمان والطاعة والعصيان
في حقه تعالى سيان واما ان يرجع الى غرض العبد وهو محال لانه
لا غرض له في الحال بل يتعب به وينصرف عن الشهوات بسببه وليس
في المال الا الثواب ومن اين نعلم ان الله تعالى يثيب على المعرفة والطاعة
ولا يعاقب عليه مع ان الطاعة والمعصية في حقه يتساويان اذ
ليس له الى احدهما ميل ولا لاحدهما به اختصاص وانما عرف تمييز ذلك
بالشرع ولقد زل من اخذ هذا من المقايسة بين الخالق والمخلوق حيث
تفرق المخلوق بين الشكر والكفران لما له من الارتياح والاهتزاز والتلذذ
باحدهما دون الاخر فان قيل فاذا لم يجب النظر والمعرفة الا بالشرع
والشرع لا يستقر ما لم ينظر المكلف فيه فاذا قال المكلف للنبي ان العقل
ليس يوجب علي والشرع لا يثبت الا بالنظر ولست اقدم على النظر
ادى الى افحام الرسول قلنا هذا يضاهي قول القايل للواقف في
موضع من المواضع ان وراءك سبعا ضاريا فان لم تبرح عن المكان قتلك
فان التفت وراءك ونظرت عرفت صدقي فيقول الواقف لا يثبت
صدقك ما لم التفت ورائي ولا التفت ورائي ولا انظر ما لم يثبت
صدقك فيدل هذا على حماقة هذا القايل وتعرضه للهلاك ولا ضرر
فيه على الهادي المرشد فكذلك النبي يقول وراءكم الموت ودونه السباع

الضارية والنيران المحرقة وان لم تاخذوا منها حذركم هلكتم
وتعرفون صدقي بالالتفات الى معجزتي فمن التفت عرف واحترز ونجا
ومن لم يلتفت واصر هلك وتردى ولا ضرر علي ان هلك الناس كلهم
اجمعون وانما علي البلاغ فالشرع يعرف وجود السباع الضارية
بعد الموت والعقل يفيد فهم كلامه والاحاطة بامكان ما يقوله
في المستقبل والطبع يستحث على الحذر من الضرر ومعنى كون
الشي واجبا ان في تركه ضررا ومعنى كون الشرع موجبا انه معرف
للضرر المتوقع فان العقل لا يهدي الى التهدف للضرر بعد الموت عند
اتباع الشهوات فهذا معنى الشرع والعقل وتاثيرهما في تقرير الواجب
ولولا خوف العقاب على ترك ما امر به لم يكن الوجوب ثابتا اذ لا
معنى للواجب الا ما يرتبط بتركه ضرر في الاخرة ۰ الاصل
التاسع انه ليس يستحيل بعثة الانبيا خلافا للبراهمة حيث قالوا
لا فايدة في بعثهم اذ في العقل مندوحة عنهم وهذا فاسد لان العقل
لا يهدي الى الافعال المنجية في الاخرة كما لا يهدي الى الادوية
المفيدة للصحة فحاجة الخلق الى الانبيا كحاجتهم الى الاطبا ولكن
يعرف صدق الطبيب بالتجربة ويعرف صدق النبي بالمعجزة ۰ الاصل
العاشر ان الله تعالى قد ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للنبيين

ونسخا لما قبله من شرايع اليهود والنصارى والصابين وايده
بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة كانشقاق القمر وتسبيح الحصا
وانطاق العجمى وما تفجر من الماء من بين اصابعه ومن اياته الظاهرة
التي تحدى بها مع كافة العرب القرآن فانهم مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة
تهدفوا لسبيه ونهبه وقتله ولم يقدروا على معارضته بمثله اذ لم
يكن في قدرة البشر الجمع بين جزالة القرآن ونظمه هذا مع ما فيه من
اخبار الاولين مع كونه اميا غير ممارس للكتب والانباء عن الغيب في امور
تحقق صدقه في الاستقبال كقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين
محلقين رؤسكم ومقصرين وكقوله الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من
بعد غلبهم سيغلبون ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسل ان كل ما
عجز عنه البشر لم يكن الا فعلا لله تعالى فمهما كان مقرونا بتحدي النبي
صلى الله عليه وسلم نزل منزلة قوله صدقت وذلك مثل القايم بين يدي
الملك المدعي على رعيته انه رسول الملك فانه مهما قال للملك ان كنت
صادقا فقم على سريرك ثلثا واقعد على خلاف عادتك ففعل الملك
حصل للحاضرين علم ضروري بان ذلك نازل منزلة قوله صدقت
الركن الرابع في السمعيات وتصديقه صلى الله عليه وسلم فيما اخبر
عنه ومداره على عشرة اصول الاصل الاول الحشر والنشر وقد

ورد بهما الشرع وهو حق والتصديق به واجب لانه في العقل ممكن
ومعناه الاعادة بعد الافناء وذلك مقدور لله تعالى كالابتداء
الانشاء قال الله تعالى قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها
الذي انشاها اول مرة فاستدل بالابتداء على الاعادة وقال ما خلقكم
ولا بعثكم الا كنفس واحدة والاعادة ابتداء ثان فهو ممكن كالابتداء الاول
الاصل الثاني سؤال منكر ونكير وقد وردت به الاخبار فيجب التصديق
به لانه ممكن اذ ليس يستدعي الا اعادة الحياة الى جزء من الاجزاء الذي به
فهم الخطاب وذلك ممكن في نفسه ولا يدفع ذلك ما يشاهد من سكون
اجزاء الميت وعدم سماعنا للسؤال فان النايم ساكن بظاهره ويدرك
من باطنه من الالام واللذات ما يحس باثره عند التنبيه وكان يسمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام جبريل عليه السلام ويشاهده
ومن حوله لا يسمعونه ولا يرونه ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء
فاذا لم يخلق لهم السمع والرؤية لم يدركوا . الاصل الثالث
عذاب القبر وقد ورد الشرع به قال تعالى النار يعرضون عليها
غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب
واشتهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف الصالحين الاستعاذة
من عذاب القبر وهو ممكن فيجب التصديق به ولا يمنع من التصديق به

تفرق اجزاء الميت في بطون السباع وحواصل الطير فان المدرك
لألم العذاب من الحيوان اجزاء مخصوصة يقدر الله تعالى على اعادة
الادراك اليها ، الاصل الرابع الميزان قال الله تعالى ونضع
الموازين القسط ليوم القيامة وقال تعالى فمن ثقلت موازينه
ووجهه ان الله تعالى يحدث في صحايف الاعمال وزنا بحسب درجات
الاعمال عند الله فتصير مقادير اعمال العباد معلومة للعباد حتى
يظهر لهم العدل في العقاب او الفضل في العفو وتضعيف الثواب
الاصل الخامس الصراط وهو جسر ممدود على متن النار ادق من
الشعر واحد من السيف قال تعالى واهدوهم الى صراط الجحيم
وقفوهم انهم مسئولون وهذا ممكن فيجب التصديق به فان القادر
على ان يطير الطاير في الهواء قادر على ان يسير الانسان على الصراط
الاصل السادس ان الجنة والنار مخلوقتان قال الله تعالى
وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت
للمتقين فقوله اعدت دليل على انها مخلوقة فيجب اجراؤه على الظاهر
اذ لا استحالة فيه ولا يقال لا فايدة في خلقهما قبل يوم الجزاء لان الله
تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ، الاصل السابع ان الامام الحق
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي

الله عنهم ولم يكن نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على امام اصلا
اذ لو كان لكان اولى بالظهور من نصبه احاد الولاة والامراء على الجنود
في البلاد ولم يخف ذلك فكيف خفي هذا وان ظهر كيف اندرس حتى
لم ينقل الينا فلم يكن ابو بكر اماما الا بالاختيار والبيعة واما
تقدير النص على غيره فهو نسبة للصحابة كلهم الى مخالفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وخرق الاجماع وذلك مما لم يستجر على اختراعه
الا الروافض واعتقاد اهل السنة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم
كما اثنى الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وما جرى
بين معوية وعلي رضي الله عنهما كان مبنيا على الاجتهاد لا منازعة من
معوية في الامامة اذ ظن علي رضي الله عنه ان تسليم قتلة عثمان مع
كثرة عشايرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدي الى اضطراب امر الامامة في
بدايتها فرأى التأخير اصوب وظن معوية ان تأخير امرهم مع عظم
جنايتهم يوجب الاغراء بالايمة ويعرض الدماء للسفك وقد قال افاضل
العلماء كل مجتهد مصيب وقال قايلون المصيب واحد ولم يذهب الى
تخطية علي رضي الله عنه ذو تحصيل اصلا ، الاصل الثامن
ان فضل الصحابة على حسب ترتيبهم في الخلافة اذ حقيقة الفضل ما
هو فضل عند الله تعالى وذلك لا يطلع عليه الا رسول الله صلى الله

عليه وسلم وقد ورد في الثنا على جميعهم اخبار وانما يدرك المشاهدون للوحي والتنزيل بقراين الاحوال ودقايق التفصيل فلولا فهمهم ذلك لما رتبوا الامر كذلك اذ كانوا لا ياخذهم في الله لومة لايم ولا يصرفهم عن الحق الاتهم صارف ، الاصل التاسع ان شرايط الامامة بعد الاسلام والتكليف خمسة الذكورة والورع والعلم والكفاية ونسب قريش لقوله صلى الله عليه وسلم الايمة من قريش واذا اجتمع عدد من الموصوفين بهذه الصفات فالامام من انعقدت له البيعة من اكثر الخلق والمخالف للاكثر باغي يجب رده الى الانقياد للحق ، الاصل العاشر انه لو تعذر وجود الورع والعلم فيمن تصدى للامامه وكان في صرفه اثاره فتنة لا تطاق حكمنا بانعقاد امامته لانا بين ان نحرك فتنه بالاستبدال فما يلقى المسلمون فيه من الضرر يزيد على ما يفوتهم من نقصان هذه الشروط التي اثبتت لمزية المصلحة فلا نهدم اصل المصلحة شعفا بمزاياها كالذي يبني قصرا ويهدم مصرا وبين ان نحكم بخلو البلاد عن الامام وبفساد الاقضية وذلك محال ونحن نقضي بنفوذ قضا اهل البغي في بلادهم لمسيس حاجتهم فكيف لا نقضي بصحة الامامة عند الحاجة والضرورة

لمزيد

فهذه الاركان الاربعة الحاوية للاصول الاربعين هي قواعد العقايد فمن اعتقدها كان موافقا لاهل السنه ومباينا لاهل البدعه والله تعالى يسددنا بتوفيقه ويهدينا الى الحق وتحقيقه بمنه وسعة جوده

الفصل الرابع

من قواعد العقايد في الايمان والاسلام وما بينهما من الاتصال والانفصال وما يتطرق اليه من الزيادة والنقصان ووجه استثنا السلف وفيه مسايل ثلاثة مسئلة اختلفوا في ان الاسلام هو الايمان او غيره وان كان غيره فهو منفصل يوجد دونه او هو مرتبط به يلازمه فقيل انهما شي واحد وقيل انهما لا يتواصلان وقيل انهما شيان ولكن يرتبط احدهما بالاخر وقد اورد ابو طالب المكي في هذا كلاما شديد الاضطراب كثير التطويل فلنهجم على التصريح بالحق من غير تعريج على نقل ما لا تحصيل له فنقول في هذا ثلث مباحث بحث عن موجب اللفظين في اللغة وبحث عن المراد بهما في اطلاق الشرع وبحث عن حكمهما في الدنيا والاخرة والبحث الاول لغوي والثاني تفسيري والثالث فقهي شرعي ۞ البحث الاول في موجب اللغه والحق فيه ان الايمان عبارة عن التصديق قال تعالى وما انت بمومن لنا اي مصدق والاسلام

عبارة عن التسليم والاستسلام بالاذعان والانقياد وترك التمرد
والإبا والعناد وللتصديق محل خاص وهو القلب واللسان ترجمانه
واما التسليم فانه عام في القلب واللسان والجوارح فان كل
تصديق بالقلب هو تسليم وترك الابا والجحود وكذلك الاعتراف
باللسان وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح فموجب اللغة ان
الاسلام اعم والايمان اخص وكان الايمان عبارة عن اشرف اجزاء
الاسلام فاذا كل تصديق تسليم وليس كل تسليم تصديقا البحث
الثاني عن اطلاق الشرع والحق فيه ان الشرع قد ورد باستعمالها
على سبيل الترادف والتوارد وورد على سبيل الاختلاف وورد
على سبيل التداخل اما الترادف ففي قوله تعالى فاخرجنا من كان
فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ولم يكن
بالاتفاق الا بيت واحد وقال تعالى ان كنتم امنتم بالله
فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين وقال صلى الله عليه وسلم
بني الاسلام على خمس وسيل مرة عن الايمان فاجاب بهذه
الخمس واما الاختلاف فقوله تعالى قالت الاعراب امنا
قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا ومعناه استسلمنا في الظاهر
فاراد بالايمان ها هنا تصديق القلب فقط وبالاسلام

الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح وفي حديث جبريل
لما سأله عن الايمان فقال ان تومن بالله وملائكته وكتبه
ورسله وبالبعث بعد الموت وبالحساب وبالقدر خيره
وشره فقال فما الاسلام فذكر الخصال الخمس فعبر بالاسلام
عن تسليم الظاهر بالقول والعمل وفي حديث سعد انه عليه السلم
اعطى رجلا عطا ولم يعط الاخر فقال له سعد يا رسول الله
تركت فلانا لم تعطه وهو مومن فقال او مسلم فاعاد عليه
فاعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي ايضا انه سيل
وقيل له اي الاعمال افضل فقال الاسلام فقال اي الاسلام
افضل فقال الايمان وهذا دليل على الاختلاف والتداخل
وهو أوفق الاستعمالات للغة لان الاسلام عمل من الاعمال وهو
افضلها والاسلام وهو التصديق الذي يسمى ايمانا والاستعمال
لهما على سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف
كله غير خارج عن طريق التجوز في اللغة اما الاختلاف فهو
ان يجعل الايمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط وهو موافق
اللغة والاسلام عبارة عن التسليم ظاهرا وهو ايضا موافق
اللغة فان التسليم ببعض محال التسليم يطلق عليه اسم التسليم

فَلَيسَ مِن شَرطِ حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن
ان يوجد المعنى فيه فان من لمس غيره ببعض يديه يسمى لامسًا
وان لم يستغرق جميع بدنه فاطلاق اسم الاسلام على التسليم
الظاهر عند عدم تسليم الباطن مطابق للسان وعلى هذا الوجه
جرى قوله قالت الاعراب امنا وقوله في حديث سعد او مسلم لانه
فصل احدهما عن الاخر وتريد بالاختلاف تفاضل المسميين
واما التداخل فهو انه ايضا للغة وهو ان يجعل الاسلام عبارة عن
التسليم بالقول والعمل جميعا والايمان عبارة عن بعض ما دخل
في الاسلام وهو القلب وهو الذي عنيناه بالتداخل وهذا موافق
للغة في خصوص الايمان وعموم الاسلام للكل وعلى هذا
خرج قوله الايمان في جواب قول السايل اي الاسلام افضل
لانه جعل الايمان خصوصا من الاسلام فادخله فيه واما استعماله
على سبيل الترادف بان يجعل الاسلام عبارة عن التسليم وكذي
الايمان ويكون التصرف في الايمان على الخصوص بتعميمه وادخال
الظاهر في معناه وهو جايز لان تسليم الظاهر بالقول والعمل
ثمرة تصديق الباطن ونتيجته وقد يطلق اسم الشجرة ويراد به الشجرة
مع الثمرة على سبيل التسامح فيصير بهذا القدر من التعميم مترادفا

(في الهامش: لعله القلب صح)

(في الهامش: بالتسليم الظاهر حتى ما كان دون التسليم صح)

لاسم الاسلام ومطابقا له فلا يزيد عليه ولا ينقص وعليه خرج
قوله فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين البحث الثالث عن الحكم
الشرعي والاسلام والايمان حكمان اخروي ودنيوي اما الاخروي
فهو الاخراج من النار ومنع التخليد اذ قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان
وقد اختلفوا في ان هذا الحكم على ماذا يترتب وعبروا عنه
بان الايمان ماذا فمن قايل يقول انه مجرد العقد ومن قايل يقول
انه عقد بالقلب وشهادة باللسان ومن قايل يزيد ثالثا وهو
العمل بالاركان ونحن نكشف الغطاء عنه ونقول من جمع بين هذه
الثلث فلا خلاف في ان مستقره الجنة وهذه درجة الدرجة
الثانية ان يوجد ثنان وبعض الثالث وهو القول والعقد
وبعض الاعمال ولكن ارتكب صاحبه كبيرة او بعض الكباير فعند
هذا قال المعتزلة خرج بهذا عن الايمان ولم يدخل في الكفر
بل اسمه الفاسق وهو على منزلة بين المنزلتين وهو مخلد في
النار وهذا باطل كما سنذكره الدرجة الثالثة ان يوجد التصديق
بالقلب والشهادة باللسان دون الاعمال بالجوارح وقد اختلفوا
في حكمه فقال ابو طالب المكي العمل من الايمان ولا يتم دونه وادعى

(في الهامش: اخرجاه من حديث ابي سعيد الخدري
في الشفاعة وفيه اذهبوا فمن وجدتم
في قلبه مثقال ذرة من الايمان
فاخرجوه الحديث ولهما من حديث
انس حتى لا انطلق فاخرج منها من
كان في قلبه مثقال حبة او خردلة
من الايمان لفظ البخاري وفيما
ذكره تعليقا من حديث انس يخرج
من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه
وزن ذرة من ايمان وهو عندهما
متصل بلفظ خير مكان ايمان
ع)

الاجماع فيه واستدل بادله تشعر بنقيض غرضه كقوله الذين
امنوا وعملوا الصالحات اذ هذا يدل على ان العمل ورا الايمان
لا من نفس الايمان والا فيكون العمل في حكم المعاد والعجب انه
ادعى الاجماع في هذا وهو مع ذلك ينقل قوله صلى الله عليه وسلم
لا يكفر احد الا بجحوده بما اقر به وينكر على المعتزله قولهم
بالتخليد في النار بسبب الكباير والقايل بهذا قايل بعين مذهب
المعتزلة اذ يقال له من صدق بقلبه وشهد بلسانه ومات في
الحال فهل هو في الجنة فلا بد وان يقال نعم وفيه حكم بوجود
الايمان دون العمل فنزيد ونقول لو بقي حيا حتى دخل عليه وقت
صلاه واحده فتركها ثم مات او زنى ثم مات فهل يخلد في النار
فان قال نعم فهو مراد المعتزله وان قال لا فهو تصريح بان العمل ليس
ركنا من نفس الايمان ولا شرطا في وجوده ولا في استحقاق الجنة به
وان قال اردت به ان يعيش مدة طويله ولا يصلي ولا يقدم على شي
من الاعمال الشرعية فما ضبط تلك المدة وما عدد تلك الطاعات
التي يترکها يبطل الايمان وما عدد الكباير التي بارتكابها يبطل الايمان
وهذا لا يمكن التحكم بتقديره ولم يصر اليه صاير اصلا ، الدرجه
الرابعه ان يوجد التصديق بالقلب فقبل ان ينطق باللسان ويشتغل

بالاعمال مات فهل نقول مات مومنا بينه وبين الله وهذا
مما اختلف فيه ومن شرط القول لتمام الايمان يقول هذا مات
قبل الايمان وهو فاسد اذ قال صلى الله عليه يخرج من النار من
كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وهذا قلبه طافح بالايمان
فكيف يخلد ولم يشرط في حديث جبريل الايمان الا بالتصديق
بالله وملايكته واليوم الاخر كما سبق • الدرجة الخامسه
ان يصدق بالقلب ويساعده من العمر مهلة النطق بكلمتي الشهادة
وعلم وجوبها ولكنه لم ينطق بها فيحتمل ان يجعل امتناعه عن النطق
كامتناعه عن الصلاه ونقول هو مومن غير مخلد في النار والايمان
هو التصديق المحض واللسان ترجمان الايمان فلا بد ان يكون
الايمان موجودا بتمامه قبل اللسان حتى يترجمه اللسان وهذا
هو الاظهر اذ لا مستند الا اتباع موجب الالفاظ ووضع اللسان
ان الايمان عبارة عن التصديق بالقلب وقد قال يخرج من النار من كان
في قلبه مثقال ذره ولا ينعدم الايمان من القلب بالسكوت عن
النطق الواجب كما لا ينعدم بالسكوت عن الفعل الواجب وقال
قايلون القول ركن اذ ليس كلمة الشهادة اخبارا عن القلب بل
هو انشا عقد وابتدا شهادة والتزام والاول اظهر وقد غلا

يمان

وكتبه ورسله

من الايمان

في هذا طايفة المرجيه فقالوا هذا لا يدخل النار اصلا
وقالوا ان المومن وان عصى فلا يدخل النار وسيبطل ذلك
عليهم الدرجة السادسة ان يقول بلسانه لا اله الا الله محمد
رسول الله ولكن لم يصدق بقلبه فلا نشك ان هذا في حكم الاخرة
من الكفار وانه مخلد في النار ولا نشك في انه في حكم الدنيا
الذي يتعلق بالايمة والولاة من المسلمين لان قلبه لا يطلع عليه
وعلينا ان نظن به انه ما قاله بلسانه الا وهو منطو عليه بقلبه
وانما نشك في امر ثالث وهو الحكم الدنيوي فيما بينه وبين الله
وذلك بان يموت له في هذه الحال قريب مسلم ثم يصدق بعد
ذلك بقلبه ثم يستفتي ويقول كنت غير مصدق بالقلب حالة
الموت والميراث الان في يدي فهل يحل لي بيني وبين الله او نكح مسلمة
ثم صدق فهل يلزمه اعادة النكاح هذا في محل النظر فيحتمل ان
يقال احكام الدنيا منوطة بالقول الظاهر ظاهرا وباطنا ويحتمل
ان يقال يناط بالظاهر في حق غيره لان باطنه غير ظاهر لغيره
وباطنه ظاهر له في نفسه بينه وبين الله والاظهر والعلم
عند الله انه لا يحل له ذلك الميراث ويلزمه اعادة النكاح
ولذلك كان حذيفة لا يحضر جنازة من يموت من المنافقين وعمر

كان يراعي ذلك فلا يحضر اذا لم يحضر حذيفة والصلاة فعل
ظاهر في الدنيا وان كان من العبادات والتوقي عن الحرام ايضا من
جملة ما يجب لله كالصلاة وليس هذا مناقضا لقولنا ان الارث
حكم الاسلام وهو استسلام بل الاستسلام التام ما يشمل
الظاهر والباطن وهذه مباحث فقهية ظنية تبنى على ظواهر
الالفاظ والعمومات والاقيسة فلا ينبغي ان يظن القاصر في العلوم
ان المطلب فيه القطع من حيث جرت العادة بايراده في فن الكلام
الذي يطلب فيه القطع فما افلح من نظر الى العادات والمراسم في
العلوم فان قلت فما شبهة المعتزلة والمرجية وما حجة بطلان
قولهم فاقول شبهتهم عمومات القران اما المرجية قالوا لا
يدخل المومن النار وان اتى بكل المعاصي بقوله تعالى ومن يومن بربه
فلا يخاف بخسا ولا رهقا ولقوله والذين امنوا بالله ورسله اولئك
هم الصديقون والشهداء عند ربهم ولقوله كلما القي فيها فوج سالهم
خزنتها الى قوله فكذبنا وقلنا ما نزل الله وقوله كلما القي عام فينبغي
ان يكون كل من القي مكذبا ولقوله لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب
وتولى وهذا حصر واثبات ونفي ولقوله من جاء بالحسنة فله خير
منها وهم من فزع يومئذ امنون والايمان راس الحسنات ولقوله

والله يحب المحسنين وقال انا لا نضيع اجر من احسن عملا
ولا حجة لهم فيه فانه حيث ذكر الايمان بهذه الايات اريد
به الايمان مع العمل اذ بينا ان الايمان قد يطلق ويراد به الاسلام
وهو الموافقة بالقلب والقول والعمل ودليل هذا التاويل
اخبار كثيرة في معاقبة العاصين ومقادير العقاب وقوله
يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان فكيف
يخرج اذا لم يدخل ومن القران قوله تعالى ان الله لا يغفر ان
يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فالاستثناء بالمشية يدل
على الانقسام وقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم
عام وتخصيصه بالكفر تحكم وقوله الا ان الظالمين في عذاب مقيم
وقال من جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار فهذه العمومات
في معارضة عموماتهم ولا بد من تسليط التخصيص والتاويل
على الجانبين لان الاخبار مصرحة بان العصاة يعذبون بل قوله
تعالى وان منكم الا واردها كالصريح في ان ذلك لا بد منه للكل
اذ لا يخلو مومن عن ذنب يرتكبه وقوله لا يصلاها الا الاشقى
اراد به جماعة مخصوصين او اراد بالاشقى شخصا معينا ايضا
وقوله كلما القي فيها فوج اي فوج من الكفار وتخصيص العمومات

من ص

قرينة وعن هذه الاية وقع الاشعري وطايفة من المتكلمين
في انكار صيغ العموم وان هذه الالفاظ يتوقف فيها الى ان ترد
قرينة تدل على معناها واما المعتزلة فشبهتهم قوله تعالى
واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله والعصر
ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقوله
وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا
ونذر وقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم وكل
اية ذكر العمل الصالح مقرونا فيها بالايمان وقوله ومن يقتل
مومنا متعمدا فجزاوه جهنم وهذه العمومات ايضا مخصوصة بدليل
قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فينبغي ان يبقى له مشية في
مغفرة ما سوى الشرك وكذلك قوله يخرج من النار من في قلبه مثقال
ذرة من الايمان وقوله ان الله لا يضيع اجر المحسنين فكيف يضيع
اصل الايمان وجميع الطاعات بمعصية واحدة وقوله ومن يقتل
مومنا متعمدا اي لايمانه وقد ورد على مثل هذا السبب فان
قلت فقد مال الاخيار الى ان الايمان حاصل دون العمل وقد
اشتهر عن السلف قولهم الايمان عقد وقول وعمل فما معناه قلنا
لا يبعد ان يعد العمل من الايمان لانه مكمل له ومتمم كما يقال الراس

واليدين هو الانسان ومعلوم انه يخرج عن كونه انسانا بعد
الراس ولا يخرج عنه بكونه مقطوع اليد وكذلك يقال التسبيحات
والتكبيرات من الصلاة وان كانت لا تبطل بفقدها فالتصديق
بالقلب من الايمان كالقلب من وجود الانسان اذ ينعدم بعدمه
وبقية الطاعات كالاطراف وبعضها اعلى من بعض وقد قال
صلى الله عليه لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن والصحابة ما
اعتقدوا مذهب المعتزلة في الخروج عن الايمان بالزنا ولكن معناه
غير مؤمن حقا ايمانا تاما كاملا كما يقال للعاجز المقطوع الاطراف
هذا ليس بانسان اى ليس له الكمال الذي هو وراء حقيقة الانسانية

مسئلة فان قلت فقد اتفق السلف على ان الايمان يزيد
وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية واذا كان التصديق هو
الايمان فلا يتصور فيه زيادة ونقصان فاقول السلف هم
الشهود العدول وما لاحد عن قولهم عدول فما ذكروه حق وانما
الشان في فهمه وفيه دليل على ان العمل ليس من اجزاء الايمان
واركان وجوده بل هو مزيد عليه يزيد به والزايد موجود والناقص
موجود والشيء لا يزيد بذاته فلا يجوز ان يقال الانسان يزيد براسه
بل يقال يزيد بلحيته وسمنه ولا يجوز ان يقال الصلاة تزيد بالركوع

والسجود بل تزيد بالاداب والسنن فهذا تصريح بان الايمان له
وجود ثم بعد الوجود يختلف حاله بالزيادة والنقصان فان قلت
فالاشكال قايم في ان التصديق كيف يزيد وينقص وهو خصلة
واحدة فاقول اذا تركنا المداهنة ولم نكترث بتشغيب من تشغب
وكشفنا الغطا ارتفع الاشكال فنقول الايمان اسم مشترك
يطلق من ثلثة اوجه الاول انه يطلق للتصديق بالقلب على سبيل
الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانشراح صدر وهو ايمان
العوام بل الخلق كلهم الا الخواص وهذا الاعتقاد عقدة على القلب
تارة تشتد وتقوى وتارة تضعف وتسترخي كالعقدة على الخيط
مثلا ولا يستبعد هذا واعتبر باليهودي في صلابته في عقيدته
التي لا يمكن نزوعها منه بتخويف وتحذير ولا تخييل ووعظ ولا
تحقيق وبرهان وكذى النصارى والمبتدعة ومنهم من يمكن تشكيكه
بادنى كلام ويمكن استنزاله عن اعتقاده بادنى استمالة له او تخويف
مع انه غير شاك في عقده كالاول ولكنهما يتفاوتان في شدة التصميم
وهذا موجود في الاعتقاد الحق ايضا والعمل يؤثر في نما هذا
التصميم وزيادته كما يؤثر سقي الما في نما الاشجار ولذلك قال تعالى
فزادتهم ايمانا وقد قال تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وكذلك

خصلة

قال فزادتهم ايمانا وقال عليه السلام فيما روي في بعض الاخبار
الايمان يزيد وينقص وذلك بتاثير الطاعات في القلب وهذا
لا يدركه الا من راقب احوال نفسه في اوقات المواظبة على العبادة
والتجرد لها بحضور القلب مع اوقات الفتور وادرك التفاوت في السكون
الى عقايد الايمان في هذه الاحوال حتى يزيد عقده استعصاء على من
يريد حله بالتشكيك بل من يعتقد في اليتيم معنى الرحمة اذا عمل
بموجب اعتقاده فمسح على راسه وتلطفه ادرك من باطنه تاكد
الرحمة وتضاعف بسبب العمل وكذلك معتقد التواضع اذا عمل
بموجبه مقبلا او ساجدا لغيره احس من قلبه بالتواضع عند اقدامه
على الخدمة وهكذا جميع صفات القلب تصدر منها اعمال الجوارح
ثم يعود اثر الاعمال عليها فيؤكدها ويزيدها وسياتي هذا في ربع المنجيات
والمهلكات عند بيان وجه تعلق الباطن بالظاهر والاعمال
بالعقايد والقلوب فان ذلك من جنس تعلق الملك بالملكوت واعني
بالملك عالم الشهادة المدرك بالحواس وبالملكوت عالم الغيب المدرك
بنور البصيرة والقلب من عالم الملكوت والاعضا واعمالها من عالم
الملك ولطف الارتباط ودقته بين العالمين انتهى الى حد ظن بعض الناس
اتحاد احدهما بالاخر وظن الاخرون انه لا عالم الا عالم الشهادة

وهو هذه الاجسام المحسوسة ومن ادرك الامرين وادرك تعددهما
ثم ارتباطهما عبر عنه فقال ۝

رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الامر
فكانما خمر ولا قدح وكانما قدح ولا خمر

ولنرجع الى المقصود فان هذا اعتراض خارج عن علم المعاملة ولكن
بين العالمين ايضا اتصال وارتباط فلذلك ترى علوم المكاشفة
تتسلق كل ساعة على علوم المعاملة الى ان ينكف عنها بالتكلف فهذا
وجه زيادة الايمان بالطاعة بموجب هذا الاطلاق ولهذا قال
علي رضي الله عنه ان الايمان ليبدو لمعة بيضا فاذا عمل العبد
الصالحات نمت وزادت حتى يبيض القلب كله وان النفاق ليبدو نكتة
سودا فاذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع
على قلبه فذلك الختم وتلا بل ران على قلوبهم الاية ۝ الاطلاق
الثاني ان يراد به التصديق والعمل جميعا كما قال الايمان بضع وسبعون
بابا وكما قال لا يزني الزاني وهو مومن حين يزني واذا دخل العمل
في مقتضى لفظ الايمان لم يخف زيادته ونقصانه وهل يوثر ذلك
في زيادة الايمان الذي هو مجرد التصديق هذا فيه نظر وقد اشرنا الى
انه يوثر فيه الاطلاق الثالث ان يراد به التصديق اليقيني على سبيل

الكشف وانشراح الصدر والمشاهدة بنور البصيرة وهذا ابعد
الاقسام عن قبول الزيادة ولكني اقول الامر اليقيني الذي لا شك
فيه تختلف طمانينة النفس اليه فليس طمانينة النفس الى ان
الاثنين اكثر من واحد كطمانينته الى ان العالم مصنوع حادث وان
كان لا شك في واحد منهما بل اليقينيات تختلف في درجات
الايضاح ودرجات طمانينة النفس اليه وقد تعرضنا لهذا في
فصل اليقين من كتاب العلم في باب علما الاخرة ولا حاجة الى
الاعادة وقد ظهر في جميع الاطلاقات ان ما قالوه من زيادة
الايمان ونقصانه حق وكيف لا وفي الاخبار انه يخرج من النار
من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وفي بعض المواضع في حكم اخر
مثقال دينار فاي معنى لاختلاف مقاديره ان كان ما في القلب
لا يتفاوت **مسئله** فان قلت ما وجه قول السلف انا
مومنون ان شا الله والاستثنا شك والشك في الايمان
كفر وقد كانوا كلهم يمتنعون عن جزم الجواب بالايمان ويحترزون
منه فقال سفين الثوري من قال انا مومن عند الله فهو من الكاذبين
ومن قال انا مومن حقا فهو بدعة فكيف يكون كاذبا وهو يعلم انه
مومن في نفسه ومن كان مومنا في نفسه كان مومنا عند الله

علما الاخرة

بلغ

الكذابين صح

كما ان من كان طويلا او سخيا في نفسه وعلم ذلك كان كذلك
عند الله وكذى من كان مسرورا او حزينا او سميعا او بصيرا
ولو قيل للانسان هل انت حيوان لم يحسن ان يقول انا حيوان ان
شا الله ولما قال سفين ذلك قيل له فماذا نقول قال قولوا
امنا بالله وما انزل الينا واي فرق بين ان يقول امنا وبين ان يقول
انا مومن وقيل للحسن امومن انت فقال ان شا الله فقيل له
تستثني في الايمان فقال اخاف ان اقول نعم فيقول الله كذبت
يا حسن فتحق علي الكلمة وكان يقول ما يومنني ان يكون الله سبحانه
قد اطلع علي في بعض ما يكره فمقتني وقال اذهب لا قبلت لك
عملا فانا اعمل في غير معمل وقال ابرهيم اذا قيل لك امومن
انت فقل لا اله الا الله وقال مرة قل انا لا اشك في الايمان
وسوالك اياي بدعة وقيل لعلقمة امومن انت فقال ارجو
ان شا الله وقال الثوري نحن مومنون بالله وملايكته وكتبه ورسله
وما ندري ما نحن عند الله فما معنى هذه الاستثناات والجواب
ان هذا الاستثنا صحيح وله اربعة اوجه وجهان مستندان الى
الشك لا في اصل الايمان ولكن في خاتمته او كماله ووجهان لا يستندان
الى الشك الوجه الاول الذي لا يستند الى الشك الاحتراز من الجزم

خيفة ما فيه من تزكية النفس قال الله تعالى ولا تزكوا انفسكم
وقال الم تر الى الذين يزكون انفسهم ثم قال انظر كيف يفترون على
الله الكذب وقيل للحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء الانسان على
نفسه والايمان من اعلى صفات الحمد والجزم به تزكية مطلقة
وصيغة الاستثناء كانها نقل من عرف التزكية كما يقال للانسان
انت طبيب او فقيه او مفسر فيقول نعم ان شاء الله لا في معرض
التشكيك ولكن لاخراج نفسه عن تزكيته نفسه فالصيغة صيغة
الترديد والتضعيف لنفس الخبر ومعناه التضعيف اللازم من لوازم
الخبر وهو التزكية وبهذا التاويل لو سئل عن وصف ذم لم يحسن
الاستثناء الوجه الثاني التادب بذكر الله في كل حال واحالة
الامور كلها الى مشية الله فقد ادب الله سبحانه نبيه فقال
ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ثم لم يقتصر على
ذلك فيما يشك فيه بل قال لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين
محلقين وسلم وكان الله عالما بانه يدخل لا محالة وانه شاءه ولكن
المقصود تعليمه ذلك فتادب رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل
ما كان يخبر عنه معلوما كان او مشكوكا حتى قال لما دخل المقابر
السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله عن قليل بكم لاحقون

واللحوق بهم غير مشكوك فيه ولكن مقتضى الادب ذكر الله وربط
الامور به وهذه الصيغة دالة عليه حتى صار بعرف الاستعمال
عبارة عن اظهار الرغبة والتمني فاذا قيل لك ان فلانا يموت سريعا
فتقول ان شاء الله فيفهم منه رغبتك لا تشككك فاذا قيل فلان
يزول مرضه ويصح فتقول ان شاء الله بمعنى الرغبة فقد صارت
الكلمة معدولة عن معنى التشكك الى معنى الرغبة فكذلك
العدول الى معنى التادب بذكر الله كيف كان الامر الوجه الثالث
ومستنده الشك ومعناه انا مؤمن حقا ان شاء الله اذ قال الله
تعالى لقوم مخصوصين باعيانهم اولئك هم المؤمنون حقا فانقسموا
الى قسمين ويرجع هذا الى الشك في كمال الايمان لا في اصله وكل
انسان شاك في كمال ايمانه وذلك ليس بكفر والشك في كمال الايمان
حق من وجهين احدهما من حيث ان النفاق يزيل كمال الايمان وهو خفي
لا يتحقق البراءة منه والثاني انه يكمل باعمال الطاعات ولا يدرى وجودها
على الكمال اما العمل قال الله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم
الصادقون فيكون الشك في هذا الصدق وكذلك قال ولكن البر
من آمن بالله واليوم الآخر فشرط عشرين وصفا كالوفاء بالعهد والصبر على

انما المؤمنون

على الشدايد ثم قال اولئك الذين صدقوا وقد قال تعالى يرفع
الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال تعالى
لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح الآية وقال تعالى هم
درجات عند الله وقال صلى الله عليه وسلم الايمان عريان
ولباسه التقوى الحديث وقال الايمان بضع وسبعون بابا ادناها
اماطة الاذى عن الطريق فهذا ما يدل على ارتباط كمال الايمان بالاعمال
واما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك الخفي فقوله صلى الله عليه
وسلم اربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم انه
مؤمن من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان واذا
خاصم فجر وفي بعض الروايات واذا عاهد غدر وفي حديث
ابي سعيد الخدري القلوب اربعة قلب اجرد وفيه سراج يزهر فذلك
قلب المؤمن وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه
كالبقلة يمدها الماء العذب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة
يمدها القيح والصديد فاي المادتين غلب عليه حكم له بها وفي
لفظ آخر غلب عليه ذهب به وقال صلى الله عليه وسلم اكثر
منافقي هذه الامة قراؤها وفي حديث الشرك اخفى في امتي من
دبيب النملة على الصفا وقال حذيفة كان الرجل يتكلم بالكلمة

على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا الى ان
يموت واني لاسمعها من احدكم في اليوم عشر مرات وقال بعض العلماء
اقرب الناس من النفاق من يرى انه بريء منه وقال حذيفة المنافقون
اليوم اكثر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا
اذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه وهذا النفاق مضاد صدق
الايمان وكماله وهو خفي وابعد الناس منه من يخوفه واقربهم
منه من يرى انه بريء منه فقد قيل للحسن يقولون لا نفاق اليوم
فقال يا اخي لو هلك المنافقون لاستوحشتم في الطريق وقال هو
وغيره لو نبت للمنافقين اذناب ما قدرنا ان نطأ على الارض وسمع
ابن عمر رجلا يتعرض للحجاج فقال ارايت لو كان حاضرا اكنت تتكلم
فيه فقال لا قال كنا نعد هذا نفاقا في عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان
ذا لسانين في الدنيا جعله الله ذا لسانين في الآخرة وقال
ايضا شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه
وقيل للحسن ان قوما يقولون لا نخاف النفاق فقال والله لان
اكون اعلم اني بريء من النفاق احب الي من طلاع الارض ذهبا وقال
الحسن ان من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية

والمدخل والمخرج وقال رجل لحذيفة اني اخاف ان اكون منافقا
فقال لو كنت منافقا ما خفت النفاق ان المنافق قد امن النفاق
وقال ابن ابي مليكة ادركت ثلثين ومايه وفي رواية خمسمايه
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخافون النفاق وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في جماعة من
اصحابه فذكروا رجلا واكثروا الثنا عليه فبيناهم كذلك اذ
طلع الرجل عليهم ووجهه يقطر ماء من اثر الوضوء وقد علق نعله
بيديه وبين عينيه اثر السجود فقالوا يا رسول الله هذا الرجل
الذي وصفناه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اري في وجهه
اري في وجهه سفعة من الشيطان والسفعة علامة من سواد
والاسفع الذي اصاب خده علامة سود فجا الرجل فسلم
وجلس مع القوم فقال صلى الله عليه وسلم نشدتك الله هل
حدثت نفسك حين اشرفت على القوم انه ليس فيهم خير منك
قال اللهم نعم وقال صلى الله عليه وسلم في دعايه اللهم اني
استغفرك لما علمت وما لم اعلم فقيل له اتخاف يا رسول الله
فقال وما يومنني والقلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها
كيف شا وقد قال سبحانه وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون

قيل عملوا اعمالا ظنوا انها حسنات فكانت في كفة السيات ٥
وقال سري السقطي لو ان رجلا دخل الى بستان فيه جميع
الاشجار عليها من جميع الاطيار فخاطبه كل طير منها بلغته فقال
السلام عليك يا ولي الله فسكنت نفسه الى ذلك كان اسيرا
في يديها فهذه الاخبار والاثار تعرفك خطر الامر بسبب دقايق
النفاق والشرك الخفي وانه لا يومن منه حتى كان عمر يسال
حذيفة عن نفسه وانه هل ذكر في المنافقين وقال ابو سليمان
الداراني سمعت من بعض الامرا شيا فاردت ان انكره فخفت ان يامر
بقتلي ولم اخف من الموت ولكن خشيت ان يعرض لقلبي التزين للخلق
عند خروج روحي فكففت وهذا من النفاق الذي يضاد حقيقة
الايمان وصدقه وكماله وصفاته لا اصله فالنفاق نفاقان احدهما
يخرج من الدين ويلحق بالكافرين ويسلك في زمرة المخلدين
في النار والثاني يفضي الى النار الى مدة او ينقص من درجات
عليين ويحط من رتبة الصديقين وذلك مشكوك فيه فلذلك
حسن الاستثنا واصل هذا النفاق تفاوت السر والعلانية
والامن من مكر الله والعجب وامور اخر لا يخلو عنها الا الصديقون
الوجه الرابع وهو ايضا مستند الى الشك وذلك من خوف

بنقص

الخاتمة وانه لا يدري أيسلم له الايمان عند الموت ام لا فان ختم له
بالكفر حبط الايمان السابق لانه موقوف على سلامة الاخر
ولو سيل الصايم ضحوة النهار عن صحة صومه فقال انا
صايم قطعا فلو افطر بعد ذلك تبين كذبه اذ كانت الصحة
موقوفة على التمام الى غروب الشمس من اخر النهار وكما ان
النهار ميقات تمام الصوم فالعمر تمام ميقات الصحة للايمان
ووصفه بالصحة قبل اخره بنا على الاستصحاب وهو مشكوك
فيه والعاقبه مخوفه ولاجلها كان اكثر بكا الخايفين لاجل
انها ثمرة القضية السابقه والمشية الازلية التي لا تظهر
الا بظهور المقضي به ولا يطلع عليه بشر فخوف الخاتمة لخوف
السابقه وربما تظهر في الحال ما سبقت الكلمة بنقيضه
فمن الذي يدري انه الذي سبقت له من الله الحسنى وقيل
في قوله وجات سكرة الموت بالحق اي بالسابقه يعني اظهرتها
وقال بعض السلف انما يوزن من الاعمال خواتيمها وكان ابو
الدردا يحلف بالله ما احد امن ان يسلب ايمانه الا سلبه
ويقال من الذنوب ذنوب عقوبتها سو الخاتمة نعوذ بالله منه
وقيل هي عقوبة دعوى الولاية والكرامة بالافترا وقال

بعض العارفين لو عرضت على الشهادة عند باب الدار والموت
على التوحيد عند باب الحجرة لاخترت الموت على الشهادة
لاني لا ادري ما يعرض لقلبي من التغير عن التوحيد الى باب الدار
وقال بعضهم لو عرفت واحدا بالتوحيد خمسين سنة ثم
حال بيني وبينه سارية ومات لم احكم انه مات على التوحيد
وفي الحديث من قال انا مومن فهو كافر ومن قال انا عالم فهو جاهل
وقيل في قوله تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لمن مات
على الايمان وعدلا لمن مات على الشرك وقد قال الله تعالى
ولله عاقبة الامور فمهما كان الشك بهذه المثابه كان الاستثنا
واجبا لان الايمان عبارة عما يفيد الجنة كما ان الصوم عبارة عما
يبري الذمة وما فسد قبل الغروب لا يبري الذمة فيخرج عن كونه
صوما فكذلك الايمان بل يستقبح ان يسال عن الصوم الماضي الذي لا
يشك فيه بعد الفراغ فيقال اصمت بالامس فيقول نعم ان شا الله اذ
الصوم الحقيقي هو المقبول والقبول غايب عنه لا يطلع عليه فمن هذا
يحسن الاستثنا في جميع اعمال البر ويكون ذلك شكا في القبول
بعد جريان ظاهر شروط الصحة اسباب خفية لا يطلع عليها
الا رب الارباب فيحسن الشك فيه فهذه وجوه حسن الاستثنا

في الجواب عن الايمان وهي آخر ما نختم به كتاب قواعد العقايد
والله اعلم بالصواب
وحسبنا الله ونعم الوكيل
والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ٥

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

كتاب اسرار الطهارة

الحمد لله الذي لطف بعباده فتعبدهم بالنظافه
وافاض على قلوبهم تزكية لسرايرهم انواره والطافه واعد
لظواهرهم تطهيرا لها الما المخصوص بالرقة واللطافه والصلاة
على محمد المستغرق بنور الهدى اطراف العالم واكنافه وعلى آله
الطيبين الطاهرين صلاة تنجينا بركاتها يوم المخافه وتنتصب
جنة بيننا وبين كل آفه ،، اما بعد فقد قال النبي صلى الله

عليه وسلم بني الدين على النظافه وقال مفتاح الصلوة
الطهور وقال الله تعالى رجال يحبون ان يتطهروا
والله يحب المطهرين وقال صلى الله عليه وسلم الطهور
نصف الايمان وقال تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من
حرج ولكن يريد ليطهركم فتفطن ذووا البصاير بهذه
الظواهر ان اهم الامور تطهير السراير اذ يبعد ان يكون
المراد بقوله الطهور نصف الايمان عمارة الظاهر بالتنظيف
باافاضة الما وتخريب الباطن وابقاوها مشحونة بالاخباث
والاقذار هيهات هيهات فالطهارة لها اربع مراتب الاولى
تطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث والفضلات ٥
والثانية تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام والثالثة تطهير
القلب عن الاخلاق المذمومة والرذايل الممقوتة والرابعة
تطهير السر عما سوى الله وهي طهارة الانبيا والصديقين
والطهارة في كل رتبة نصف العمل الذي فيها فان الغاية
القصوى في عمل السر ان ينكشف له جلال الله وعظمته ولن
تحل معرفته بالحقيقة في السر ما لم يرتحل ما سوى الله ولذلك
قال تعالى قل الله ثم ذرهم لانهما لا يجتمعان في قلب وما جعل

ابو داود والترمذي وابن ماجه من حديث علي قال الترمذي هذا اصح شي في هذا الباب واحسن ٥ ع

الترمذي من حديث رجل من بني سليم وقال حسن ورواه مسلم من حديث ابي مالك الاشعري بلفظ شطر ٥ ع

الله لرجل من قلبين في جوفه وانما عمل القلب فالغاية القصوى
عمارته بالاخلاق المحمودة والعقايد المشروعة ولن يتصف بها
ما لم ينظف عن نقايضها من العقايد الفاسدة والرذايل المذمومة
فتطهيرها احد الشطرين وهو الشطر الاول الذي هو شرط
في الثاني فكان الطهور شطر الايمان بهذا المعنى وكذلك
تطهير الجوارح عن المناهي احد الشطرين وعمارتها بالطاعات
الشطر الثاني وهذه مقامات الايمان ولكل مقام طبقة ولن
ينال العبد الطبقة العالية الا ان يجاوز الطبقة السافلة فلا
يصل الى طهارة السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة
من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن المناهي وعمارتها بالطاعات
وكلما عز المطلب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت
عقباته فلا يظنن ان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا نعم
من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب
الطهارة الا الدرجة الاخيرة التي هي كالقشر الاخير بالاضافة الى اللب
المطلوب فصار يمعن فيه ويستقصي في مجاريه ويستوعب
جميع اوقاته في الاستنجا وغسل الثياب وتنظيف الظواهر
وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة وخبل

القلب عن الخلق المذموم وعمارته بالمحمود ولن يصل الى ذلك من لم يفرغ عن طهارة

الاخير

العقل ان الطهارة المطلوبة المشرفة هي هذه فقط وجهلا
بسيرة الاولين واستغراقهم جميع الهم والفكر في تطهير القلوب
وتساهلهم في امر الظاهر حتى ان عمر رضي الله عنه مع علو منصبه توضا بماء
في جرة نصرانية وحتى انهم ما كانوا يغسلون اليد عن الدسو
والاطعمة بل كانوا يمسحون اصابعهم باخمص اقدامهم وعدوا
الاشنان من البدع المحدثة ولقد كانوا يصلون على الارض في
المساجد ويمشون حفاة في الطرقات ومن كان لا يجعل بينه
وبين التراب حاجزا في مضجعه كان من اكابرهم وكانوا يقتصرون
على الحجارة في الاستنجا وقال ابو هريرة وغيره من اهل
الصفة كنا ناكل الشوا فتقام الصلاة فندخل اصابعنا في
الحصبا ثم نفركها بالتراب ونكبر وقال عمر ما كنا نعرف
الاشنان على عهد رسول الله وانما كانت مناديلنا بواطن
ارجلنا كنا اذا اكلنا الغمر مسحنا بها ويقال اول ما ظهر من
البدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة المناخل
والاشنان والموايد والشبع فكان عنايتهم كلها بنظافة
الباطن حتى قال بعضهم الصلاة مع النعلين افضل اذ رسول الله
لما نزع نعله في صلاته اذ اخبره جبريل ان عليها نجاسة وخلع الناس

مات

ابن ماجه من حديث عبد الله بن الحارث ولم اره من حديث ابي هريرة

الغمر الدسم

ابو داود والحاكم وصححه من حديث ابي سعيد الخدري ع

نعالهم قال عليه السلام لم خلعتم نعالكم قال النخعي في الذين
يخلعون نعالهم وددت لو ان محتاجا جاء واخذها منكرا لخلع
النعال فهكذا كان تساهلهم في هذه الامور بل كانوا يمشون في
طين الشوارع حفاة ويجلسون عليها ويصلون في المساجد على
الارض ويأكلون من دقيق البر والشعير وهو يداس بالدواب
وتبول عليه ولا يحترزون من عرق الابل والفرس مع كثرة تمرغها
في النجاسات ولم ينقل قط عن واحد منهم سؤال في دقائق النجاسات
فهكذا كان تساهلهم فيها وقد انتهت النوبة الآن الى طايفة
يسمون الرعونة نظافة ويقولون هي مبنى الدين فاكثر اوقاتهم في
تزيينهم الظواهر كفعل الماشطة بعروسها والباطن خراب مشحون
بخبائث الكبر والعجب والجهل والريا والنفاق ولا يستنكرون
ذلك ولا يتعجبون منه ولو اقتصر مقتصر على الاستنجا بالحجر
او مشى على الارض حافيا او صلى على الارض او بواري المسجد من غير
سجادة مفروشة او مشى على الفرش من غير غلاف للقدم من ادم او
توضا من انية عجوز او رجل غير متقشف قاموا عليه القيمة وشددوا
النكير ولقبوه بالقذر واخرجوه من زمرتهم واستنكفوا من مواكلته
ومخالطته فسموا البذاذة التي هي من الايمان قذارة والرعونة

نظافة فانظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف منكرا
وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس تحقيقه وعلمه فان قلت
افتقول ان هذه العادات التي احدثها الصوفية في هيئاتهم
ونظافتهم من المحظورات او المنكرات فاقول حاش لله ان اطلق
القول فيه من غير تفصيل ولكني اقول هذا التكلف والتنظف واعداد د
الاواني والالات واستعمال غلاف القدم والازار المقنع به
لدفع الغبار وغير ذلك من هذه الاسباب ان وقع النظر الى ذاتها
على سبيل التجرد فهي من المباحات وقد تقترن بها احوال ونيات
تلحقها تارة بالمعروفات وتارة بالمنكرات فاما كونه مباحا في نفسه
فلا يخفى اذ صاحبه متصرف به في ماله وبدنه وثيابه فليفعل به
ما يريد اذا لم يكن فيه اضاعة واسراف واما مصيره منكرا فبان يجعل
ذلك اصل الدين ويفسر به قوله صلى الله عليه وسلم بني الدين على
النظافة حتى ينكر به على من يتساهل فيه تساهل الاولين او ان يكون
القصد به تزيين الظواهر للخلق وتحسين موقع نظرهم فان ذلك
هو الريا المحظور فيصير منكرا بهذين الاعتبارين واما كونه معروفا
فبان يكون القصد منه الخير دون التزين وان لا ينكر على من ترك
ذلك ولا يؤخر بسببه الصلاة عن اوايل الاوقات ولا يشتغل

به عن عمل هو افضل منه او عن رتبة علم او غيره فاذا لم يقترن به شي
من ذلك فهو مباح يمكن ان يجعل قربة بالنية ولكن لا يتيسر ذلك
الا للبطالين الذين لو لم يشتغلوا بصرف الاوقات اليه لاشتغلوا
بنوم او حديث فيما لا يعني فيصير شغلهم به اولى لان التشاغل
بالطهارات تجدد ذكر الله وذكر العبادات فلا باس اذا لم يخرج
الى منكر واسراف واما اهل العلم والعمل فلا ينبغي ان يصرفوا
من اوقاتهم اليه الا قدر الحاجة والزيادة عليه منكر في حقهم
وتضييع العمر الذي هو انفس الجواهر واعزه في حق من قدر على
الانتفاع به ولا يتعجب من ذلك فان حسنات الابرار سيئات
المقربين ولا ينبغي للبطال ان يترك النظافة وينكر على المتصوفة
ويزعم انه يتشبه بالصحابة اذ التشبيه بهم في ان لا يتفرغ له
الا لما هو اهم منه كما قيل لداود الطائي لم لا تسرح لحيتك قال اني
اذن لفارغ فلهذا لا ارى للعالم ولا للعامل ان يضيع وقته في
غسل الثياب احترازا من ان يلبس الثياب المقصورة وتوهما
بالقصار تقصيرا في الغسل فقد كانوا في العصر الاول يصلون
في الفرا المدبوغة وكم من الفرق بين المدبغة والمقصر في الطهارة
والنجاسة بل كانوا يجتنبون النجاسة اذا شاهدوها ولا يدققون

نظرهم في استنباط الاحتمالات الدقيقة بل كانوا يتاملون
في دقايق الربا والظلم حتى قال سفين الثوري لرفيق له كان يمشي
معه فنظر الى باب دار مرفوع معمور لا تفعل ذلك فان الناس
لو لم ينظروا اليها لكان صاحبها لا يتعاطى هذا الاسراف فالناظر
اليه معين له على الاسراف فكانوا يعدون جمام الذهن لاستنباط
هذه الدقايق لا في احتمال النجاسات ولو وجد العالم عاميا
يتعاطى له غسل الثياب محتاطا فهو افضل فانه بالاضافة الى
التساهل خير وذلك العامي يتعاطيه اذ يشغل نفسه الامارة
بالسوء بعمل مباح في نفسه فتمتنع عليه المعاصي في تلك الحال
والنفس ان لم تشغل شغلت صاحبها فاذا قصد به التقرب الى
العالم صار ذلك عنده من افضل القربات فوقت العالم اشرف
من ان يصرف الى مثله فيبقى محفوظا عليه واشرف وقت العامي ان
يشتغل بمثله فيتوفر الخير من الجوانب وليتفطن بهذا المثال
لنظايره من الاعمال وترتيب فضايلها ووجه تقديم بعضها على
البعض فتدقيق الحساب في حفظ لحظات العمر بصرفها الى الافضل
اهم من التدقيق في اموال الدنيا بحذافيرها واذا عرفت هذه المقدمة
واستبنت ان الطهارة لها اربع مراتب فاعلم انا في هذا الكتاب

ط

لسنا نتكلم الا في المرتبة الرابعة وهي نظافة الظاهر لانا
في الشطر الاول من الكتاب لا نتعرض قصدًا الا للظواهر فنقول
طهارة الظاهر ثلثة اقسام طهارة عن الخبث وطهارة عن
الحدث وطهارة عن فضلات البدن وهي التي تحصل بالقلم والاستحداد
واستعمال النورة والختان وغيره القسم الاول في طهارة الخبث
والنظر فيه يتعلق بالمزال والمزال به والازالة الطرف الاول في
المزال وهي النجاسات والاعيان ثلاثة جمادات وحيوانات واجزا
حيوانات اما الجمادات فطاهرة كلها الا الخمر وكل منتبذ مسكر
والحيوانات طاهرة الا الكلب والخنزير وما تولد منهما فاذا ماتت فكلها
نجسة الا خمسة الادمي والسمك والجراد ودود التفاح وفي معناه
كلما يستحيل اليه الاطعمة وكل ما ليس له نفس سايلة كالذباب والخنفسا
وغيرهما فلا ينجس الما بوقوع شيء فيه منها واما اجزا الحيوانات فقسمان
احدهما ما يقطع منه وحكمه حكم الميت والشعر لا ينجس بالجز والموت
والعظم ينجس الثاني الرطوبات الخارجة من باطنه فكل ما ليس
مستحيلا ولا له مقر فهو طاهر كالدمع والعرق واللعاب والمخاط
وما له مقر وهو مستحيل فنجس الا ما هو مادة الحيوان كالمني والبيض
واما القيح والدم والروث والبول نجس من الحيوانات ولا يعفى عن

النجاسات قليلها وكثيرها الا عن خمسة الاول اثر النجو بعد
الاستجمار بالاحجار يعفى عنه ما لم يعدو المخرج والثاني
طين الشوارع وغبار الروث في الطرق يعفى عنه مع تيقن النجاسة
بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه وهو الذي لا ينسب المتلطخ به الى
تفريط او سقطة الثالث ما على اسفل الخف من نجاسة لا يخلو
الطرق عنها فيعفى عنه بعد الدلك للحاجة الرابع دم البراغيث
ما قل منه او كثر الا اذا جاوز حد العادة سوا كان في ثوبك
او في ثوب غيرك فلبسته الخامس دم البثرات وما ينفصل
منها من قيح وصديد دلك ابن عمر رضي الله عنه بثرة على وجهه
وخرج منها وصلى ولم يغسل وفي معناها الطخان الدماميل التي
تدوم غالبا وكذا اثر الفصد الا ما يقع نادرا من جراح او غيره
فيلحق بدم الاستحاضة ولا يكون في معنى البثرات التي لا يخلوا
الانسان عنها في احواله ومسامحة الشرع في هذه النجاسات
الخمسة يعرفك ان امر الطهارات على التساهل وما ابدع فيها
وسوسة لا اصل لها الطرف الثاني في المزال به وهو اما جامد
او مايع اما الجامد فحجر الاستنجاء وهو مطهر تطهير تخفيف
بشرط ان يكون صلبا طاهرا منشفا غير محترم واما المايعات فلا

تزال النجاسة بشيء منها الا الما ولا كل ما بل الطاهر الذي لم
يتفاحش تغيره بمخالطة ما يستغني الماء عنه ويخرج الماء عن
الطهارة بان يتغير بملاقاة النجاسة طعمه او لونه او ريحه
فان لم يتغير وكان قريبا من مائتين وخمسين منا وهو خمسمائة
رطل برطل العراق لم ينجس لقوله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ
الما قلتين لم يحمل خبثا وان كان دونه صار نجسا عند
الشافعي هذا في الماء الراكد واما الجاري اذا تغير بالنجاسة
فالجرية المتغيرة نجسة دون ما فوقها وما تحتها لان جريات
الما متفاصلة وكذا النجاسة الجارية اذا جرت بجرى الماء
فالنجس موقعها من الماء وما عن يمينها وشمالها اذا تقاصر عن
قلتين وان كان جرى الما اقوى من جرى النجاسة فما فوق النجاسة
طاهر وما يسفل عنها نجس وان تباعد وكثر الا اذا اجتمع
في حوض قدر قلتين فاذا اجتمع قلتان من ماء نجس طهر ولا يعود نجسا
بالتفريق هذا مذهب الشافعي وكنت اود ان يكون مذهبه كمذهب
مالك في ان الما وان قل فلا ينجس الا بالتغير اذ الحاجة ماسة اليه
ومثار الوسواس اشتراط القلتين ولاجله شق على الناس ذلك
وهو لعمري سبب المشقة ويعرفه من يجربه ويتامله ومما لا يشك

فيه ان ذلك لو كان مشروطا لكان اولى المواضع بتعسر الطهارة
فيه مكة والمدينة ولا يكثر فيها المياه الجارية ولا الراكدة
الكثيرة ومن اول عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اخر
عصر الصحابة لم ينقل واقعة في الطهارة ولا سؤال عن كيفية حفظ
الما عن النجاسة وكانت اواني مياههم يتعاطاها الصبيان والاماء
والذين لا يحترزون عن النجاسات وتوضي عمر بماء في جرة نصرانية
كالصريح في انه لم يعول الا على عدم تغير الما والا فنجاسة النصرانية
واناها غالب يعلم بظن قريب فاذن عسر القيام بهذا المذهب وعدم
وقوع السؤال في تلك الاعصار دليل اول وفعل عمر دليل
ثاني والدليل الثالث اصغاء رسول الله الاناء للهرة وعدم
تغطيتهم الاواني منها بعد ان يرى انها تاكل الفارة ولم يكن في
بلادهم حياض يلغ السنانير فيها وكانت لا تنزل في الابار والرابع
ان الشافعي نص على ان غسالة النجاسة طاهرة اذا لم تتغير
ونجسة ان تغيرت واي فرق بين ان يلاقي الما النجاسة بالورود
عليها او بورودها عليه واي معنى لقول القائل ان قوة الورود
دفع النجاسة مع ان الورود لم يمنع مخالطة النجاسة وان احيل
ذلك على الحاجة فالحاجة ايضا ماسة الى هذا فلا فرق بين طرح

الطبراني في الاوسط والدارقطني
من حديث عائشة وروي اصحاب
السنن ذلك من فعل ابي قتادة

الماء في اجانة فيها ثوب نجس او طرح الثوب النجس في الاجانة وفيها
ماء وكل ذلك معتاد في غسل الثياب والاواني والخامس انهم
كانوا يستنجون على اطراف المياه الجارية القليلة ولا خلاف
في مذهب الشافعي انه اذا وقع بول في ماء جاري ولم يتغير انه يجوز
التوضي به وان كان قليلا واي فرق بين الجاري والراكد وليت شعري
الحوالة على عدم التغير اولى او على قوة الماء بسبب الجريان ثم ما حد
تلك القوة ايجري في المياه الجارية في انابيب الحمامات ام لا
فان لم يجر فيها الفرق وان جرى فما الفرق بين ما يقع فيها وبين ما يقع في
جري الماء من الاواني على الابدان وهي ايضا جارية ثم البول اشد
اختلاطا بالماء الجاري من نجاسة جامدة ثابتة اذ قضى بان ما
يجري عليها وان لم يتغير نجس الى ان يجتمع في مستنقع قلتان فاي
فرق بين الجامد والمايع والماء واحد والاختلاط اشد من الجوار
السادس انه اذا وقع رطل من البول في قلتين ثم فرقتا فكل كوز
يغرف منه طاهر ومعلوم ان البول منتشر فيه وهو قليل فليت شعري
تعليل طهارته بعدم التغير اولى او بقوة كثرة الماء بعد انقطاع
الكثرة وزوالها مع تحقق بقاء اجزاء النجاسة فيها السابع ان الحمامات
لم تزل في الاعصار الخالية يتوضا فيها المتقشفون ويغمسون

الايدي والاواني في تلك الحياض مع قلة الماء ومع العلم بان الا
يدي النجسة والطاهرة كانت تتوارد عليه فهذه الامور مع الحاجة
الشديدة تقوي في النفس انهم كانوا ينظرون الى عدم التغير
معولين على قوله صلى الله عليه وسلم خلق الماء طهورا لا ينجسه شيء
الا ما غير لونه او طعمه او ريحه وهذا فيه تحقيق وهو ان طبع كل مايع
ان يقلب الى صفة نفسه كل ما يقع فيه وكان مغلوبا من جهته
كما ترى الكلب يقع في المملحة فيستحيل ملحا ويحكم بطهارته لصيرورته
ملحا وزوال الصفة الكلبية عنه فكذلك الخل يقع في الماء واللبن
يقع فيه وهو قليل فتبطل صفته ويتصف بصفة الماء وينطبع
بطبعه الا اذا كثر وغلب وتعرف غلبته بغلبة طعمه او لونه
او ريحه فهذا المعيار وقد اشار الشرع اليه في الماء القوي
على ازالة النجاسة فهو جدير بان يعول عليه فيندفع به الحرج
ويظهر معنى كونه طهورا اذ يغلب غيره فيطهره كما صار كذلك
فيما بعد القلتين وفي الغسالة وفي الماء الجاري وفي اصعا
الاناء للهرة ولا تظن لذلك عفوا اذ لو كان كذلك لكان كاثر
الاستنجاء ودم البراغيث حتى يصير الماء الملاقي له نجسا ولا ينجس
بالغسالة ولا بولوغ السنور الماء القليل واما قوله لا يحمل خبثا

حديث خلق الله الماء طهورا لا ينجسه شيء الخ ابن ماجة من حديث ابي امامة باسناد ضعيف وقد رواه بدون الاستثناء ابو داود والترمذي والنسائي من حديث ابي سعيد وصححه احمد وغيره ع

في نفسه مهم فانه يحمل اذا تغير فان قيل اراد به اذا لم يتغير
فيمكن ان يقال اراد به في الغالب لا يتغير بالنجاسات المعتاده
ثم هو تمسك بالمفهوم فيما اذا لم يبلغ قلتين وترك المفهوم باقل
من الادلة التي ذكرناها ممكن وقوله لا يحمل خبثا ظاهره نفي الحمل
اي يقلبه الى صفة نفسه كما يقال المملحة لا تحمل كلبا ولا غيره اي تقلب
وذلك لان الناس قد يستنجون في المياه القليلة في الغدران
ويغمسون الاواني النجسة فيها ثم يترددون في انها تغيرت تغيرا
موثرا ام لا فتبين انه اذا كان قلتين لا يتغير بهذه النجاسات فان
قلت فقد قال لم يحمل خبثا ومهما كثرت حملها فهذا ينقلب عليك
فانه مهما كثرت حملها ايضا حكما كما حملها حسا فلا بد من التخصيص
بالنجاسات المعتاده على المذهبين جميعا وعلى الجمله فميلي في امور
النجاسات الى المساهله فهما من سيرة الاولين وحسما لمادة
الوسواس ولذلك افتيت بالطهارة فيما وقع الخلاف فيه من
هذه المسايل الطرف الثالث في كيفية الازاله والنجاسة
ان كانت حكمية وهي التي ليس لها جرم محسوس فيكفي اجرا الما على
جميع مواردها وان كانت عينية فلا بد من ازالة العين وبقا الطعم
يدل على بقا العين وكذا بقا اللون الا فيما يلتصق به فهو معفو عنه

بعد الحت والقرص واما الرايحه فبقاها يدل على بقا العين
ولا يعفى عنها الا اذا كان الشي له رايحه فايحه يعسر ازالته
فالدلك والعصر مرات متواليه يقوم مقام الحت والقرص في
اللون والمزيل للوسواس ان يعلم ان الاشيا خلقت طاهرة بيقين
فما لا يشاهد عليها ولا يعلمها يقينا يصلي معه ولا ينبغي ان يتوصل
بالاستنباطات الى تقدير النجاسات، القسم الثاني طهارة
الاحداث وفيها الوضو والغسل والتيمم ويتقدمها الاستنجا
فنورد كيفيتها على الترتيب مع آدابها وسننها مبتدين بسبب
الوضو وهو قضا الحاجه **اداب قضا الحاجة** ينبغي ان
يبعد عن اعين الناظرين في الصحرا وان يستتر بشي ان وجده وان
لا يكشف عورته قبل الانتها الى موضع الجلوس وان لا يستقبل
الشمس والقمر وان لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها الا اذا كان
في بنا والعدول عنها في البنا ايضا احب وان تستر في الصحرا براحلته
جاز وكذا بذيله وان يتقي الجلوس في متحدث الناس وان لا يبول في
الما الراكد وتحت الشجرة المثمرة وفي الجحر وان يتقي الموضع الصلب ومهاب
الرياح في البول استنزاها من رشاشه وان يتكي في جلوسه على الرجل
اليسرى وان كان في بنيان يقدم الرجل اليسرى في الدخول واليمنى

الجحر

فى الخروج ولا يبول قايما وانما قالت عايشة رضى الله عنها من حدثكم
ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يبول قايما فلا تصدقوه وقال
عمر رانى عليه السلام وانا ابول قايما فقال يا عمر لا تبل قايما وفيه
رخصة اذ روى حذيفة انه عليه السلم بال قايما فاتيته بوضوء فتوضا
ومسح على خفيه ولا يبول فى المغتسل قال عليه السلام عامة
الوسواس منه قال ابن المبارك ان كان الما جاريا فلا باس ولا
يستصحب شيا عليه اسم الله ورسوله ولا يدخل بيت الماء حاسر الراس
وان يقول عند الدخول بسم الله اعوذ بالله من الخبيث المخبث الشيطان
الرجيم وعند الخروج الحمد لله الذى اذهب عنى ما يوذينى وابقى على ما
ينفعنى وان يعد النبل قبل الجلوس والا يستنجى بالما فى موضع
قضا الحاجة وان يستبرى من البول بالتنحنح والنتر ثلثا وامرار
اليد على اسفل القضيب ولا يكثر التفكر فى الاستبرا فيتوسوس ويشق
عليه الامر وما احس به من بلل فليقدر انه بقية الما فان كان يوذيه
ذلك فليرش الما عليه حتى يقوى فى نفسه ذلك ولا يتسلط عليه
الشيطان بالوسواس وفى الخبر ان النبى صلى الله عليه وسلم فعله
اعنى رش الما وكان اخفهم استبرا افقههم فتدل الوسوسة على قلة الفقه
وفى حديث سلمان علمنا رسول الله صلى الله عليه كل شى حتى الخراة

امرنا الا نستنجى بعظم ولا روث ونهانا ان نستقبل القبلة بغايط
او بول وقال رجل لبعض الصحابة من الاعراب وقد خاصمه
لا احسبك تحسن الخراة فقال بلى وابيك انى بها لحاذق ابعد
الاثر واعد المدر واستقبل الشيح واستدبر الريح واقعى اقعا الظبى
واجفل اجفال النعام الشيح نبت طيب الرايحة بالبادية والاقعا
هاهنا ان يستوفز على صدور قدميه والاجفال ان يرفع عجزه ومن
الرخصة ان يبول الانسان قريبا من صاحبه مستترا عنه فعل
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع شدة حيايه ليبين للناس
كيفية الاستنجا ثم يستنجى لمقعدته بثلثة احجار فان انقى كفى
والا استعمل رابعة فان انقى والا استعمل خامسة لان الايتار
مستحب قال عليه السلام من استجمر فليوتر وياخذ الحجر
بيساره ويضعه على مقدم المقعدة قبل موضع النجاسة ويمرها
بالمسح والادارة الى الموخر وياخذ الثانية ويضعها على الموخر
كذلك ويمرها الى المقدمة وياخذ الثالثة فيديرها حول المسربة
ادارة وان عسرت الادارة ومسح من المقدمة او الموخر اجزاه ثم
ياخذ حجرا كبيرا بيمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه
ويحرك اليسار فيمسح ثلثا فى ثلث مواضع او فى ثلثة احجار او فى ثلاثة

مواضع من جدار الى ان لا يرى الرطوبة في محل المسح فان حصل ذلك
بمرتين اتى بالثالثة ووجب ذلك ان اراد الاقتصار على الحجر وان
حصل بالرابعة استحبت الخامسة للايتار ثم ينتقل من ذلك الموضع الى
موضع آخر ويستنجي بالماء بان يفيضه باليمنى على محل النجو ويدلك
باليسرى حتى لا يبقى اثر يدركه الكف بحس اللمس وترك الاستقصاء
فيه بالتعرض للباطن فان ذلك منبع الوسواس ولتعلم ان كل ما لا يصل
اليه الماء فهو باطن ولا يثبت حكم النجاسة للفضلات الباطنة ما لم
تبرز وكل ما هو ظاهر وثبت له حكم النجاسة فحد طهوره ان يصل الماء
اليه فيزيله فلا معنى للوسواس ويقول عند الفراغ من الاستنجاء اللهم
طهر قلبي من النفاق وحصن فرجي من الفواحش ويدلك يده بحايط او
بالارض ازالة للرايحة ان بقيت والجمع بين الماء والحجر مستحب فقد روي
انه لما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المتطهرين
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قبا ما هذه الطهارة التي اثنى
الله بها عليكم قالوا انا نجمع بين الماء والحجر **كيفية الوضوء** اذا فرغ
من الاستنجاء اشتغل بالوضوء فلم ير رسول الله صلى الله عليه قط
خارجا من الغايط الا توضا ويبتدي بالسواك ~~ان ينوي عند~~
~~السواك تطهير فمه لقراة الفاتحة وذكر الله تعالى في~~ فقد قال

عليه السلام ان افواهكم طرق القران فطيبوها بالسواك فينبغي
ان ينوي عند السواك تطهير فمه لقراة الفاتحة وذكر الله في الصلاة
وقال صلى الله عليه وسلم صلاة على اثر السواك افضل من خمس
وسبعين صلاة بغير سواك وقال لولا ان اشق على امتي لامرتهم
بالسواك عند كل صلاة وقال ما لي اراكم تدخلون علي قلحا استاكوا
اي صفرة الاسنان وكان عليه السلام يستاك في الليلة مرارا وعن
ابن عباس انه قال لم يزل يامرنا بالسواك حتى ظننا انه سينزل عليه فيه شي
وقال عليه السلام عليكم بالسواك فانه مطهرة للفم مرضاة للرب وقال
علي ابن ابي طالب السواك يزيد في الحفظ ويذهب البلغم وكان اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم يروحون والسواك على اذانهم وكيفيته ان
يستاك بخشب الاراك وغيره من قضبان الاشجار مما يخشن ويزيل القلح
ويستاك عرضا وطولا وان اقتصر فعرضا ويستحب السواك عند كل صلاة
وعند كل وضوء وان لم يصل عقيبه وعند تغير النكهة بالنوم او طول الازم
او اكل ما تكره رايحته ثم عند الفراغ من السواك يجلس للوضوء ويقول
بسم الله الرحمن الرحيم قال صلى الله عليه لا وضوء لمن لم يسم الله اي لا وضوء
كاملا ويقول عند ذلك اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب
ان يحضرون ثم يغسل يديه ثلثا قبل ان يدخلهما في الاناء ويقول اللهم

البزاز والبيهقي من حديث العباس بن عبد المطلب واحمد والبغوي من حديث تمام بن العباس والبيهقي من حديث عبد الله بن عباس وهو مضطرب

الخطيب في كتاب اسماء من روى عن مالك وعند ابي داود والترمذي وصححه من حديث زيد بن خالد كان يشهد الصلوات وسواكه على اذنه موضع القلم من اذن الكاتب

الترمذي وابن ماجه من حديث سعيد بن زيد احد العشرة ونقل الترمذي انه احسن شي في هذا الباب

الطبراني في الاوسط والبيهقي في شعب الايمان

انى اسئلك اليمن والبركه واعوذ بك من الشوم والهلكه ثم ينوى رفع
الحدث او استباحة الصلاة ويستديم النية الى غسل الوجه فان نسيها
عند الوجه لم يجزه ثم ياخذ غرفة لفيه فيتمضمض بها ثلثا ويغرغر بان يرد
الما الى الغلصمة الا ان يكون صايما فيرفق ويقول اللهم اعنى على تلاوة كتابك
وكثرة الذكر لك ثم غرفة لانفه ويستنشق ثلثا ويصعد الما بالنفس الى
خياشيمه ويستنثر ما فيه ويقول فى الاستنشاق اللهم ارحنى رايحة
الجنة وانت عنى راض وفى الاستنثار اللهم انى اعوذ بك من روايح النار
ومن سو الدار لان الاستنشاق ايصال والاستنثار ازالة ثم يغرف غرفة
لوجهه فيغسله من مبتدا تسطيح الجبهة الى منتهى ما يقبل من الذقن فى
الطول ومن الاذن الى الاذن فى العرض ولا يدخل فى الوجه النزعتان
على طرفى الجبين فهما من الراس ويوصل الما الى موضع التحذيف وهو ما
يعتاد النسا تنحيه الشعر عنه وهو القدر الذى يقع فى جانب الوجه مهما
وضع طرف الخيط على راس الاذن والطرف الثانى على زاوية الجبين ويوصل
الما الى منابت الشعور الاربعه الحاجبان والشاربان والاهداب
والعذاران لانها خفيفة فى الغالب والعذاران هما ما يوازى الاذنين من
مبتدا اللحية ويجب ايصال الما الى منابت اللحية الخفيفة اعنى ما يقبل
من الوجه واما الكثيف فلا وحكم العنفقة حكم اللحية فى الكثافة والخفة

ثم يفعل ذلك ثلثا ويفيض الما على ظاهر ما استرسل من اللحية ويدخل
الاصبع فى محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل وتنقيهما فقد
روى انه عليه السلام فعل ذلك وتامل عند ذلك خروج الخطايا
من عينيه وكذلك عند كل عضو ويقول عنده اللهم بيض وجهى بنورك
يوم تبيض وجوه اوليايك ولا تسود وجهى بظلماتك يوم تسود وجوه
اعدايك ويخلل اللحية عند غسل الوجه فهو مستحب ثم يغسل يديه
الى مرفقيه ثلثا ويحرك الخاتم ويطيل الغرة ويرفع الما الى اعالى العضد
فانهم يحشرون يوم القيامة غرا محجلين من اثار الوضو وكذلك ورد
الخبر قال عليه السلام من استطاع ان يطيل غرته فليفعل وروى
ان الحلية تبلغ مواضع الوضو ويبدا باليمين ويقول اللهم اعطنى
كتابى بيمينى وحاسبنى حسابا يسيرا ويقول عند غسل الشمال اللهم
انى اعوذ بك ان تعطينى كتابى بشمالى او من وراء ظهرى ثم يستوعب
راسه بالمسح بان يبل يديه ويلصق رووس اصابع اليمنى باليسرى ويضعهما
على مقدمة الراس ويمدهما الى القفا ثم يردهما الى المقدمة فهذه
مسحة واحدة يفعل ذلك ثلثا ويقول اللهم غشنى رحمتك وانزل على
من بركاتك واظلنى تحت عرشك يوم لا ظل الا ظلك ثم يمسح اذنيه ظاهرهما
وباطنهما بما جديد بان يدخل مسبحتيه فى صماخى اذنيه ويدير ابهاميه

[Margin notes:]
لانفه
احمد من حديث ابى امامة كان يتعاهد الماقين وروى الدار قطنى من حديث ابى هريرة باسناد ضعيف اشربوا اعينكم ... ع
اخرجه مسلم من حديثه ع
اخرجه من حديث ابى هريرة رضى الله عنه ع

على ظاهر اذنيه ثم يضع الكف على الاذنين استظهارا ويكرر ثلثا
ويقول اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه
اللهم اسمعني منادي الجنة مع الابرار ثم يمسح رقبته لقوله عليه
السلام مسح الرقبة امان من الغل ويقول اللهم فك رقبتي من النار
واعوذ بك من السلاسل والاغلال ثم يغسل رجله اليمنى ثلاثا
ويخلل باليد اليسرى من اسفل اصابع الرجل اليمنى ويبدا بالخنصر من
الرجل اليمنى ويختم بالخنصر من اليسرى ويقول اللهم ثبت قدمي على
الصراط يوم تزل الاقدام في النار ويقول عند غسل اليسرى اعوذ بك
ان تزل قدمي عن الصراط يوم تزل اقدام المنافقين ويرفع الماء الى
انصاف الساقين فاذا فرغ رفع راسه الى السماء وقال اشهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله سبحانك
وبحمدك لا اله الا انت عملت سوءا وظلمت نفسي استغفرك واتوب
اليك فاغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم اللهم اجعلني من
التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني
اذكرك كثيرا واسبحك بكرة واصيلا يقال ان من قال هذا بعد
الوضوء ختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله
ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك الى يوم القيمة ويكره في الوضوء امور

ابو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر وهو ضعيف ع

يوم القيمة م

شكورا واجعلني

ان يزيد على الثلث وان يسرف في الماء توضا عليه السلام ثلثا
وقال من زاد فقد ظلم واساء وقال سيكون قوم من هذه الامة
يعتدون في الدعاء والطهور ويقال من وهن علم الرجل ولوعه
بالماء في الطهور وقال ابرهيم بن ادهم يقال اول ما يبدا الوسواس
من قبل الطهور وقال الحسن ان شيطانا يضحك بالناس في الوضوء
يقال له الولهان ويكره ان ينفض اليد فيرش الماء وان يتكلم في اثناء
وضوئه وان يلطم وجهه بالماء لطما وكره قوم التنشف وقالوا الوضوء
يوزن قاله سعيد بن المسيب والزهري ولكن روى معاذ انه عليه
السلام مسح وجهه بطرف ثوبه وروت عائشة انه كان له منشفة
ولكن طعن في الرواية عن عائشة ويكره ان يتوضا من اناء صفر وان يتوضا
بالمشمس وذلك من جهة الطب وقد روي عن ابن عمر وابي هريرة كراهة
الاناء الصفر وقال بعضهم اخرجت لشعبة ماء في اناء صفر فابى ان يتوضا
ونقل كراهة ذلك عن ابن عمر ومهما فرغ عن وضوئه واقبل على الصلاة
ينبغي ان يخطر بباله انه طهر ظاهره وهو موضع نظر الخلق فينبغي
ان يستحيي من مناجاة الله من غير تطهير قلبه وهو موضع نظر الرب
وليتحقق ان طهارة القلب بالتوبة والخلو عن الاخلاق الذميمة وان
من اقتصر على طهارة الظاهر كمن اراد ان يدعو ملكا الى بيته فتركه

ابو داود والنسائي وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ع

ابو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث عبد الله بن مغفل ع

الترمذي وقال غريب واسناده ضعيف ع

الترمذي وقال ليس يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب شيء ع

مشحونا بالقاذورات واشتغل بتجصيص ظاهر الباب للبرانيين من الدار
وما اجدره بالتعرض للبوار **فضيلة الوضوء** قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من توضأ فاسبغ الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث
نفسه فيهما بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وفي
لفظ آخر ولم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه وقال ايضا
الا انبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع الدرجات اسباغ
الوضوء في المكاره ونقل الاقدام الى المساجد وانتظار الصلاة
بعد الصلاة فذلكم الرباط وتوضأ صلى الله عليه مرة فقال
هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به وتوضأ مرتين مرتين وقال من
توضأ مرتين آتاه الله اجره مرتين وتوضأ ثلثا ثلثا وقال هذا
وضوئي ووضوء الانبيا قبلي ووضوء خليلي ابرهيم وقال صلى الله عليه
من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ومن لم يذكر الله لم
يطهر منه الا ما اصاب الما وقال من توضأ على طهر كتب الله له
عشر حسنات وقال عليه السلام الوضوء على الوضوء نور على
نور فهذا حث على تجديد الوضوء وقال اذا توضأ العبد المسلم
فتمضمض خرجت الخطايا من فيه فاذا استنثر خرجت الخطايا من
انفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من اشفار

عينيه فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت
اظفار يديه فاذا مسح راسه خرجت الخطايا من راسه حتى تخرج
من اذنيه فاذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من
تحت اظفار رجليه ثم كان مشيه الى المسجد وصلاته نافلة له
ويروى ان الطاهر كالصايم وقال صلى الله عليه وسلم من توضأ
فاحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال اشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فتحت له ابواب
الجنة يدخل من ايها شاء وقال عمر رضي الله عنه ان الوضوء
الصالح يطرد عنك الشيطان وقال مجاهد من استطاع ان لا
يبيت الا طاهرا ذاكرا مستغفرا فليفعل فان الارواح تبعث على
ما قبضت عليه **كيفية الغسل** وهو ان يضع الانا عن يمينه
ثم يسمي الله ويغسل يديه ثلثا ثم يستنجي كما وصفنا ويزيل ما على
بدنه من نجاسة ان كانت ثم يتوضأ وضوءه للصلاة كما سبق الا غسل
قدميه فانه يوخرهما فان غسلهما ثم وضعهما على الارض كان اضاعة
للما ثم يصب الما على شقه الايمن ثلثا ثم على شقه الايسر ثلثا
ثم على راسه ثلثا ثم يدلك ما اقبل من بدنه وما ادبر ويخلل شعر
الراس ويوصل الما الى منابت ما كثف منها او خف وليس على المراة

ابو داود والترمذي وابن ماجه من حديث ابن عمر باسناد ضعيف

ابن ماجه من حديث ابن عمر باسناد ضعيف

ابو داود من حديث عقبة بن عامر

نقص الظفاير الا اذا علمنا ان الماء لا يصل الى خلال الشعر ويتعهد
معاطف البدن وليتق ان يمس ذكره في اثناء ذلك فان فعل ذلك
فليعد الوضوء فان توضا قبل الغسل فلا يعيده بعد الغسل فهذه
سنة الوضوء والغسل ذكرنا منهما ما لا بد للسالك الطريق الاخرة من
علمه وعمله وما عداه من المسائل المحتاج اليها في عوارض الاحوال
فيرجع فيها الى كتب الفقه والواجب من جملة ما ذكرناه في الغسل
امران النية واستيعاب البدن للغسل ومن الوضوء النية وغسل
الوجه وغسل اليدين الى المرفقين ومسح ما ينطلق عليه الاسم
من الراس وغسل الرجلين الى الكعبين والترتيب اما الموالاة فليست
واجبة والاغتسال الواجبة اربعة الغسل لخروج المني والالتقا
الختانين والحيض والنفاس وما عداه من الاغتسال سنة كالغسل
للجمعة والعيدين والاحرام والوقوف بعرفة ومزدلفة ولدخول مكة
وثلثة اغتسال ايام التشريق ولطواف الوداع على قول وللكافر
اذا اسلم غير جنب وللمجنون اذا افاق ولمن غسل ميتا فكل ذلك مستحب

كيفية التيمم ومن تعذر عليه استعمال الماء لفقده بعد الطلب
او بمانع له عن الوصول اليه من سبع او حابس او كان الماء الحاضر يحتاج
اليه لعطشه او عطش رفيقه او كان ملكا لغيره ولم يبع منه الا

باكثر من ثمن مثله او كان به جراحة او مرض وخاف من استعماله
فساد العضو او شدة الضنا فينبغي ان يصبر حتى يدخل عليه وقت
الفريضة ثم يقصد صعيدا طيبا عليه تراب طاهر خالص لين
بحيث يثور منه غبار ويضرب عليه كفيه ضاما بين اصابعه ويمسح
بهما جميع وجهه مرة واحدة وينوي عنده استباحة الصلاة ولا
يتكلف ايصال الغبار الى ما تحت الشعور خف او كثف ويجتهد ان
يستوعب بشرة وجهه بالغبار ويحصل ذلك بضربة الواحدة فان
عرض الوجه لا يزيد على عرض الكفين ويكفي في الاستيعاب غالب
الظن ثم ينزع خاتمه فيضرب ضربة ثانية يفرج فيها بين اصابعه ثم
يلصق ظهور اصابع يده اليمنى ببطون اصابع يده اليسرى بحيث لا
يجاوز اطراف الانامل من احدى اليدين عرض المسبحة من الاخرى ثم يمر
يده اليسرى من حيث وضعها على ظاهر ساعده اليمنى الى المرفق ثم
يقلب بطن كفه اليسرى على بطن ساعده اليمنى ويمرها الى الكوع ويمر بطن
ابهامه اليسرى على ظهر ابهامه اليمنى ثم يفعل باليد اليسرى كذلك
ثم يمسح كفيه ويخلل بين اصابعه وغرض هذا التكلف تحصيل الاستيعاب
الى المرفقين بضربة واحدة فان عسر عليه ذلك فلا باس بان يستوعب
بضربتين وزيادة فاذا صلى به الفرض فله ان يتنفل كيف شا فان جمع بين

فرضين فينبغي ان يعيد التيمم للثانية وهكذا لكل فريضة تيمم
والله اعلم **القسم الثالث** من النظافة التنظف عن الفضلات
الظاهرة وهي نوعان اوساخ واجزاء النوع الاول الاوساخ
والرطوبات المترشحة وهي ثمانية الاول ما يجتمع في شعر الراس من
الدرن والقمل فالتنظف عنه مستحب بالغسل وبالترجيل والتدهين
ازالة للتشعث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدهن الشعر
ويرجله غبا ويامر به ويقول ادهنوا غبا وقال من كان له شعر
فليكرمها اي ليصنها عن الاوساخ ودخل عليه رجل ثائر الراس
اشعث اللحية فقال اما كان لهذا دهن يسكن به شعره ثم قال
يدخل احدكم كانه شيطان الثاني ما يجتمع من الوسخ في معاطف
الاذن والمسح يزيل ما يظهر منه وما يجتمع في قعر الصماخ فينبغي ان
ينظف برفق عند الخروج من الحمام فان كثرة ذلك ربما يضر بالسمع
الثالث ما يجتمع في داخل الانف من الرطوبات المنعقدة الملتصقة
بجوانبها ويزيلها الاستنشاق والاستنثار الرابع ما يجتمع على
الاسنان واطراف اللسان من القلح ويزيله السواك والمضمضة وقد
ذكرناهما الخامس ما يجتمع في اللحية من الوسخ والقمل اذا لم يتعهد
ويستحب ازالة ذلك بالغسل والتسريح بالمشط وفي الخبر المشهور

ابو داود والنسائي وابن حبان من حديث جابر باسناد جيد ع

انه عليه السلام كان لا يفارقه المشط والمدرى في سفر ولا
حضر وهي سنة العرب وفي خبر غريب انه كان يسرح لحيته في
اليوم مرتين وكان صلى الله عليه وسلم كث اللحية وكذلك كان
ابو بكر وكان عثمان طويل اللحية رقيقها وكان علي عريض اللحية
قد ملأت ما بين منكبيه وفي حديث اغرب منه قالت عايشة اجتمع
قوم بباب رسول الله صلى الله عليه فخرج اليهم فرايته يطلع في
الحب يسوي راسه ولحيته فقلت اوتفعل ذلك يا رسول الله فقال
نعم ان الله يحب من عبده ان يتجمل لاخوانه والجاهل ربما يظن ذلك
من حب التزين للناس قياسا على اخلاق غيره وتشبيها للملايكة
بالحدادين وهيهات فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مأمورا
بالدعوة وكان من وظايفه ان يسعى في تعظيم امر نفسه في قلوبهم
كيلا تزدريه نفوسهم وتحسين صورته في اعينهم كيلا تستصغره
اعينهم فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك في تنفيرهم وهذا
القصد واجب على كل عالم تصدى لدعوة الخلق الى الله تعالى وهو
ان يراعي من ظاهره ما لا يوجب نفرة الناس عنه والاعتماد في مثل هذه
الامور على النيات فانها اعمال في انفسها تكتسب الاوصاف من
المقصود فالتزين على هذا القصد محبوب وترك الشعث في اللحية

الترمذي في الشمايل من حديث هند بن ابي هالة وابو نعيم في دلايل النبوة من حديث علي واصله عند الترمذي ع

ابن عدي وقال حديث منكر ع

اظهارًا للزهد وقلة المبالاة بالنفس محذور وتركه شغلًا بما
هو اهم منه محبوب وهذه احوال باطنة بين العبد وبين الله والناقد
بصير والملبس غير رايج عليه بحال وكم من جاهل يتعاطى هذه
الامور التفاتًا الى الخلق وهو يلبس على نفسه وعلى غيره ويزعم
ان قصده الخير فيرى جماعة من العلما يلبسون الثياب الفاخرة
ويزعمون ان قصدهم ارغام المبتدعة والمخالفين والتقرب الى الله
تعالى به وهذا امر ينكشف يوم تبلى السراير ويوم بعثر ما في القبور
وحصل ما في الصدور فعند ذلك يتميز السبيكة الخالصة من البهرج
فنعوذ بالله من الخزي يوم العرض الاكبر السادس وسخ البراجم وهي
معاطف ظهور الانامل كانت العرب لا تكثر غسل اليد عقيب
الطعام فيجتمع في تلك الغضون وسخ فامرهم صلى الله عليه وسلم بغسل
البراجم السابع تنظيف الرواجب امر صلى الله عليه وسلم به العرب
وهي رؤس الانامل وما تحت الاظفار من الوسخ لانها كانت لا تحضرها
المقراض في كل وقت فيجتمع فيها اوساخ فوقت لهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم قلم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة كل اربعين يومًا
لكنه امر بتنظيف ما تحت الاظفار وجا في الاثر ان النبي صلى الله عليه
وسلم استبطا الوحي فلما هبط عليه جبريل قال كيف ننزل عليكم

كذا ابطأ عنه جبريل فقال ولم لا ابطئ عنكم وانتم لا تستنون ولا تقلمون اظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنظفون رواجبكم

وانتم لا تغسلون براجمكم ولا تنظفون رواجبكم وقلحًا لا تستاكون
مر امتك بذلك والاف وسخ الظفر والتف وسخ الاذن قوله
ولا تقل لهما افٍّ اي لا تعيبهما بما تحت الظفر من الوسخ وقيل لا تتاذ بهما
كما يتاذى بما تحت الظفر الثامن الدرن الذي يجتمع على جميع البدن
برشح العرق وغبار الطريق وذلك يزيله الحمام ولا باس بدخول الحمام
دخل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حمامات الشام وقال
بعضهم نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار روي ذلك
عن ابي الدردا وابي ايوب الانصاري وقال بعضهم بئس البيت بيت
الحمام يبدي العورة ويذهب بالحيا فهذا تعرض لآفته وذلك لفضيلته
ولا باس بطلب فايدته عند الاحتراز عن آفته ولكن على داخل الحمام
وظايف من السنن والواجبات فعليه واجبان في عورته وواجبان
في عورة غيره اما الواجبان في عورته فهو ان يصونها عن نظر الغير
ويصونها عن مس الغير فلا يتعاطى امرها وازالة وسخها الا بيده ويمنع
الدلاك من مس الفخذين وما بين السرة الى العانة وفي اباحة مس ما
ليس بسوءة لازالة الوسخ احتمال ولكن الاقيس التحريم اذا لحق مس
السوءتين في التحريم بالنظر فكذلك ينبغي ان يكون بقية العورة اعني
الفخذ والواجبان في عورة الغير ان يغض بصره عنها وان ينهى

عن كشفها لان النهي عن المنكر واجب وعليه ذكر ذلك وليس عليه
القبول ولا يسقط عنه وجوب الذكر الا لخوف ضرب او شتم او
ما يجري عليه مما هو حرام في نفسه فليس عليه ان ينكر حراما يرهق
المنكر عليه الى مباشرة حرام آخر فاما قوله اعلم ان ذلك لا يفيد ولا
يعمل به فهذا لا يكون عذرا بل لا بد من الذكر فلا يخلو قلب عن التأثر
بسماع الانكار واستشعار الاحتراز عند التعيير بالمعاصي وذلك
يؤثر في تقبيح الامر في عينه وتنفير نفسه عنه فلا يجوز تركه ولمثل
هذا صار الحزم ترك دخول الحمام في هذه الاوقات اذ لا يخلو
عن عورات مكشوفة لا سيما ما تحت السرة الى ما فوق العانة اذ
الناس لا يعدونها عورة وقد الحقها الشرع بالعورة وجعلها كالحريم
لها ولهذا يستحب تخلية الحمام قال بشر بن الحرث ما اعنف رجلا
لا يملك الا درهما الا دفعه ليخلي له الحمام وروي ابن عمر في الحمام
ووجهه الى الحائط وقد عصب عينيه بعصابة وقال بعضهم لا باس
بدخول الحمام ولكن بازارين ازار للعورة وازار للراس يتقنع به
ويحفظ عينيه. واما السنن فعشرة فالاول النية وهو ان لا يدخل
لعاجل دنيا ولا لاجل هوى بل يقصد به التنظيف المحبوب تزينا
للصلاة ثم يعطي الحمامي الاجرة قبل الدخول فان ما يستوفيه مجهول

وكذا ما ينتظره الحمامي فتسليم الاجرة دفع للجهالة من احد العوضين
وتطييب لنفسه ثم يقدم رجله اليسرى عند الدخول ويقول
بسم الله الرحمن الرحيم اعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث
الشيطان الرجيم ثم يدخل وقت الخلوة او يتكلف تخلية الحمام فانه
وان لم يكن في الحمام الا اهل الدين والمحتاطين للعورات فالنظر
الى الابدان مكشوفة فيه شائبة من قلة الحيا وهو مذكر للتأمل
في العورات ثم لا يخلو الناس في الحركات من انكشاف العورات
بانعطاف في اطراف الازار فيقع البصر على العورة من حيث لا يدري
ولاجله عصب ابن عمر عينيه ويغسل الجناحين عند الدخول ولا
يعجل بدخول بيت الحار حتى يعرق في الاول وان لا يكثر صب الما بل
يقتصر على قدر الحاجة فانه المأذون فيه بقرينة الحال والزيادة
عليه لو علمه الحمامي لكرهه لا سيما الما الحار وله مؤونة وفيه تعب
وان يتذكر حر النار بحرارة الحمام ويقدر نفسه محبوسا في البيت الحار
ساعة ويقيسه الى جهنم فانه اشبه بيت بجهنم النار من تحت
والظلام من فوق نعوذ بالله منه بل العاقل لا يغفل عن ذكر الآخرة
لحظة فانها مصيره ومستقره فيكون له في كل ما يراه من ماء او نار
او غيرها عبرة وموعظة فان المرء ينظر بحسب همته فاذا دخل بزاز

معروشة

ونجار وبناء وحايك دارا معمورة فاذا تفقدتم رايت البزاز
ينظر الى الفرش يتأمل قيمتها والحايك ينظر الى الثياب يتأمل نسجها
والنجار الى السقف يتأمل كيفية تركيبها والبنا الى الحيطان يتأمل
كيفية احكامها واستقامتها فكذلك سالك طريق الاخرة لا يرى شيا من
الاشيا الا ويكون له موعظة من الاخرة بل لا ينظر الى شي الا ويفتح الله له
طريق عبرة فان نظر الى سواد يذكره ظلمة اللحد وان نظر الى حية تذكر
افاعي جهنم وان نظر الى صورة قبيحة تذكر منكرا ونكيرا والزبانية
وان سمع صوتا هايلا تذكر نفخة الصور وان راى شيا حسنا تذكر نعيم
الجنة وان سمع كلمة رد او قبول في سوق او دار تذكر ما ينكشف من آخر
امره بعد الحساب من الرد والقبول وما اجدر ان يكون هذا هو الغالب
على قلب العاقل اذ لا يصرفه عنه الا مهمات الدنيا فاذا نسبت مدة
المقام في الدنيا الى مدة المقام في الاخرة استحقرها ان لم يكن ممن
اقفل قلبه واعميت بصيرته ومن السنن ان لا يسلم عند الدخول وان
سلم عليه لم يجب بلفظ السلام بل يسكت ان اجاب غيره وان احب قال
عافاك الله ولا باس بان يصافح الداخل ويقول عافاك الله لابتدا الكلام
ثم لا يكثر الكلام في الحمام ولا يقرا القرآن الا سرا ولا باس باظهار
الاستعاذة من الشيطان ويكره دخول الحمام بين العشايين وقريبا

من الغروب فان ذلك وقت انتشار الشياطين ولا باس بان
تدلك صديقك فقد نقل عن يوسف بن اسباط انه اوصى بان
يغسله انسان لم يكن من اصحابه وقال دلكني في الحمام مرة فاردت
ان اكافيه بما يفرح به وانه ليفرح بذلك ويدل على جوازه ما روى بعض
الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا في بعض اسفاره
فنام على بطنه وعبد اسود يغمز ظهره فقلت ما هذا يا رسول الله
فقال ان الناقة تقحمت بي ثم مهما فرغ من الحمام شكر الله تعالى
على هذه النعمة فقد قيل الما الحار في الشتا من النعيم الذي يسال
عنه وقال ابن عمر الحمام من النعيم الذي هذا من جهة الشرع
اما من جهة الطب فقد قيل الحنا بعد النورة امان من الجذام وقيل
ان النورة في كل شهر تطفي الحرارة وتنقي اللون وتزيد في الجماع وقيل
بولة في الحمام قايما في الشتا انفع من شربة دوا وقيل نومة في الصيف
بعد الحمام تعدل شربة دوا وغسل القدمين بما بارد بعد الخروج من
الحمام امان من النقرس ويكره صب الما البارد على الراس عند الخروج
وكذا شربه هذا حكم الرجال اما النسا فقد قال صلى الله عليه وسلم
لا يحل للرجل ان يدخل حليلته الحمام وفي البيت مستحم والمشهور
حرام على الرجل دخوله الحمام الا بمئزر وحرام على المراة دخول الحمام

الطبراني في الاوسط من حديث عمر بسند ضعيف ه ٤

الترمذي وحسنه والنسائي والحاكم وصححه من حديث جابر من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام ه وللحاكم من حديث عائشة الحمام حرام على نساء امتي قال صحيح الاسناد ولابي داود وابن ماجة من حديث عبد الله بن عمر فلا يدخلها الرجال الا بالازر وامنعوها النساء الا مريضة او نفساء ه ٤

الايمين وحرام على المراة دخول الحمام الا نفسا او مريضة
ودخلت عايشة حماما من سقم بها فان دخلت لضرورة فلا تدخل
الا بمئزر سابغ ويكره للرجل ان يعطيها اجرة الحمام فيكون معينا لها
على المكروه النوع الثاني مما يحدث من البدن الاجزاء وهي ثمانية
الاول شعر الراس ولا باس بحلقه لمن اراد التنظف ولا بتركه لمن يدهن
ويترجل الا اذا تركه قزعا قطعا فهي داب اهل الشطارة او ارسل
الذوايب على هياة اهل الشرف حيث صار ذلك شعارا لهم فانه
اذا لم يكن شريفا كان ذلك تلبيسا الثاني شعر الشارب وقد
قال صلى الله عليه قصوا الشوارب وفي لفظ اخر جزوا الشوارب
وفي لفظ اخر حفوا الشوارب واعفوا اللحى اي اجعلوها حفافي
الشفة اي حولها وحفاف الشي حوله ومنه وترى الملايكة حافين من
حول العرش وفي لفظ اخر احفوا وهذا لا يشعر بالاستيصال وقوله
حفوا يدل على ما دون ذلك قال تعالى ان يسألكموها فيحفكم
تبخلوا اي يستقصي عليكم واما الحلق فلم يرد والاحفا اقرب من
الحلق نقل عن الصحابة نظر بعض التابعين الى رجل احفى شاربه
فقال ذكرتني اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال المغيرة
ابن شعبة نظر الى رسول الله وقد طال شاربي فقال تعال فقصه

(هامش: باس)

(هامش: [illegible])

لي على سواك ولا باس بترك سبالية وهما طرفا الشارب فعل
ذلك عمر وغيره لان ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام
اذ لا يصل اليه وقوله اعفوا اللحى اي كثروها وفي الخبر ان اليهود
يعفون شواربهم ويقصون لحاهم فخالفوهم وكره بعض العلما الحلق
وراه بدعة الثالث شعر الابط ويستحب نتفه في كل اربعين
يوما مرة وذلك سهل على من تعود في الابتدا نتفه فاما من تعود الحلق
فيكفيه الحلق اذ في النتف تعذيب وايلام والمقصود النظافة وان لا
يجتمع الوسخ في خللها ويحصل ذلك بالحلق الرابع شعر العانة ويستحب
ازالة ذلك اما بالحلق او بالنورة ولا ينبغي ان تتاخر عن اربعين يوما الخامس
الاظفار وقلمها مستحب لبشاعة صورتها اذا طالت ولما يجتمع فيها
من الوسخ قال رسول الله صلى الله عليه يا ابا هريرة اقلم ظفرك فان الشيطان
يقعد على ما طال منها ولو كانت تحت الظفر وسخ فلا يمنع ذلك صحة
الوضو اما لانه لا يمنع وصول الما او لانه يتساهل فيه للحاجة لا سيما
في اظفار الرجل وفي الاوساخ التي تجتمع على البراجم وظهور الارجل
والايدي للعرب واهل السواد وكان صلى الله عليه وسلم يامرهم بالقلم
وينكر ما يرى تحت اظفارهم من الاوساخ ولم يامرهم باعادة الصلوات
ولو امر به لكان فيه فايدة اخرى وهي التغليظ والزجر عن ذلك ولم ار

(هامش: [illegible])

(هامش: في حديث ابي امامة قلنا يا رسول الله ان اهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون سبالهم فقال قصوا سبالكم ووفروا عثانينكم وخالفوا اهل الكتاب [illegible])

(هامش: الخطيب في الجامع باسناد ضعيف [illegible] قصوا اظافيركم فان الشيطان يجري ما بين اللحم والظفر)

في الكتب خبراً مروياً في ترتيب قلم الاظفار ولكن سمعت انه روي صلى
الله عليه وسلم بدأ بمسبحته اليمنى وختم بابهام اليمنى وابتدأ في اليسرى
بالخنصر الى الابهام وفي اليمنى من المسبحة الى الخنصر والختم بابهام
اليمنى ولما تاملت في هذا خطر لي من المعنى ما يدل على ان الرواية
صحيحة اذ مثل هذا المعنى لا ينكشف ابتداء الا بنور النبوة . واما
العالم ذو البصيرة فغايته ان يستنبطه من الفعل بعد نقل الفعل
اليه والذي لاح لي فيه والعلم عند الله انه لا بد من قلم الاظفار
الرجل واليد واليد اشرف من الرجل فيبدا به ثم اليمنى اشرف من اليسرى
فيبدأ به ثم على اليمنى خمسة اصابع والمسبحة اشرفها اذ هي المشيرة
في كلمتي الشهادة من جملة الاصابع ثم بعدها ينبغي ان يبتدى بما على
يمينها اذ الشرع يستحب ادارة الطهور وغيره على اليمين فان وضعت
ظهر اليد على الارض فالابهام هو اليمين وان وضعت الكف فالوسطى
هي اليمين واليد اذا تركت بطبعها كان الكف مائلا الى جهة الارض
اذ جهة حركة اليمنى الى اليسار واستتمام الحركة الى اليسار يجعل
ظهر الكف عاليا فما تقتضيه الطبع اولى ثم اذا وضعت الكف على
الكف صارت الاصابع في حكم حلقة دايرة فيقتضي ترتيب الدور الذهاب
عن يمين المسبحة الى ان يعود الى المسبحة فتقع البداية بخنصر اليسرى .

بلغ

والختم بابهامها وتبقى ابهام اليمنى وانما قدرت الكف موضوعا
على الكف حتى تصير الاصابع كاشخاص في حلقة ليظهر ترتيبها وتقدير
ذلك اولى من تقدير وضع الكف على ظهر الكف او وضع ظهر الكف
على ظهر الكف فان ذلك لا يقتضيه الطبع واما اصابع الرجل
فالاولى عندي ان لم يثبت فيه نقل ان يبدأ بخنصر اليمنى ويختم بخنصر
اليسرى كما في التخليل فان المعاني التي ذكرناها لا تتجه هاهنا اذ
لا مسبحة في الرجل وهذه الاصابع في حكم صف واحد ثابت على
الارض فيبدأ من جانب اليمين فان تقديرها حلقة بوضع الاخمص
على الاخمص يأباه الطبع بخلاف اليدين وهذه الدقائق في الترتيب
تنكشف بنور النبوة في لحظة وانما يطول التعب علينا ثم لو سئلنا
ابتداء ربما لم يخطر لنا واذا ذكر لنا فعله صلى الله عليه وسلم وترتيبه
ربما تيسر لنا باعانته صلى الله عليه وسلم بشهادة الحكم
وتنبيهه على المعنى استنباط المعنى ولا تظنن ان افعاله صلى
الله عليه في جميع حركاته وسكناته كانت خارجة عن وزن وقانون
وترتيب بل جميع الامور الاختيارية التي يتردد الفاعل فيها بين
قسمين او اقسام كان يقدم على واحد معين بالاتفاق بل المعنى يقتضي
الاقدام والتقديم فان الاسترسال مهملا كما يتفق سجية البهائم

بتردد

وضبط الحركات بموازين المعاني سجية اولياء الله وكل ما كانت حركات
الانسان وخطراته الى الضبط اقرب وعن الاهمال والترك ابعد
كانت قربه الى رتبة الاولياء والانبياء اكثر وكان قربه من الله
اظهر اذ القريب من النبي هو قريب من الله لابد وان يكون قريبا
فالقريب من القريب قريب بالاضافة الى غيره نعوذ بالله ان يكون
زمام حركاتنا وسكناتنا في ناصية الشيطان بواسطة الهوى
واعتبر في ضبط الحركات باكتحاله صلى الله عليه وسلم فانه يكتحل
في عينه اليمين ثلثا وفي اليسرى اثنين فبدا انه باليمنى لشرفه وتفاوته
بين العينين لتكون الجملة وترا فان للوتر فضلا على الزوج فان الله وتر
يحب الوتر فلا ينبغي ان يخلو فعل العبد عن مناسبة لوصف من اوصاف
الرب وكذلك استحب الايتار في الاستجمار وانما لم يقتصر على الثلث
وهو وتر لان اليسرى لا يخصها الا واحدة والغالب ان الواحد لا يستوعب
اصول الاجفان بالكحل وانما خصص اليمين لان التفضيل لابد منه
للايتار واليمين افضل فهو بالزيادة احق فان قلت لم اقتصر على اثنين
لليسرى وهو زوج فذلك ضرورة اذ لو جعل لكل واحد وترا كان
المجموع زوجا اذ الوتر مع الوتر زوج ورعاية الايتار في مجموع الفعل
وهو في حكم الخصلة الواحدة احب من رعايته في الاحاد ولذلك

ايضا وجه وهو ان يكتحل في كل واحد ثلثا على قياس الوضوء وقد
نقل ذلك في الصحيح وهو الاولى ولو ذهبت استقصي دقايق ما راعاه
صلى الله عليه وسلم في حركاته لطال الامر فقس بما سمعته ما لم
تسمعه واعلم ان العالم لا يكون وارثا للنبي الا اذا اطلع على جميع
معاني الشريعة حتى لا يكون بينه وبين النبي الا درجة وهو درجة النبوة
وهي الدرجة الفارقة بين الوارث والموروث اذ الموروث هو الذي حصل
المال له واستقل بتحصيله واقتدر عليه والوارث هو الذي لم يحصل ولم
يقدر عليه ولكن انتقل اليه وتلقاه منه بعد حصوله له فامثال هذه
المعاني مع سهوله امرها بالاضافة الى الاغوار والاسرار لا يستقل
بدركها الا الانبيا ولا يستقل باستنباطها تلقيا بعد تنبيه الانبيا
عليها الا العلما الذين هم ورثة الانبيا السادسة والسابعة
زيادة السرة وقلفة الحشفة اما السرة فتقطع في اول الولادة واما التطهير
بالختان فعادة اليهود اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم بالتاخير
الى ان يشعر الولد احب وابعد عن الخطر قال عليه السلام الختان
سنة للرجال مكرمة للنساء وينبغي الا يبالغ في خفض المراة قال صلى
الله عليه وسلم لام عطية وكانت تخفض يا ام عطية اشمي ولا تنهكي
فانه اسرى للوجه واحظى عند الزوج اي اكثر لماء الوجه ودمه واحسن

في جماعها فانظر الى جزالة لفظه في الكناية والى اشراق نور النبوة من
مصالح الاخرة التي هي اهم مقاصد النبوة الى مصالح الدنيا حتى
انكشف له وهو امي من هذا الامر النازل قدره ما لو وقعت الغفلة
عنه خيف ضرره فسبحان من ارسله رحمة للعالمين ليجمع لهم بيمن
بعثته مصالح الدنيا والدين صلى الله عليه وسلم وعلى آله اجمعين
الثامنة ما طال من اللحية وانما اخرناها لنلحق بها ما في اللحية من السنن
والبدع اذ هذا اقرب موضع يليق به ذكرها وقد اختلفوا فيما طال منها
فقيل ان قبض الرجل على لحيته واخذ ما تحت القبضة فلا باس فقد فعله
ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبي وابن سيرين وكرهه
الحسن وقتادة وقالوا تركها عافية بحالها احب لقوله صلى الله عليه وسلم
اعفوا اللحى والامر في هذا قريب اذا لم ينته الى تقصيص اللحية
وتدويرها من الجوانب فان الطول المفرط قد يشوه الخلقة ويطلق
السنة المغتابين بالنسبة اليه فلا باس بالاحتراز عنها على هذه
النية وقال النخعي عجبت لرجل عاقل طويل اللحية كيف لا ياخذ من
لحيته فيجعلها بين لحيتين فان التوسط في كل شيء حسن ولذلك قيل
كلما طالت اللحية تشمر العقل **فصل** وفي اللحية عشر خصال مكروهة
وبعضها اشد من بعض وهو خضابها بالسواد وتبييضها بالكبريت

ونتفها ونتف الشيب والنقصان منها والزيادة فيها وتسريحها
تصنعا لاجل الرياء وتركها شعثة اظهارا للزهد والنظر الى سوادها
عجبا بالشباب والى بياضها تكبرا بعلو السن وخضابها بالحمرة والصفرة
من غير نية تشبها بالصالحين اما الاول وهو الخضاب بالسواد فهو منهي
عنه قال صلى الله عليه وسلم خير شبابكم من تشبه بشيوخكم وشر
شيوخكم من تشبه بشبابكم والمراد بالتشبه بالشيوخ في الوقار لا في
تبييض الشعر ونهى عن الخضاب بالسواد فقال هو خضاب اهل النار وفي
لفظ آخر الخضاب بالسواد خضاب الكفار وتزوج رجل على عهد
عمر وكان خضب بالسواد فنصل خضابه وظهرت شيبته فرفعه اهل
المراة الى عمر فرد نكاحه واوجعه ضربا وقال غررت القوم بالشباب
ولبست عليهم شيبتك ويقال اول من خضب بالسواد فرعون لعنه الله
وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم يكون في آخر الزمان قوم يخضبون
بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة الثاني الخضاب بالصفرة
والحمرة جائز تلبيسا للشيب على الكفار في الغزو والجهاد فان لم يكن
على هذه النية بل للتشبه باهل الدين فهو مذموم وقد قال صلى الله عليه وسلم
الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين وكانوا يخضبون بالحناء
للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة وخضب بعض العلماء بالسواد لاجل الغزو

الطبراني من حديث واثلة باسناد ضعيف

الطبراني والحاكم من حديث ابن عمر بلفظ الكافر وقال ابن ابي حاتم منكر

ابو داود والنسائي من حديث ابن عباس باسناد جيد

الطبري والحاكم بلفظ الافراد من حديث عمر وقال ابن ابي حاتم منكر

وذلك لا باس به اذا صحبنا لبنيه ولم يكن فيه هوى وشهوة الثالث نتبيضها بالكبريت استعجالا لاظهار علو السن توصلا الى التوقير وقبول الشهادة والتصديق بالرواية عن الشيوخ وترفعا على الشباب واظهارا لكثرة العلم ظنا بان كثرة الايام تعطيه فضلا وهيهات فلا يزيد كبر السن للجاهل الا جهلا فالعلم ثمرة العقل وهي غريزة لا تؤثر الشيب فيها ومن كان غريزته الحمق فطول المدة تؤكده حماقته وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب بالعلم كان عمر رضي الله عنه يقدم ابن عباس وهو حدث السن على اكابر الصحابة ويسأله دونهم وقال ابن عباس ما آتى الله تعالى عبده علما الا شابا والخير كله في الشباب ثم تلا قوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم وقوله انهم فتية آمنوا بربهم وقوله وآتيناه الحكم صبيا وكان انس يقول قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في راسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء فقيل له يا ابا حمزة وقد اسن فقال لم يشنه الله تعالى بالشيب فقيل اوشين هو قال كلكم يكرهه ويقال ان يحيى بن اكثم ولي القضاء وهو ابن احد وعشرين سنة فقال له رجل في مجلسه يريد ان يخجله بصغر سنه كم سن القاضي ابن الله تعالى فقال مثل سن عتاب بن أسيد حيث ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم امارة مكة وقضاها فافحمه وروي عن مالك انه قال قرات في بعض الكتب لا تغرنكم اللحى فان التيس له لحية فقال ابو عمرو بن العلا اذا رايت طويل القامة صغير الهامة عريض اللحية فاقض عليه بالحمق ولو كان امية بن عبد شمس قال ايوب السختياني ادركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع الغلام ويتعلم منه وقال علي بن الحسين من يسبق اليه العلم قبلك فهو امامك فيه وان كان اصغر سنا منك وقيل لابي عمرو بن العلا ايحسن من الشيخ ان يتعلم من الصغير فقال ان كان الجهل يقبح به فالتعلم يحسن به وقال يحيى بن معين لاحمد بن حنبل وقد راه يمشي خلف بغلة الشافعي يا ابا عبد الله تترك حديث سفين بعلوه وتمشي خلف بغلة هذا الفتى وتسمع منه فقال احمد لو عرفت لكنت تمشي من الجانب الاخر ان علم سفين ان فاتني بعلو ادركته بنزول وان علم هذا الشاب ان فاتني لم ادركه بعلو ولا بنزول الرابع نتف بياضها استنكافا من الشيب وقد نهى عليه السلام عن نتف الشيب وقال هو نور المومن وهو في معنى الخضاب بالسواد وعلة الكراهة ما سبق والشيب نور الله تعالى والرغبة عنه رغبة عن النور الخامس نتفها او نتف بعضها بحكم العبث والهوس وذلك مكروه ومشوه للخلقة ونتف الفنيكين بدعة وهما جنبا العنفقة شهد عند عمر بن عبد العزيز رجل كان ينتف فنيكيه فرد شهادته ورد عمر بن الخطاب وابن ابي ليلى قاضي المدينة شهادة من ينتف

ابوداود والترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده

لحيته واما نتفها في اول الشباب تشبيها بالمرد فمن المنكرات الكبائر
فان اللحية زينة للرجال ولله ملائكة يقسمون والذي زين بني ادم
باللحى وهو من تمام الخلق وبها يتميز الرجال عن النساء وقيل في غريب
التاويل اللحية هي المراد بقوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء قال
اصحاب الاحنف وددنا ان نشتري للاحنف لحية بعشرين الفا وقال شريح
القاضي وددت ان لي لحية بعشرة الف وكيف يكره اللحية وفيها تعظيم
الرجل والنظر اليه بعين العلم والوقار والرفع في المجالس واقبال الوجوه
اليه والتقديم على الجماعة ووقاية العرض فان من يشتم يعرض باللحية اذا
كان للمشتوم لحية وقيل ان اهل الجنة مرد الا هارون اخو موسى صلى
الله عليه فان له لحية الى سرته تخصيصا له وتفضيلا السادس
تقصيصها كالعمة طاقة على طاقة للتزين للنساء والتصنع قال
كعب يكون في اخر الزمان اقوام يقصون لحاهم كذنب الحمامة ويعرقفون
نعالهم كالمناجل اولئك لا خلاق لهم السابع الزيادة فيها وهو ان يزيد
في شعر العارضين من الصدغ وهو من شعر الراس حتى يجاوز عظم اللحي وينتهي
الى نصف الخد وذلك يباين هيئة اهل الصلاح الثامن تسريحها لاجل
الناس قال بشر في اللحية شركان تسريحها لاجل الناس وتركها متفتلة
لاظهار الزهد التاسع والعاشر النظر الى سوادها او بياضها بعين

التعجب وذلك مذموم في جميع اجزاء البدن بل في جميع الاخلاق
والافعال على ما سياتي بيانه فهذا ما اردنا ان نذكره من انواع
من انواع التزين والنظافة وقد حصل في ثلاثة احاديث من سنن الجسد
اثني عشر خمس منها في الراس فرق شعر الراس والمضمضة والاستنشاق
والسواك وقص الشارب وثلثة في اليد والرجل وهي القلم وغسل البراجم
وتنظيف الرواجب واربعة في الجسد وهو نتف الابط والاستحداد
والختان والاستنجاء بالماء فقد وردت الاخبار بمجموع ذلك
واذ كان غرض هذا الكتاب التعرض للطهارة الظاهرة دون الباطنة
فلنقتصر على هذا ولنتحقق ان فضلات الباطن واوساخها التي يجب
التنظيف منها اكثر من ان تحصى وسياتي تفصيلها في ربع المهلكات
مع تعريف الطريق في ازالتها وتطهير القلب منها ان شاء الله تعالى

تم كتاب الطهارة
بحمد الله وعونه ومنه وكرمه وصلواته
على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

ويتلوه كتاب اسرار الصلاة وهو الرابع من
كتاب احياء علوم الدين تصنيف الامام حجة الاسلام ابي حامد
الغزالي قدس الله روحه ونور ضريحه امين امين

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر

كتاب اسرار الصلاة

الحمد لله الذي غمر العباد بلطايفه وعمر قلوبهم بانوار الدين
ووظايفه الذي ينزل عن عرش الجلال الى السماء الدنيا من
درجات الرحمة احدى عواطفه وفارق الملوك مع التفرد بالجلال
والكبريا بترغيب الخلق في السؤال والدعا فقال هل من داع
فاستجيب له وهل من مستغفر فاغفر له وباين السلاطين بفتح
الباب ورفع الحجاب فرخص للعباد في المناجاة بالصلوات كيف ما
تقلبت بهم الجماعات والخلوات ولم يقتصر على الرخصة بل تلطف
بالترغيب والدعوة وغيره من ضعفاء الملوك لا يسمح بالخلوة الا
بعد تقديم الهدية والرشوة فسبحانه ما اعظم شانه واقوى
سلطانه واتم لطفه واعم احسانه والصلاة على محمد نبيه المصطفى
ووليه المجتبى وعلى اله واصحابه مفاتيح الهدى ومصابيح الدجى وسلم
تسليما اما بعد فان الصلاة عماد الدين وعصام اليقين وسيدة
القربات وغرة الطاعات وقد استقصينا في فن الفقه في بسيط
المذهب ووسيطه ووجيزه اصولها وفروعها صارفين جمام العناية
الى تفاريعها النادرة ووقايعها الشاذة لتكون خزانة للمفتي منها

الحالات في

نستمد ومعولا له اليه يفزع ويرجع ونحن الان في هذا الكتاب
مقتصرون على ما لا بد للمريد منه من اعمالها الظاهرة واسرارها
الباطنة وكاشفون من دقايق معانيها الخفية في معاني الخشوع
والاخلاص والنية ما لم تجر العادة بذكرها في الفقه مرتبون
للكتاب على سبعة ابواب. الباب الاول في فضايل الصلوات
الباب الثاني في تفضيل الاعمال الظاهرة من الصلاة
الباب الثالث في تفضيل الاعمال الباطنة منها
الباب الرابع في الامامة والقدوة الباب الخامس
في صلاة الجمعة وادابها. الباب السادس في مسايل
متفرقة تعم بها البلوى الباب السابع في التطوعات

الباب الاول في فضايل الصلوات والسجود والجماعة والاذان وغيرها

فضيلة الاذان قال صلى الله عليه وسلم
ثلاثة يوم القيمة على كثيب من مسك اسود لا يهمهم حساب ولا
ينالهم فزع حتى يفرغ مما بين الناس رجل قرا القران ابتغا وجه الله
وام بقوم وهم به راضون ورجل اذن في مسجد ودعا الى الله عز
وجل ابتغا وجه الله ورجل ابتلي بالرزق في الدنيا فلم يشغله ذلك
عن عمل الاخرة وقال صلى الله عليه وسلم لا يسمع صوت

الترمذي وحسنه من حديث ابن عمر مختصرا وهو في الصغير للطبراني بنحو ما ذكره المصنف

مدى

المؤذن جن ولا انس ولا شيء الا شهد له يوم القيمة وقال
صلى الله عليه وسلم يد الرحمن على راس المؤذن حتى يفرغ من
اذانه وقيل قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله نزلت
في المؤذنين وقال صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الندا فقولوا
مثل ما يقول المؤذن وذلك محبوب الا في الحيعلتين فانه
يقول في الاولى لا حول ولا قوة الا بالله وفي الثانية كذلك
وفي قوله قد قامت الصلاة اقامها الله وادامها ما دامت السموت
والارض وفي التثويب صدقت وبررت وعند فراغ المؤذن
يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القايمة ات
محمدا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود
الذي وعدته وقال سعيد بن المسيب من صلى بارض فلاة
صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك فاذا اذن واقام صلى وراه
امثال الجبال من الملايكة **فضيلة المكتوبة** قال الله تعالى
ان الصلاة كانت على المومنين كتابا موقوتا وقال صلى الله عليه
خمس صلوات كتبهن الله عز وجل على العباد فمن جاء بهن لم يضيع منهن
شيا استخفافا بحقهن كان له عهد عند الله ان يدخله الجنة
ومن لم يات بهن فليس له عند الله عهد ان شا عذبه وان شاء

ادخله الجنة وقال صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس
كمثل نهر عذب غمر بباب احدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات
فما ترون ذلك يبقي من درنه قالوا لا شيء قال فان الصلوات
الخمس تذهب بالذنوب كما يذهب الما الدرن وقال ايضا
ان الصلوات كفارات لما بينهن ما اجتنب الكباير وقال
بيننا وبين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما
وقال من لقي الله وهو مضيع للصلاة لم يعبا الله بشيء من حسناته
وقال الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين
وسيل اي الاعمال افضل فقال الصلاة لمواقيتها وقال من حافظ
على الخمس باكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا يوم
القيمة ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان وقال مفتاح
الجنة الصلاة وقال ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد
احب اليه من الصلاة ولو كان شيء احب اليه منه تعبد به ملايكته
فمنهم راكع وساجد وقايم وقاعد وقال من ترك صلاة
متعمدا فقد كفر اي قارب ان ينخلع عن الايمان بانحلال عروته
وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلدة انه بلغها ودخلها وقال
صلى الله عليه وسلم من ترك صلاة متعمدا فقد بري من ذمة محمد

مسلم من حديث ابي هريرة
مسلم من حديث ابي هريرة
مالك من رواية سعيد بن المسيب مرسلا
البيهقي في الشعب باسناد ضعيف من حديث عمر
البزار من حديث ابي الدرداء باسناد فيه مقال

صلى الله عليه وسلم وقال أبو هريرة من توضأ فأحسن وضوءه
ثم خرج عامدًا الى المسجد الصلاة فانه في صلاة ما كان يعمد الى
الصلاة وانه يكتب له باحدى خطوتيه حسنه ويمحى عنه بالاخرى
سيئه فاذا سمع احدكم الاقامة فلا يسع فان اعظمكم اجرا
ابعدكم دارًا قالوا لم يا ابا هريرة قال من اجل كثرة الخطا ويروى
ان اول ما ينظر فيه يوم القيمة من عمل العبد الصلاة فان وجدت
تامة قبلت منه وسائر عمله وان وجدت ناقصه ردت عليه
وسائر عمله وقال صلى الله عليه يا ابا هريرة مر اهلك
بالصلاة فان الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب وقال
بعض العلما مثل المصلي مثل التاجر الذي لا يحصل له الربح حتى يخلص
له راس المال وكذلك المصلي لا يقبل له نافلة حتى يؤدي الفريضه
وكان ابو بكر يقول اذا حضر الصلاة قوموا الى ناركم التي اوقدتموها
فاطفوها **فضيلة** اتمام الاركان قال صلى الله عليه وسلم
مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من اوفى استوفى وقال
يزيد الرقاشي كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مستويه
كانها موزونه وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجلين من
امتي ليقومان الى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وان ما بين

صلاتيهما ما بين السما والارض واشار الى الخشوع وقال
صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله عز وجل يوم القيمة الى العبد
لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده وقال صلى الله عليه
وسلم اما يخاف الذي يحول وجهه في الصلاة ان يحول الله
وجهه وجه حمار وقال ايضا من صلى الصلاة لوقتها فاسبغ
وضوءها واتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضا مسفرة
تقول حفظك الله كما حفظتني ومن صلى لغير وقتها فلم يسبغ
وضوءها ولم يتم ركوعها وسجودها ولا خشوعها عرجت وهي سودا
مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتني حتى اذا كانت حيث شا الله لفت
كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه وقال صلى الله عليه
وسلم اسوأ الناس سرقة من سرق من صلاته وقال ابن مسعود
وسلمان الصلاة مكيال فمن اوفى اوفي له ومن طفف فقد علم
ما قال الله تعالى ويل للمطففين **فضيلة الجماعة** قال صلى الله
عليه وسلم صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجه
روى ابو هريرة انه صلى الله عليه فقد ناسا في بعض الصلوات فقال
لقد هممت ان آمر رجلا يصلي بالناس ثم اخالف الى رجال يتخلفون عنها
فامرهم فيحرقوا عليهم بحزم الحطب بيوتهم ولو علم احدهم انه يجد عظما

احمد من حديث ابي هريرة باسناد صحيح ع

ابن عدي في عوالي مشايخ مصر من حديث جابر يرفعه اذا التفت في صلاته ان يحول الله عز وجل وجهه وجه كلب او وجه خنزير قال منكر بهذا الاسناد وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة اما يخشى الذي يرفع راسه قبل الامام ان يحول الله وجهه وجه حمار ع

متفق من حديث ابن عمر ع

متفق عليه ع

سمينا لمشهدها يعنى صلاة العشا وقال عثمان من شهد العشا
فكانما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكانما قام ليلة وروى
مرفوعا وقال صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة فى جماعة فقد ملى
نحره عبادة وقال سعيد بن المسيب ما اذن مؤذن منذ عشرين سنة
الا وانا فى المسجد وقال محمد بن واسع ما اشتهى من الدنيا الا
ثلثة اخا ان تعوججت قومنى وقوتا من الرزق عفوا بغير تبعة وصلاة
فى جماعة يرفع عنى سهوها ويكتب لى فضلها وروى ان ابا عبيدة
ابن الجراح ام قوما فلما انصرف قال ما زال الشيطان بى انفا حتى
رايت ان لى فضلا على غيرى لا ام ابدا وقال الحسن لا تصلوا خلف
رجل لا يختلف الى العلماء وقال النخعى مثل الذى يؤم بالناس بغير علم
كمثل الذى يكيل الماء فى البحر لا يدرى زيادته من نقصانه وقال حاتم
الاصم فاتتنى جماعة فعزانى ابو اسحاق البخارى وحده ولو مات لى ولد
لعزانى اكثر من عشرة الاف لان مصيبة الدين اهون عند الناس
من مصيبة الدنيا وقال ابن عباس من سمع المنادى ثم لم يجب لم
يرد خيرا ولم يرد به وقال ابو هريرة لان يملا اذن ابن ادم رصاصا
مذابا خير له من ان يسمع النداء ثم لا يجيبه ويروى ان ميمون بن مهران
اتى المسجد فقيل له ان الناس قد انصرفوا فقال انا لله لفضل هذه الصلاة

احب الى من ولاية العراق وقال صلى الله عليه وسلم من صلى
اربعين يوما الصلوات فى جماعة لا يفوته منها تكبيرة الاحرام كتب
له براءتان براءة من النفاق وبراءة من النار ويقال انه اذا كان يوم
القيمة يحشر قوم وجوههم كالكوكب الدرى فتقول لهم الملائكة ما
اعمالكم فيقولون كنا اذا سمعنا الاذان قمنا الى الطهارة لا يشغلنا
غيرها ثم تحشر طايفة وجوههم كالاقمار فيقولون بعد السؤال كنا
نسمع الاذان فى المسجد وروى ان السلف كانوا يعزون انفسهم ثلثة
ايام اذا فاتتهم التكبيرة الاولى ويعزون سبعا اذا فاتتهم الجمعة

فضيلة السجود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقرب
العبد الى الله عز وجل بشى افضل من سجود خفى وقال ما من مسلم
يسجد لله سجدة الا رفعه الله بها درجة وحط بها عنه خطيئة
وروى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله ان يرزقنى
مرافقتك فى الجنة وان يجعلنى من اهل شفاعتك قال اعنى بكثرة السجود
وقيل ان اقرب ما يكون العبد الى الله عز وجل ان يكون ساجدا وهو معنى
قوله تعالى واسجد واقترب وقال عز وجل سيماهم فى وجوههم
من اثر السجود فقيل هو ما يلتصق بوجوههم من الارض عند السجود
وقيل هو نور الخشوع فانه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الاصح

ابن ماجه من حديث عبادة باسناد صحيح ومسلم نحوه من حديث ثوبان وابى الدرداء

مسلم من حديث ابى هريرة

وقيل هي الغرر التي تكون في وجوههم يوم القيامة من اثر الوضو وقال صلى الله عليه وسلم اذا قرا ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي وقال يا ويلاه امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وروى ان عمر بن عبد العزيز كان لا يسجد الا على التراب وكان يوسف بن اسباط يقول يا معشر الشباب بادروا الى الصحة قبل المرض فما بقي احد احسده الا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بيني وبين ذلك وقال سعيد بن جبير ما اسى على شي من الدنيا الا على السجود وقال عقبة بن مسلم ما من خصلة في العبد احب الى الله من رجل يحب لقا الله وما من ساعة العبد فيها اقرب الى الله منه حيث يخر ساجدا وقال ابو هريرة اقرب ما يكون العبد الى الله اذا سجد فاكثروا الدعا عند ذلك

فضيلة الخشوع قال الله تعالى واقم الصلاة لذكري وقال ولا تكن من الغافلين وقال تعالى ولا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون قيل سكارى من كثرة الهموم وقيل من حب الدنيا وهب ان المراد به ظاهره ففيه تنبيه على سكر الدنيا اذ بين فيه العلة فقال حتى تعلموا ما تقولون وكم من مصل لم يشرب الخمر وهو لا يعلم ما يقول في صلاته وقال النبي صلى الله عليه وسلم

من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشي من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه وقال صلى الله عليه وسلم انما الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتباس وتنادم وترفع يديك فتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهي خداج وروى عن الله سبحانه في الكتب السالفة انه قال ليس كل مصل اتقبل صلاته انما اتقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتكبر علي واطعم الفقير الجايع لوجهي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما فرضت الصلاة وامر بالحج والطواف واشعرت المناسك لاقامة ذكر الله فاذا لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك وقال صلى الله عليه وسلم واذا صليت صلاة فصل صلاة مودع اي مودع لنفسه مودع لهواه مودع لعمره سايرا الى مولاه كما قال تعالى يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه وقال واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشا والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا والصلاة مناجاة فكيف تكون مع الغفلة وقال بكر بن عبد الله يا ابن آدم اذا شئت ان تدخل على مولاك بغير اذن دخلت فقيل كيف ذلك قال تسبغ وضوك وتدخل محرابك فاذا انت قد دخلت على مولاك

ابو داود والترمذي من حديث عايشة نحوه دون ذكر الصلاة قال الترمذي حسن صحيح

بغير اذن وكلمه بغير ترجمان وعن عائشة قالت كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة
فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالا بعظمة الله وقال صلى الله عليه
لا ينظر الله الى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه وكان ابرهيم
الخليل صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة سمع وجيب قلبه على
ميلين وكان سعيد التنوخي اذا صلى لم تنقطع الدموع من خديه على
لحيته ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته في
الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه وروي ان الحسن
نظر الى رجل يعبث بالحصا ويقول اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب
انت تخطب الحور العين وانت تعبث بالحصا وقيل لخلف بن ايوب الا يوذيك
الذباب في الصلاة فتطردها فقال لا اعود نفسي شيا يفسد علي
صلاتي قيل له وكيف تصبر على ذلك قال بلغني ان الفساق يصبرون
تحت اسواط السلاطين ليقال فلان صبور ويفتخرون بذلك فانا
قايم بين يدي ربي افاتحرك لذبابة وروي عن مسلم بن يسار انه كان
اذا اراد الصلاة قال لاهله تحدثوا انتم فاني لست اسمعكم وروي
عنه انه كان يصلي يوما في جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد
فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلاة وكان علي ابي

طالب اذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون فقيل ما لك يا
امير المومنين فيقول جاء وقت امانة عرضها الله على السموات والارض والجبال
فابين ان يحملنها واشفقن منها ويروى عن علي بن الحسين انه كان اذا
توضا اصفر لونه فيقول له اهله ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء
فيقول اتدرون بين يدي من اريد اقوم وروي عن ابن عباس انه قال
قال داود عليه السلام الهي من يسكن بيتك وممن تقبل الصلاة
فاوحى الله تعالى يا داود انما يسكن بيتي واقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي
وقطع نهاره بذكري وكف نفسه عن الشهوات من اجلي يطعم الجايع
ويأوي الغريب ويرحم المصاب فذلك الذي يضيء نوره في السماء كالشمس
ان دعاني لبيته وان سالني اعطيته اجعل له في الجهل حلما وفي الغفلة ذكرا
وفي الظلمة نورا وانما مثله في الناس كالفردوس في الجنان لا تيبس انهارها
ولا تتغير ثمارها وروي عن حاتم الاصم انه سيل عن صلاته فقال اذا
جاءت الصلاة اسبغت الوضوء واتيت الموضع الذي اريد الصلاة فيه
حتى تجتمع جوارحي ثم اقوم الى الصلاة فاجعل الكعبة بين حاجبي والصراط
تحت قدمي والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك الموت وراي
واظنها اخر صلاتي ثم اقوم بين الرجا والخوف واكبر تكبيرا بتحقيق
واقرا قراءة بترتيل واركع ركوعا بتواضع واسجد سجودا بتخشع واقعد

على الورك اليسرى وافرش ظهر قدمها وانصب القدم اليمنى على
الابهام واتبعها الاخلاص ثم لا ادرى اقبلت منى ام لا وقال ابن عباس
ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه

فضيلة

المسجد وموضع الصلاة قال الله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله
واليوم الآخر وقال النبي صلى الله عليه وسلم من بنى لله مسجدا ولو مثل مفحص
قطاة بنى الله له قصرا في الجنة وقال من الف المسجد الفه الله عز
وجل وقال اذا دخل احدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس وقال
لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد وقال الملائكة تصلى على احدكم
ما دام في مصلاه الذي يصلي فيه اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث
او يخرج من المسجد وقال عليه السلام يأتي في آخر الزمان ناس من
امتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا
لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وقال قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي
المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في
بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وقال اذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد
فاشهدوا له بالايمان وقال سعيد بن المسيب من جلس في المسجد فانما
يجالس ربه فما حقه ان يقول الا خيرا وروى في الاثر او في الخبر ان
الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال

الدارقطني من حديث جابر وأبي هريرة بإسنادين ضعيفين والحاكم من حديث أبي هريرة

متفق عليه من حديث أبي هريرة

أبو نعيم من حديث أبي سعيد بسند ضعيف

الترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد

وقال النخعي كانوا يرون ان المشي في الليلة المظلمة موجب
الى الجنة وقال انس بن مالك من اسرج في مسجد سراجا لم تزل
الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوء
وقال علي بن ابي طالب اذا مات العبد يبكي عليه مصلاه من الارض ومصعد
عمله من السماء ثم قرأ فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين
وقال ابن عباس تبكي عليه الارض اربعين صباحا وقال عطاء الخراساني
ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الارض الا شهدت بها له يوم
القيمة وتبكي عليه يوم يموت وقال انس بن مالك ما من بقعة يذكر
الله عز وجل عليها بصلاة او ذكر الا افتخرت على ما حولها من البقاع
واستبشرت بذكر الله عز وجل الى منتهاها من سبع ارضين وما من
عبد يقوم يصلي الا تزخرفت له الارض ويقال ما من منزل ينزله قوم الا
اصبح ذلك المنزل يصلي عليهم او يلعنهم

الباب الثاني

في كيفية الاعمال الظاهرة من الصلاة والبداية بالتكبير وما قبله
ينبغي للمصلي اذا فرغ من الوضوء وطهارة الخبث في البدن والثياب
والمكان ومن ستر العورة من السرة الى الركبة ان ينتصب قائما متوجها
الى القبلة ويراوح بين قدميه ولا يضمهما فان ذلك مما كان يستدل به
على فقه الرجل وقد نهى عليه السلام عن الصفن والصفد في الصلوة والصفد

هو اقتران القدمين معا ومنه قوله تعالى مقرنين في الاصفاد
والصفن هو رفع احدى الرجلين ومنه قوله تعالى الصافنات الجياد
هذا ما يراعى في رجليه عند القيام ويراعى في ركبتيه ومعقد نطاقه
الانتصاب واما راسه فان شاء تركه على استواء القيام وان شاء
اطرق والاطراق اقرب الى الخشوع واغض للبصر وليكن بصره محصورا
على مصلاه الذي يصلي عليه فان لم يكن مصلا فليقرب من جدار او ليخط
خطا فان ذلك يقصر مسافة البصر ويمنع تفرق الفكر وليحجر على
بصره ان يجاوز اطراف المصلى وحدود الخط وليدم هذا القيام كذلك
الى الركوع من غير التفات هذا ادب القيام فاذا استوى قيامه
واستقباله واطراقه كذلك فليقرا قل اعوذ برب الناس وقل
اعوذ برب الفلق تحصنا به من الشيطان ثم لياتي بالاقامة وان كان
يرجو حضور من يقتدي به فليؤذن اولا ثم ليحضر النية وهو ان ينوي
في الظهر مثلا ويقول بقلبه اودي فريضة الظهر لله ليميزها بقوله
اودي عن القضا وبالفريضة عن النفل وبالظهر عن العصر وغيره وليكن
معاني هذه الالفاظ حاضرة في قلبه فانه النية والالفاظ مذكرات
واسباب لحضورها ويجتهد ان يستديم ذلك الى اخر التكبير حتى لا يعزب
فاذا حضر ذلك في قلبه فليرفع يديه الى حذو منكبيه بعد ارسالهما

بحيث يحاذي بكفيه منكبيه وبابهاميه شحمة اذنيه وبرؤوس اصابعه
رؤوس اذنيه ليكون جامعا بين الاخبار الواردة فيه ويكون مقبلا
بكفيه الى القبلة ويبسط الاصابع ولا يقبضها ولا يتكلف فيها
تفريجا ولا ضما بل يتركها على مقتضى طبعها اذ نقل في الاثر النشر
والضم وهذا بينهما فهو اولى واذا استقرت اليدان في مقرهما ابتدا
التكبير مع ارسالهما واحضار النية ثم يضع اليدين على ما فوق السرة
وتحت الصدر ويضع اليمنى على اليسرى اكراما لليمنى بان تكون
محمولة وينشر المسبحة والوسطى من اليمنى على طول الساعد ويقبض
بالخنصر والبنصر على كوع اليسرى وقد روي التكبير مع رفع اليد
ومع استقرارهما ومع الارسال وكل ذلك لا حرج فيه واراه بالارسال
اليق فانه كلمة العقد ووضع احدى اليدين على الاخرى في صورة
العقد ومبداه الارسال واخره الوضع ومبدا التكبير الالف واخره
الراء فليتوفر مراعاة التطابق بين الفعل والعقد واما رفع اليد
فكالمقدمة لهذه البداية ثم لا ينبغي ان يرفع يديه الى قدام رفعا عند
الفراغ عن التكبير ولا يردهما الى خلف منكبيه ولا ينفضهما عن يمين
وشمال نفضا اذا فرغ من التكبير ويرسلهما ارسالا خفيفا رفيقا
ويستانف وضع اليمين على الشمال بعد الارسال وفي بعض الروايات

انه عليه السلام كان اذا كبر ارسل يديه فاذا اراد ان يقرا
وضع اليمين على اليسرى وان صح هذا فهو اولى مما ذكرناه واما
التكبير فينبغي ان يضم الها من الله ضمة خفيفة من غير مبالغة
ولا يدخل بين الها والالف شبه الواو وذلك ينساق اليه بالمبالغة
ولا يدخل بين با اكبر وراية الفا كانه يقول اكبار ويجزم را التكبير
ولا يضمه فهذه هيئة التكبير وما معه القراة ثم يبتدي بدعا
الاستفتاح ويحسن ان يقول عقيب قوله الله اكبر كبيرا والحمد
لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا وجهت وجهي للذي الى قوله وانا
من المسلمين ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى
جدك ولا اله غيرك ليكون جامعا بين متفرقات ما ورد في الاخبار
وان كان خلف الامام اختصر ان لم يكن للامام سكتة طويلة يقرا
فيها الفاتحة ثم يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرا الفاتحة
بتمام تشديداتها وحروفها ويجتهد في الفرق بين الضاد والظا ويقول
امين في اخر الفاتحة ويمدها مدا ولا يصل امين بقوله ولا الضالين
وصلا ويجهر بالقراة في الصبح والمغرب والعشا الا ان يكون ماموما
ويجهر بالتامين ثم يقرا السورة ان قدر او ثلث ايات من القران فما فوقها
ولا يصل اخر السورة بتكبير الهوي بل يفصل بينهما بقدر قوله سبحان

الله ويقرا في الصبح من السور الطوال من المفصل وفي المغرب قصاره وفي
الظهر والعصر والعشا نحو والسما ذات البروج وما قاربها وفي
الصبح في السفر قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد وكذلك
في ركعتي الفجر والطواف والتحية وهو في جميع ذلك مستديم
للقيام ووضع اليدين كما وصفناه في اول الصلاة **الركوع**
ولواحقه ثم يركع ويراعي فيه امورا وهو ان يكبر للركوع وان يرفع
يديه مع تكبيرة الركوع وان يمد التكبير مدا الى الانتها الى الركوع
وان يضع راحتيه على ركبتيه في الركوع واصابعه منشورة متوجهة
نحو القبلة على طول الساق وان ينصب ركبتيه ولا يثنيهما وان يمد
ظهره مستويا وان يكون عنقه وراسه مع ظهره كالصفيحة الواحدة
لا يكون راسه اخفض ولا ارفع وان يجافي مرفقيه عن جنبيه وتضم
المراة مرفقيها الى جنبيها وان يقول سبحان ربي العظيم ثلثا والزيادة الى
السبعة والى العشرة حسن ان لم يكن اماما ثم يرتفع من الركوع الى
القيام ويرفع يديه ويقول سمع الله لمن حمده ويطمين في الاعتدال
ويقول ربنا لك الحمد ملء السموات والارض وملء ما شئت من شيء بعد
ولا يطول هذا القيام الا في صلاة التسبيح ويقنت في الصبح في الركعة
الثانية بالكلمات الماثورة **السجود** ثم يهوي الى السجود مكبرا

فيضع ركبتيه على الارض ويضع جبهته وكفيه مكشوفة ويكبر
عند الهوى ولا يرفع يديه مع غير الركوع وينبغي ان يكون اول ما
يقع منه على الارض ركبتاه وان يضع بعدهما يديه ثم يضع بعدهما
وجهه وان يضع انفه على الارض وان يجافي مرفقه عن جنبيه ولا
تفعل المرأة ذلك وان يفرج بين رجليه وان لا تفعل المرأة ذلك
وان يكون مخويا ولا يكون المرأة مخوية والتخوية رفع البطن عن الفخذين
والتفرج بين الفخذين وان يضع يديه على الارض حذو منكبيه وان
لا يفرج اصابعهما بل يضمهما ويضم الابهام اليها وان لم يضم الابهام
فلا باس ولا يفرش ذراعيه على الارض كما يفرش الكلب فانه منهى عنه
وان يقول سبحان ربي الاعلى ثلثا وان زاد فحسن الا ان يكون اماما
ثم يرفع راسه من السجود فيطمئن جالسا معتدلا ويرفع راسه
مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى ويضع يديه
على فخذيه والاصابع منشورة ولا يتكلف ضمها ولا تفريجها ويقول
رب اغفر لي وارحمني واهدني واجبرني وعافني واعف عني ولا يطول
هذه الجلسة الا في سجود التسبيح ويأتي بالسجدة الثانية كذلك
ويستوي منها جالسا جلسة خفيفة للاستراحة في كل ركعة لا
يتشهد عقبها ثم يقوم فيضع اليد على الارض ولا يقدم احدى رجليه

في حالة الارتفاع ويمد التكبير حتى يستغرق ما بين وسط ارتفا
الى القعود الى وسط ارتفاعه الى القيام بحيث يكون هاء الله عند
استوائه جالسا وكاف اكبر عند اعتماده على اليد للقيام وراء
اكبر في وسط ارتفاعه الى القيام ويبتدئ في وسط ارتفاعه الى
القعود حتى يقع التكبير في وسط انتقاله ولا يخلو عنه الا طرفاه
فهو اقرب الى التعميم ويصلي الركعة الثانية كالاولى ويعيد التعوذ
في الابتداء **التشهد** ثم يتشهد في الركعة الثانية التشهد
الاول ثم يصلي على رسول الله وعلى آله ويضع يده اليمنى على فخذه
اليمنى ويقبض اصابعه اليمنى الا المسبحة ولا باس بارسال الابهام
ايضا ويشير بمسبحته يمناه وحدها عند قوله الا الله لا عند قوله لا
اله ويجلس في هذا التشهد على رجله اليسرى كما بين السجودين وفي
التشهد الاخير يستكمل الدعاء المأثور بعد الصلاة على الآل
وسننه كسنن التشهد الاول لكن يجلس في الاخير على وركه الايسر
مستوفزا للقيام بل هو مستقر ويضجع رجله اليسرى خارجة من
تحته وينصب اليمنى ويخرج راس الابهام الى جهة القبلة ان لم يشق عليه
ثم يقول السلام عليكم ورحمة الله ويلتفت يمينا بحيث يرى خده
الايمن من وراءه من جانب اليمين ويلتفت شمالا كذلك ويسلم تسليمة

ثانيه وينوي الخروج بالسلام من الصلاه وينوي السلام على من على
يمينه من الملايكة والمسلمين في الاولى وينوي مثل ذلك في الثانيه
ويحذف السلام فلا يمده مدا فهو السنه هذه هيئة صلاه
المنفرد **المنهيات** نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلوه
عن الصفن والصفد وقد ذكرناهما وعن الاقعاء وعن السدل
والكف وعن الاختصار وعن الصلب وعن المواصله وعن صلاة
الحاقن والحاقب والحازق وعن صلاة الجايع والمقطب والغضبان
والملثم وهو ستر الوجه اما الاقعاء فهو عند اهل اللغه ان يجلس
على وركيه وينصب ركبتيه وعند اهل الحديث ان يجلس على ساقيه جاثيا
وليس على الارض الا رؤس اصابع الرجلين والركبتين واما السدل
فمذهب اهل الحديث فيه ان يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع
ويسجد كذلك وكان هذا فعل اليهود في صلاتهم فنهوا عن التشبه بهم
والقميص في معناه فلا ينبغي ان يركع ويسجد ويداه في بدن القميص
وقيل معناه ان يضع وسط الازار على راسه ويرسل طرفيه عن يمينه
وشماله من غير ان يجعلهما على كتفيه والاول اقرب واما الكف فهو
ان يرفع ثيابه من بين يديه او من خلفه اذا اراد السجود وقد يكون الكف
في شعر الراس فلا يصلين وهو عاقص شعره والنهي للرجال وفي الحديث

امرنا النبي صلى الله عليه وسلم ان نسجد على سبعة اعظم ولا نكفت شعرا ولا ثوبا

امرت ان اسجد على سبعة اعضا ولا اكف شعرا ولا ثوبا وكره
احمد بن حنبل ان ياتزر فوق القميص في الصلاة وراه من الكف
واما الاختصار فان يضع يديه على خاصرتيه واما الصلب بان
يضع يديه على خاصرتيه ويجافي بين عضديه في القيام واما المواصله
فهي خمسه اثنتان على الامام ان لا يصل قرآته بتكبيرة الاحرام
ولا ركوعه بقراته واثنتان على الماموم الا يصل تكبيرة الاحرام
بتكبيرة الامام ولا تسليمه بتسليمه وواحده بينهما ان لا يصل تسليم
الفرض بالتسليمة الثانيه وليفصل بينهما واما الحاقن فمن البول
والحاقب من الغايط والحازق صاحب الخف الضيق فان كل ذلك
يمنع الخشوع وفي معناه الجايع والمهتم وفهم نهي الجايع من قوله
صلى الله عليه وسلم اذا حضر العشا واقيمت الصلاه فابدوا بالعشا
الا ان يضيق الوقت او يكون ساكن القلب وفي الخبر لا يدخل احدكم
الصلاه وهو مقطب ولا يصلين احدكم وهو غضبان وقال
الحسن كل صلاه لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبه اسرع وفي
الخبر سبعة اشيا في الصلاه من الشيطان الرعاف والوسوسه
والنعاس والتثاوب والحكاك والالتفات والعبث بالشي وزاد
بعضهم السهو والشك وقال بعض السلف اربعة في الصلاه من

للخفا الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحصا وان يصلي بطريق
من يمر بين يديك ونهى ايضاً عن ان يشبك اصابعه او يفرقع اصابعه
او يستر وجهه او يضع احدى كفيه على الاخرى ويدخلها بين فخذيه
في الركوع وقال بعض الصحابة كنا نفعل ذلك فنهينا عنه ويكره
ايضاً ان ينفخ في الارض عند السجود للتطهير وان يسوي الحصا
بيده فانها افعال مستغنى عنها ولا يرفع احدى قدميه فيضعها على
فخذه ولا يستند في قيامه الى حايط فان استند بحيث لو سل
سقط فالاظهر بطلان صلاته **تمييز الفرايض والسنن** جملة ما
ذكرناه اشتملت على السنن والهيات والاداب التي ينبغي ان يراعي مريد
طريق الاخرة جميعها والفرض من جملتها اثنى عشر النية وقوله الله اكبر
والقيام والفاتحة والانحنا في الركوع الى ان تنال راحتاه ركبتيه مع
الطمانينة والاعتدال عنه قايماً والسجود مع الطمانينة ولا يجب وضع
اليدين والاعتدال عنه قاعداً والجلوس للتشهد الاخير والتشهد الاخير
والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلام الاول فاما
نية الخروج فلا يجب وما عداها فليس بواجب بل هي سنن وهيات
فيها وفي الفرايض اما السنن فمن الافعال اربعة رفع اليدين في تكبيرة
الاحرام وعند الهوي الى الركوع وعند الارتفاع والجلسة للتشهد الاول

واما ما ذكرناه من كيفية نشر الاصابع وحد رفعها فهي هيات
تابعة لهذه السنة والتورك والافتراش هيات تابعة للجلسة والاطراق
وترك الالتفات هيات القيام وتحسين صورته وجلسة الاستراحة
لم نعدها من اصول السنن في الافعال لانها كالتحسين لهيئة الارتفاع
من السجود الى القيام لانها ليست مقصودة في نفسها ولذلك لم يفرد
بذكر فاما السنن من الاذكار فدعا الاستفتاح ثم التعوذ ثم قوله آمين
فانه سنة مذكورة مولده ثم قراة السورة ثم تكبيرات الانتقالات
ثم الذكر في الركوع والسجود والاعتدال عنهما ثم التشهد الاول والصلاة
على النبي فيه وعلى اله ثم الدعا في اخر التشهد الاخير ثم التسليمة الثانية
وهذه ان جمعناها في اسم السنة فلها درجات متفاوتة اذ تجبر من
جملتها بسجود السهو اربعة اما من الافعال فواحد وهو الجلسة الاولى
للتشهد الاول فانها موثرة في ترتيب نظم الصلاة في اعين الناظرين حتى
تعرف انها رباعية ام لا بخلاف رفع اليدين فانه لا يوثر في تغيير
النظم فعبر عن ذلك بالبعض وقيل الابعاض تجبر بالسجود واما الاذكار
فكلها لا تقتضي سجود السهو الا ثلثة القنوت والتشهد الاول والصلاة
على رسول الله فيه بخلاف تكبيرات الانتقالات واذكار الركوع والسجود
والاعتدال عنهما لان الركوع والسجود في صورتهما مخالف للعادة ويحصل

بهما معنى العاده مع السكوت عن الاذكار وعن تكبيرات الانتقالا
تعدم تلك الاذكار لا تغير صوره العاده واما الجلسة للتشهد
الاول فعل معتاد وما اريد الا للتشهد فتركه ظاهر التاثير واما دعا (فهو)
الاستفتاح والسوره فتركهما لا يوثر مع ان القيام صار مغمورا
بالفاتحه ومميزا عن العاده بها وكذلك الدعا في التشهد الاخير والقنو
ابعد ما يجبر بالسجود ولكنه شرع مد الاعتدال في الصبح لاجله فكان
كمد جلسة الاستراحه اذ صار بالدعا للتشهد جلسة للتشهد الاول فبقي
هذا قياما ممدودا معتادا ليشرع فيه واجب وفي المد احتراز عن غير (ذكر)
الصبح وفي خلوه عن ذكر واجب احتراز عن اصل القيام في الصلوه فان قلت
تميز السنن عن الفرايض معقول اذ تفوت الصحه بفوت الفرض دون السنة
ويتوجه العقاب بها دونها فاما تمييز سنه عن سنه والكل مامور
على سبيل الاستحباب ولا عقاب في ترك الكل والثواب مرجو على الكل
ما معناه فاعلم ان اشتراكها في الثواب والعقاب والاستحباب لا يرفع
تفاوتها وينكشف لك ذلك بمثال وهو ان الانسان لا يكون انسانا موجو (دا)
كاملا الا بمعنى باطن واعضا ظاهره فالمعنى الباطن هو الحياه والروح والظاهر
اجسام اعضايه ثم بعض تلك الاعضا ينعدم الانسان بعدمها كالقلب
والكبد والدماغ وكل عضو تفوت الحياه بفواته وبعضها لا تفوت بها

الحياه ولكن يفوت بها مقاصد الحيوه كالعين واليد والرجل
واللسان وبعضها لا تفوت بها الحياه ولا مقاصدها ولكن تفوت
بها الحسن كالحاجبين واللحية والاهداب وحسن اللون وبعضها لا
تفوت بها اصل الجمال ولكن كماله كاستقواس الحاجبين وسواد
شعر اللحيه وتناسب خلقه الاعضا وامتزاج الحمره بالبياض في اللون
فهذه درجات متفاوته فكذلك العباده صوره صورها الشرع
وتعبدنا باكتسابها فروحها وحياتها الباطن الخشوع والنية
وحضور القلب والاخلاص كما سياتي ونحن الان في اجزايها الظاهره
كالركوع والسجود والقيام وسائر الاركان تجري منها مجرى القلب والراس
والكبد اذ يفوت وجود الصلاه بفواتها والسنن التي ذكرناها من
رفع اليدين ودعا الاستفتاح والتشهد الاول تجري منها مجرى
اليدين والعينين والرجلين لا تفوت الصحه بفواتها كما لا تفوت الحيوه
بفوات هذه الاعضا ولكن يصير الشخص بسببه مشوه الخلقه
مذموما غير مرغوب فيه فكذلك من اقتصر على اقل ما يجزي من الصلاه
كان كمن اهدى الى ملك من الملوك عبدا حيا مقطوع الاطراف واما
الهيات وهي ما ورا السنن فتجري مجرى اسباب الحسن من الحاجبين
واللحيه والاهداب وحسن اللون واما الطايف الاداب في تلك السنن

فهي مكملات للحسن كتقوس الحاجبين واستدارة اللحية وغيرها فالصلاة عندك قربة وتحفة تتقرب بها الى حضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب القربة من السلاطين اليهم وهذه التحفة تعرض على الله ثم ترد عليك في يوم العرض فاليك الخيرة في تحسين صورتها او تقبيحها فان احسنت فلنفسك وان اسأت فعليها ولا ينبغي ان يكون حظك من ممارسة الفقه ان تتميز لك السنة عن الفرض فلا يعلق بفهمك من اوصاف السنة الا انه يجوز تركها فتتركها فان ذلك يضاهي قول الطبيب ان فقء العينين لا يبطل وجود الانسان ولكن يخرجه عن ان يصدق رجاء المتقرب في قبول السلطان اذا اخرجه في معرض الهدية فهكذا ينبغي ان تفهم مراتب السنن والهيئات والآداب فكل صلاة لم يتم الانسان ركوعها وسجودها فهي الخصم الاول على صاحبها تقول ضيعك الله كما ضيعتني فطالع الاخبار التي اوردنا[ها] في اكمال اذكار الصلاة ليظهر لك وقعها ٥

الباب الثالث في الشروط الباطنة من اعمال القلب

ولنذكر في هذا الباب ارتباط الصلاة بالخشوع وحضور القلب ثم لنذكر المعاني الباطنة وحدودها واسبابها وعلاجها ثم لنذكر تفصيل ما ينبغي ان يحضر في كل ركن من اركان الصلاة لتكون صالحة

لزاد الآخرة **بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب** اعلم ان ادلة ذلك كثيرة فمن ذلك قوله تعالى اقم الصلاة لذكري وظاهر الامر للوجوب والغفلة تضاد الذكر فمن غفل في جميع صلواته كيف يكون مقيما للصلاة لذكره وقوله ولا تكن من الغافلين نهي وظاهره التحريم وقوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون تعليل لنهي السكران وهو مطرد في الغافل المستغرق الهم بالوسواس وافكار الدنيا وقوله صلى الله عليه وسلم انما الصلاة تمسكن وتواضع حصر بالالف واللام وكلمة انما للتحقيق وقد فهم الفقهاء من قوله انما الشفعة فيما لم يقسم الحصر والاثبات والنفي وقوله صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا وصلاة الغافل لا تمنع من الفحشاء وقال صلى الله عليه وسلم كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب ٣ وما اراد به الا الغافل وقال ايضا ليس للعبد من صلاته الا ما عقل والتحقيق فيه ان المصلي مناج ربه كما ورد الخبر به والصلاة مع الغفلة ليست مناجاة البتة وبيانه ان الزكاة ان غفل الانسان عنها مثلا فهي في نفسها مخالفة للشهوة شديدة على النفس وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر لسطوة الهوى الذي هو آلة الشيطان عدو الله فلا يبعد ان يحصل

[هامش: ٣ النسائي وابن ماجه من حديث ابي هريرة رب قائم ليس له من قيامه الا السهر ولابن ماجه رب قائم حظه من قيامه السهر واسناده حسن ع]

[هامش: ٢ متفق عليه من حديث انس ع]

[هامش: لم اجده مرفوعا وروى محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة من رواية عثمان بن ابي دهرش مرسلا لا يقبل الله من عبد عملا حتى يشهد قلبه مع بدنه ورواه ابو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابي بن كعب ولابن المبارك في الزهد موقوفا على عمار لا يكتب للرجل من صلاته ما سهى عنه ع]

منهما مقصود مع الغفلة وكذلك الحج افعال شديدة شاقة
وفيه من المجاهدة ما يحصل به الابتلا كان القلب حاضرا مع افعاله
او لم يكن اما الصلاة فليس فيها الا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام
وقعود اما الذكر فانه مجاورة ومناجاة مع الله تعالى فاما ان يكون
المقصود منه كونه خطابا ومحاورة او المقصود الحروف والاصوات
امتحانا للسان بالعمل كما تمتحن المعدة والفرج بالامساك في الصوم
وكما يمتحن البدن بمشاق الحج ويمتحن القلب بمشقة اخراج الزكاة
واقتطاع المال المعشوق ولا يشك في ان هذا القسم باطل فان
تحريك اللسان بالهذيان ما اخفه على الغافل فليس فيه امتحان
من حيث انه عمل بل المقصود الحروف من حيث انه نطق ولا يكون
نطقا الا اذا اعرب عما في الضمير ولا يكون معربا الا بحضور
القلب فاي سؤال في قوله اهدنا الصراط المستقيم اذا كان
القلب غافلا واذا لم يقصد كونه تضرعا ودعا فاي مشقة في تحريك
اللسان به في الغفلة لا سيما بعد الاعتياد هذا حكم الاذكار
بل اقول لو حلف الانسان فقال لاشكرن فلانا واثني عليه
واسأله حاجة ثم جرت الالفاظ الدالة على هذه المعاني على
لسانه في النوم لم يبر في يمينه ولو جرى على لسانه في ظلمة وذلك
الانسان

الانسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير بارا في
يمينه اذ لا يكون كلامه خطابا ونطقا معه ما لم يكن هو
حاضرا في قلبه فلو كان تجري هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر
الا انه في بياض النهار غافل لكونه مستغرق الهم بفكر من الافكار
ولم يكن له قصد توجيه الخطاب عليه عند نطقه لم يصر بارا
في يمينه ولا شك في ان المقصود من القراءة والاذكار الحمد
والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله وقلبه بحجاب الغفلة
محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب
ولسانه يتحرك بحكم العادة فما ابعد هذا عن المقصود بالصلوة التي
شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله ورسوخ عقد الايمان به (بها)
هذا حكم القراءة والذكر وبالجملة فهذه الخاصية لا سبيل الى
انكارها في النطق وتمييزه عن الفعل واما الركوع والسجود فالمقصود
التعظيم بهما قطعا ولو جاز ان يكون معظما لله بفعله وهو غافل
عنه لجاز ان يكون معظما لصنم موضوع بين يديه وهو غافل عنه او
يكون معظما للحائط الذي بين يديه وهو غافل واذا خرج عن كونه
تعظيما لم يبق الا مجرد حركة الظهر والراس وليس فيه من المشقة ما
يقصد الامتحان به ثم يجعل عماد الدين والفاصل بين الكفر والاسلام

ويتقدم على الحج وسائر العبادات وتجب القتل بسبب تركه على الخصوص صح فلا ارى
ان هذه العظمة كلها للصلاة من حيث اعمالها الظاهرة الا ان يضاف
اليها مقصود المناجاة فان ذلك يتقدم على الصوم والزكاة
والحج وغيره بل الضحايا والقرابين التي هي مجاهدة النفس بتنقيص المال
قال الله تعالى فيه لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله
التقوى منكم اي الصفة التي استولت على القلب حتى حملت على
امتثال الاوامر هي المطلوبة فكيف الامر في الصلاة ولا ارب في افعالها
فهذا ما يدل من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب فان قلت
ان حكمت ببطلان الصلاة وجعلت حضور القلب شرطا في صحتها خالفت فيه
اجماع الفقهاء فانهم لم يشترطوا الا حضور القلب عند التكبير فاعلم انه قد
تقدم في كتاب العلم ان الفقهاء لا يتصرفون في الباطن ولا يشقون
عن القلوب ولا في طريق الاخرة بل يبنون ظاهر احكام الدنيا على ظاهر
اعمال الجوارح فظاهر الاعمال كاف لسقوط القتل او تعزير السلطان
فاما انه ينفع في الاخرة فليس هذا من حدود الفقه على انه لا يمكن
ان يدعي الاجماع فقد نقل بشر بن الحرث فيما رواه عنه ابو طالب
المكي عن سفين الثوري انه قال من لم يخشع فسدت صلاته وروي
عن الحسن انه قال كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة

اسرع وعن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه وشماله متعمدا
وهو في الصلاة فلا صلاة له وروي ايضا مسندا وقال عليه السلم
ان العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وانما يكتب
للعبد من صلاته ما عقل منها وهذا لو نقل عن غيره لجعل مذهبا فكيف
لا يتمسك به وقال عبد الواحد بن زيد اجمعت العلما على انه
ليس للعبد من صلاته الا ما عقل منها فجعله اجماعا وما نقل من هذا
الجنس عن الفقها المتورعين وعن علما الاخرة اكثر من ان يحصى والحق
الرجوع الى ادلة الشرع والاخبار والايات ظاهرة في هذا الشرط
الا ان مقام الفتوى في التكليف الظاهر يتقدر بقدر قصور الخلق فلا يمكن
ان يشرط على الناس احضار القلب في جميع الصلاة فان ذلك
يعجز عنه كل البشر الا الاقلين واذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب
للضرورة فلا مرد له الا ان يشترط منه ما ينطلق عليه الاسم ولو
في اللحظة الواحدة واولى اللحظات به لحظة التكبير فاقتصرنا
على التكليف بذلك ونحن مع ذلك نرجو ان لا يكون حال الغافل
في جميع صلاته مثل حال التارك بالكلية فانه على الجملة اقدم على
الفعل ظاهرا واحضر القلب لحظة وكيف لا والذي صلى مع الحدث ساهيا
صلاته باطلة عند الله ولكن له اجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره

ابو داود والنسائي وابن ماجة من حديث عمار بن ياسر بنحوه ع

تتقيد

ومع هذا الرجا يخشى ان يكون حاله اشد من حال التارك وكيف لا
والذي يحضر الخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل
المستحقر اشد حالا من الذي يعرض عن الخدمة واذا تعارض اسباب
الخوف والرجا وصار الامر مخطرا في نفسه فاليك الخيرة بعد في
الاحتياط والتساهل ومع هذا فلا مطمع في مخالفة الفقها فيما
افتوا به من الصحة مع الغفلة فان ذلك ضرورة الفتوى كما
سبق التنبيه عليه ومن عرف سر الصلاة علم ان الغفلة تضادها
ولكن قد ذكرنا في الفرق بين العلم الباطن والظاهر في كتاب قواعد
العقايد ان قصور الخلق احد الاسباب المانعة عن التصريح بكل ما
ينكشف من اسرار الشرع فلنقتصر على هذا القدر من البحث فان فيه
مقنعا للمريد الطالب لطريق الاخرة • واما المجادل المشغب فلسنا
نقصد مخاطبته الان وحاصل الكلام ان حضور القلب هو روح الصلاة
وان اقل ما يبقى به رمق الروح الحضور عند التكبير فالنقصان منه
هلاك وبقدر الزيادة عليه تنبسط الروح في آخر الصلاة وكم من حي لا
حراك به قريب من ميت فصلاة الغافل في جميعها الا عند التكبير حي لا
حراك به • بيان المعاني الباطنة التي بها تتم حياة الصلاة • اعلم ان
هذه المعاني تكثر العبارات عنها ولكن يجمعها ست جمل وهي حضور القلب

والتفهم والتعظيم والهيبة والرجا والحيا فلنذكر تفاصيلها
ثم اسبابها ثم العلاج في اكتسابها • اما التفاصيل فالاول حضور
القلب ونعني به ان يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم
به فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ولا يكون الفكر جاريا في
غيرهما ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر ما
هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شي فقد حصل حضور القلب
واما التفهم لمعنى الكلام فامر ورا حضور القلب فربما يكون القلب
حاضرا مع اللفظ ولا يكون حاضرا مع معنى اللفظ فاشتمال القلب
على العلم بمعنى اللفظ هو الذي اردناه بالتفهم وهذا مقام يتفاوت
الناس فيه اذ ليس يشترك الناس في تفهم المعاني للقران والتسبيحات
وكم من معان لطيفة يفهمها المصلي في اثنا الصلاة ولم يكن قد خطر
بقلبه ذلك قبله ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشا
والمنكر فانها تفهم امورا تلك الامور تمنع من الفحشا لا محالة • واما
التعظيم فهو امر ورا حضور القلب والفهم اذ الرجل يخاطب عبده
بكلام وهو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له
فالتعظيم زايد عليهما • واما الهيبة فزايدة على التعظيم بل هي عبارة
عن خوف منشاه التعظيم لان من لا يخاف لا يسمى هايبا والمخافة

من العقرب وسوء خلق العبد وما يجري مجراه من الاسباب الخسيسة
لا يسمى مهابة بل الخوف من المعظم يسمى مهابة فالهيبة خوف
مصدرها الاجلال واما الرجا فلا شك في انه زايد فكم من معظم
ملكا من الملوك مهابة اذ تخاف سطوته ولكن لا يرجو مبرته والعبد
ينبغي ان يكون راجيا بصلاته ثواب الله كما انه خايف بتقصيره عقاب
الله واما الحيا فهو زايد على الجملة لان مستنده استشعار
تقصير وتوهم ذنب ويتصور التعظيم والخوف والرجا من غير حيا حيث
لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب واما اسباب هذه المعاني الستة
فاعلم ان حضور القلب سببه الهمة فان قلبك تابع لهمك فلا يحضر الا
فيما يهمك ومهما اهمك امر حضر القلب شا ام ابى فهو مجبول عليه
ومسخر فيه والقلب اذا لم يحضر في الصلاة لم يكن متعطلا بل كان حاضرا
فيما الهمة مصروفة اليه من امور الدنيا فلا حيلة ولا علاج لاحضار
القلب الا بصرف الهمة الى الصلاة والهمة لا تنصرف اليها ما لم يتبين
ان الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الايمان والتصديق بان
الاخرة خير وابقى وان الصلاة وسيلة اليها فاذا اضيف هذا الى
حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهانتها حصل من مجموعهما حضور
القلب في الصلاة وبمثل هذه العلة يحضر قلبك اذا حضرت بين يدي

بعض الاكابر ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك فاذا كان لا
يحضر عند المناجاة مع ملك الملوك الذي بيده الملك والملكوت
والنفع والضر فلا تظنن ان له سببا سوى ضعف الايمان فاجتهد
الآن في تقوية الايمان وطريقه يستقصى في غير هذا الموضع واما
التفهم فسببه بعد حضور القلب ادمان الفكر وصرف الذهن
الى ادراك المعنى وعلاجه ما هو علاج احضار القلب مع الاقبال
على الفكر والتشمر لدفع الخواطر الشاغلة وعلاج دفع الخواطر
الشاغلة قطع موادها اعني النزوع عن تلك الاسباب التي تنجذب
الخواطر اليها وما لم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر فمن
احب شيا اكثر من ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة
فلذلك ترى ان من احب غير الله لا تصفو له صلاة عن الخواطر
واما التعظيم فهي حالة للقلب تتولد من معرفتين احديهما معرفة
جلال الله وعظمته وهو من اصول الايمان فان من لا يعتقد عظمته
لا تذعن النفس لتعظيمه الثانية معرفة حقارة النفس وخستها
وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة
والانكسار والخشوع لله فيعبر عنه بالتعظيم وما لم تمتزج معرفة
حقارة النفس بمعرفة جلال الرب لا تنتظم حالة التعظيم والخشوع

فان المستغني عن غيره الامن على نفسه يجوز ان يعرف من غيره
صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله لان القرينة الاخرى
وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها لم يقترن اليه. واما الخوف فحالة
للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله وبسطوته ونفوذ مشيته
فيه مع قلة المبالاة به وانه لو اهلك الاولين والاخرين لم ينقص
من ملكه ذرة هذا مع مطالعة ما يجري على الانبيا والاوليا من المصا
وانواع البلا مع القدرة على الدفع على خلاف ما تشاهد من ملوك الارض
وبالجملة كلما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة وسياتي اسبا
ذلك في كتاب الخوف من ربع المنجيات. واما الرجا فسببه معرفة
لطف الله وكرمه وعميم انعامه ولطايف صنعه ومعرفة صدقه
في وعده الجنة بالصلاة فاذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه
انبعث من مجموعهما الرجا لا محالة. واما الحيا فباستشعار التقصير
في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله وتقوى ذلك بالمعرفة
بعيوب النفس وافاتها وقلة اخلاصها وخبث دخلتها وميلها الى
الحظ العاجل في جميع افعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله
والعلم بانه مطلع على السر وخطرات القلب وان دقت وخفيت
وهذه المعارف اذا حصلت يقينا انبعثت منها بالضرورة حالة

صح الهيبة و

بلغ سماعا

تسمى الحيا فهذه اسباب هذه الصفات وكل ما طلب تحصيله
فعلاجه احضار سببه ففي معرفة السبب معرفة العلاج ورابطة
جميع هذه الاسباب الايمان واليقين اعني به هذه المعارف التي
ذكرناها ومعنى كونها يقينا انتفا الشك واستيلاوها على
القلب كما سبق في بيان اليقين من كتاب العلم وبقدر اليقين يخشع
القلب ولذلك قالت عايشة كان عليه السلام يحدثنا ونحدثه
فاذا حضرت الصلاة فكانه لم يعرفنا ولا نعرفه. وقد روي ان الله
تعالى اوحى الى موسى عليه السلام يا موسى اذا ذكرتني فاذكرني وانت
تنتفض اعضاوك وكن عند ذكري خاشعا مطمينا واذا ذكرتني
فاجعل لسانك من وراء قلبك واذا قمت بين يدي فقم قيام العبد
الذليل وناجني بقلب وجل ولسان صادق. وروي انه اوحى اليه قل
لعصاة امتك لا يذكروني فاني اليت على نفسي ان من ذكرني ذكرته
فاذا ذكروني ذكرتهم باللعنة هذا في عاص غير غافل فكيف اذا
اجتمعت الغفلة والعصيان وباختلاف المعاني التي ذكرناها
في القلوب انقسم الناس الى غافل يتمم صلاته ولم يحضر قلبه في لحظة
والى من يتمم ولم يغب قلبه في لحظة بل ربما كان مستوعب الهم به
بحيث لا يحس ما يجري بين يديه ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط

في ذكره صح

اسطوانة في المسجد اجتمع الناس عليها وبعضهم حضر الجماعة
مدة ولم يعرف قط من على يمينه ويساره ووجيب قلب ابرهيم
صلى الله عليه وسلم كان يسمع على ميلين وجماعة كان تصفر وجوههم
وترتعد فرايصهم وكل ذلك غير مستبعد فان اضعافه مشاهد
في همم الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع ضعفهم وعجزهم وخساسة
الحظوظ الحاصلة منهم حتى يدخل الواحد على ملك او وزير ويحدثه
بمهمه ويخرج ولو سئل عمن حواليه او عن ثوب الملك لكان لا يقدر
على الاخبار عنه لاشتغال همه به عن ثوبه والحاضرين حوله ولكل
درجات مما عملوا فحظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه
وتعظيمه فان موضع نظر الله القلوب دون ظاهر الحركات
ولذلك قال بعض الصحابة يحشر الناس يوم القيمة على مثال هيئتهم
في الصلاة من الطمانينة والهدو ومن وجود النعيم بها واللذة ولقد
صدق فانه يحشر كل على ما مات عليه ويموت على ما عاش عليه ويرعى
في ذلك حال قلبه لا حال شخصه فمن صفات القلوب تصاغ الصور في
الدار الاخرة ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم بيان الدوا النافع
في حضور القلب اعلم ان المومن لا بد وان يكون معظما لله وخايفا
له وراجيا ومستحييا من تقصيره فلا ينفك عن هذه الاحوال بعد

ايمانه وان كانت قوتها بقدر قوة يقينه فانفكاكه عنها
في الصلاة لا سبب له الا تفرق الفكر وتقسيم الخاطر وغيبة
القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلاة ولا تلهي عن الصلاة الا
الخواطر الواردة الشاغلة فالدوا في احضار القلب هو دفع تلك
الخواطر ولا يدفع الشي الا بدفع سببه فليعلم سببه وسبب توارد
الخاطر اما ان يكون امرا خارجا او امرا في ذاته باطنا اما الخارج
فما يقرع السمع او يظهر للبصر فان ذلك قد يختطف الهم حتى يتبعه
ويتصرف فيه ثم تنجر منه الفكر الى غيره ويتسلسل ويكون الابصار
فيه سببا للافتكار ثم تصير بعض تلك الافكار سببا للبعض ومن قويت
رتبته وعلت همته لم يلهه ما يجري على حواسه ولكن الضعيف
لا بد وان يتفرق به فكره فعلاجه قطع هذه الاسباب بان يغض بصره
او يصلي في بيت مظلم او لا يترك بين يديه ما يشغل حسه ويقرب من
حايط عند صلاته حتى لا تتسع مسافة بصره ويحترز من الصلاة على
الشوارع وفي المواضع المنقوشة المصنوعة وعلى الفرش المصبوغة ولذلك
كان المتعبدون يتعبدون في بيت صغير مظلم سعته بقدر السجود
ليكون ذلك اجمع للهم والاقويا كانوا يحضرون المساجد ويغضون البصر
ولا يجاوزونه موضع السجود ويرون كمال الصلاة في ان لا يعرفوا من على

يمينهم وشمالهم وكان ابن عمر لا يدع في موضع الصلاة مصحفا ولا
سيفا الا نزعه ولا كتابا الا محاه ٥ واما الاسباب الباطنة فهي
اشد فان من تشعبت به الهموم في اودية الدنيا لم ينحصر فكره
في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب الى جانب وغض البصر لا يغنيه
فان ما وقع في القلب من قبل كاف للشغل فهذا طريقه ان يرد
النفس قهرا الى فهم ما يقراه في الصلاة ويشغله عن غيره ويعينه
على ذلك ان يستعد له قبل التحريم بان يجدد على نفسه ذكر الاخرة
وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدي الله تعالى وهول المطلع
ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلاة عما يهمه فلا يترك لنفسه شغلا
يلتفت اليه خاطره قال النبي صلى الله عليه لعثمان بن شيبة
اني نسيت ان اقول لك تخمر القدر الذي في البيت فانه لا ينبغي
ان يكون في البيت شيء يشغل الناس عن صلاتهم به فهذا طريق تسكين
الافكار فان كان لا يسكن هايج افكاره بهذا الدوا المسكن
فلا ينجيه الا المسهل الذي يقمع مادة الداء من اعماق العروق
وهو ان ينظر في الامور الشاغلة الصارفة له عن احضار القلب ولا
شك في انها تعود الى مهماته وانها انما صارت مهمة بشهواته
فيعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلايق

فلا

فكل ما يشغله عن صلاته فهو ضد دينه وجند ابليس عدوه
وامساكه اضر عليه من اخراجه فيتخلص عنه باخراجه كما روي انه
صلى الله عليه لما لبس الخميصة التي اتاه بها ابو جهم وعليها
علم وصلى بها نزعها بعد صلاته وقال اذهبوا بها الى ابي جهم فانها
الهتني انفا عن صلاتي واتوني بانبجانية ابي جهم وامر صلى الله
عليه وسلم بتجديد شراك نعله ثم نظر اليه في الصلاة اذ كان
جديدا فامر ان ينزع منها ويرد الشراك الخلق وكان عليه السلام
قد احتذى نعلا فاعجبه حسنها فسجد وقال تواضعت لربي كيلا
يمقتني ثم خرج بها فدفعها الى اول سايل لقيه ثم امر عليا رضي
الله عنه ان يشتري له نعلين سبتيتين جرداوين فلبسهما
وكان في يده خاتم ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه وقال شغلني هذا
نظرة اليه ونظرة اليكم ٥ وروى ان ابا طلحة صلى في حايط له فيه
شجر فاعجبه دبسي طار في الشجر يلتمس مخرجا فاتبعه بصره
ساعة ثم لم يدر كم صلى فذكر لرسول الله صلى الله عليه
ما اصابه من الفتنة ثم قال يا رسول الله هو صدقة فضعه حيث
شيت ٥ وعن رجل اخر انه صلى في حايط والنخل مطوقة بثمرها
فنظر اليه فاعجبه فلم يدر كم صلى فذكر ذلك لعثمان وقال هو

ابو عبد الله بن خفيف في شرف الفقراء من حديث عايشة باسناد ضعيف ع

متفق عليه من حديث عايشة وقد تقدم في العلم ع

ابن المبارك في الزهد من حديث ابي النضر مرسلا باسناد صحيح ع

النسايي من حديث ابن عباس باسناد صحيح وليس فيه بيان ان الخاتم كان ذهبا ولا فضة انما هو مطلق ع

في سهوه في الصلاة وتصدقه بالحايط مالك عن عبد الله بن ابي بكر ان ابا طلحة الانصاري فذكره بنحوه ع

صدقة فاجعله في سبيل الله فباعه عثمان بخمسين الفا وكانوا
يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكر وكفارة لما جرى من
نقصان الصلاة وهذا هو الدوا القامع لمادة العلة ولا
يغني غيره فان ما ذكرناه من التلطف بالتسكين والرد الى
فهم الذكر ينفع في الشهوات الضعيفة والهمم التي لا تشغل
الا حواشي القلب فاما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع معها
التسكين بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وتنقضي جميع
صلاتك في شغل المجاذبة ومثاله رجل تحت شجرة اراد ان
يصفو له فكره وكانت اصوات العصافير تشوش عليه فلم يزل
يطيرها بخشبة هي في يده ويعود الى فكره فتعود العصافير فيعود
الى التنفير بالخشبة فقيل له ان هذا سير السواني ولا ينقطع
فان اردت الخلاص فاقلع الشجرة فكذلك شجرة الشهوة اذا استعلت
وتفرعت اغصانها انجذبت اليها الافكار انجذاب العصافير الى
الاشجار وانجذاب الذباب الى الاقذار والشغل يطول في دفعها
فان الذباب كلما ذب آب فكذى الخواطر ولاجله سمي ذبابا
وهذه الشهوات كثيرة وقل ما يخلو العبد عنها ويجمعها اصل واحد
وهو حب الدنيا وذلك راس كل خطيئة واساس كل نقصان ومنبع

كل فساد ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال الى شي منها لا
ليتزود منها ولا ليستعين بها على الاخرة فلا يطمعن في ان تصفو له
لذة المناجاة في الصلاة فان من فرح بالدنيا فلا يفرح بالله وبمناجاته
وهمة الرجل مع قرة عينه فان كانت قرة عينه في الدنيا انصرف
لا محالة اليه همته ولكن مع هذا فلا ينبغي ان يترك المجاهدة
ورد القلب الى الصلاة وتقليل الاسباب الشاغلة فهذا هو الدوا
ولمرارته استبشعته الطباع وبقيت العلة مزمنة وصار
الداء عضالا حتى ان الاكابر اجتهدوا ان يصلوا ركعتين لا يحدثون
انفسهم فيها بامور الدنيا فعجزوا وذلك لا مطمع فيه لامثالنا
وليته سلم من صلاتنا شطرها او ثلثها عن الوساوس لنكون ممن
خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة
الاخرة في القلب مثل الما الذي يصب في قدح فيه خل فبقدر ما
يدخل فيه من الما يخرج من الخل ولا يجتمعان **بيان** تفصيل ما
ينبغي ان يحضر في القلب عند كل ركن وشرط من اعمال الصلاة
فنقول حقك ان كنت من المريدين للاخرة ان لا تغفل اولا عن
التنبيهات التي في شروط الصلاة واركانها اما الشروط السوا
فهي الاذان والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة والانتصا

فاما والنية فاذا سمعت ندا المؤذن فاحضر في قلبك هول النداء يوم القيمة وتشمر بظاهرك وباطنك للاجابة والمسارعة فان المسارعين الى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الاكبر فاعرض قلبك على هذا فان وجدته مملوا بالفرح والاستبشار مشحونا بالرغبة الى الابتدار فاعلم انه ياتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحنا يا بلال اى ارحنا بها وبالندا اليها اذ كان قرة عينه فيها • واما الطهارة فاذا اتيت بها في مكانك وهو ظرفك الابعد ثم في ثيابك وهو غلافك الاقرب ثم في بشرتك وهي قشرك الادنى فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والندم على ما فرط وتصميم العزم على تركك في المستقبل فطهر بها باطنك فانه موقع نظر معبودك واما ستر العورة فاعلم ان معناه تغطية مقابح بدنك عن ابصار الخلق فان ظاهر بدنك موقع نظر الخلق فما بالك في عورات باطنك وفضايح سرك الذي لا يطلع عليه الا ربك فاحضر تلك الفضايح ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق انه لا يستتر عن عين الله ساتر وانما يكفرها الندم والحيا والخوف فتستفيد

النداء

العورة

باحضارها في قلبك انبعاث جنود الخوف والحيا من مكامنها فتذل به نفسك ويسكن تحت الخجلة قلبك وتقوم بين يدي الله قيام العبد المجرم المسي الابق الذي ندم فرجع الى مولاه ناكسا راسه من الحيا والخوف • واما الاستقبال فهو صرف لظاهر وجهك عن ساير الجهات الى جهة بيت الله افترى ان صرف القلب من ساير الامور الى امر الله ليس مطلوبا منك هيهات فلا مطلوب سواه وانما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط الجوارح وتسكين لها بالاثبات في جهة واحدة حتى لا تبغي على القلب فانها اذا بغت وظلمت في حركاتها والتفاتها الى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت به عن وجه الله فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك واعلم انه لا يتوجه الوجه الى جهة البيت الا بالصرف عن غيرها فلا ينصرف القلب الى الله الا بالتفرغ عما سوى الله وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا قام العبد الى صلاته فكان هواه ووجهه وقلبه الى الله انصرف كيوم ولدته امه • واما الاعتدال فانما هو مثول بالشخص والقلب بين يدي الله فليكن راسك الذي هو ارفع اعضايك مطرقا مطاطا منكسا وليكن وضع الراس عن ارتفاعه تنبيها على الزام القلب للتواضع والتذلل والتبري عن الترأس والتكبر

لم اجده بهذا اللفظ ولمسلم من حديث عمرو بن عبسة في فضل الوضوء وفيه فان هو قام فصلى فحمد الله واثنى عليه ومجده بالذي هو له اهل وفرغ قلبه لله الا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته امه • ع

وليكن على ذكرك ها هنا خطر المقام بين يدي الله في هول المطلع
عند التعرض للسؤال واعلم في الحال انك قايم بين يدي الله وهو
مطلع عليك فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان ان
كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قدر في دوام قيامك في صلاتك
انك ملحوظ ومرقوب بعين كالية من رجل صالح من اهلك او ممن ترغب
في ان يعرفك بالصلاح فانه تهدا عند ذلك اطرافك وتخشع جوارحك
وتسكن جميع اجزايك خيفة ان ينسبك ذلك العاجز المسكين
الى قلة الخشوع فاذا احسست من نفسك بالتماسك عند
ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل انك تدعين معرفة الله
وحبه افلا تستحيين من استجرايك عليه مع توقيرك عبدا من عباده
او تخشين الناس ولا تخشينه وهو احق ان تخشى فلذلك لما قال
ابو هريرة كيف الحيا من الله فقال صلى الله عليه وسلم تستحيي منه
كما تستحيي من الرجل الصالح من اهلك واما النية فاعزم على
اجابة الله في امتثال امره بالصلاة واتمامها والكف عن نواقضها
ومفسداتها واخلاص جميع ذلك لوجه الله تعالى رجاء لثوابه
وخوفا من عقابه وطلبا للقربة منه متقلدا للمنة باذنه اياك في
المناجاة مع سوء ادبك وكثرة عصيانك وعظم في نفسك قدر

بلغ

مناجاته وانظر من تناجي وكيف تناجي وبماذا تناجي وعند
هذا ينبغي ان يعرق جبينك من الخجلة وترتعد فرايصك من
الهيبة ويصفر وجهك من الخوف واما التكبير فاذا نطق به
لسانك فينبغي ان لا يكذبه قلبك وان كان في قلبك شي هو
اكبر من الله تعالى فالله يشهد انك لكاذب وان كان الكلام
صدقا كما شهد على المنافقين في قولهم انه صلى الله عليه وسلم
رسول الله فان كان هواك اغلب عليك من امر الله وانت اطوع
له منك لله فقد اتخذته الهك وكبرته فيوشك ان يكون قولك
الله اكبر كلاما باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته
وما اعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن
الظن بكرم الله وعفوه واما دعا الاستفتاح فاول كلماته
قولك وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وليس المراد
بالوجه وجه الظاهر فانك انما وجهته الى جهة القبلة والله سبحانه
مقدس عن ان تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه وانما وجه
القلب هو الذي تتوجه به الى فاطر السموات فانظر اليه امتوجه
الى امانيه وهممه في البيت والسوق متبع للشهوات او مقبل على
فاطر السموات واياك ان يكون اول مفاتحتك للمناجاة بالكذب

والاختلاف ولن تبصرف الوجه الى الله الا بانصرافه عما سوى الله
فاجتهد في الحال في صرفه اليه وان عجزت عنه على الدوام ليكون
قولك في الحال صادقا واذا قلت حنيفا مسلما فينبغي ان يخطر
ببالك ان المسلم هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده وان لم يكن
كذلك كنت كاذبا فاجتهد ان تعزم عليه في الاستقبال وتندم على
ما سبق من الاحوال واذا قلت وما انا من المشركين فاخطر ببالك
الشرك الخفي فان قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا
صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزل فيمن يقصد بعبادته
وجه الله وحمد الناس فكن متقيا من هذا الشرك واستشعر الخجلة
في قلبك ان وصفت نفسك بانك لست من المشركين من غير براءة
عن هذا الشرك فان اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه فاذا
قلت محياي ومماتي لله فاعلم ان هذه حال عبد مفقود لنفسه
موجود لسيده وانه ان صدر ممن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده
ورغبته في الحياة ورهبته من الموت لامور الدنيا لم يكن ملائما
للحال واذا قلت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاعلم انه عدوك
ومترصد لصرف قلبك عن الله عز وجل حسدا لك على مناجاتك مع
الله وسجودك له مع انه لعن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق

لها وان استعاذتك بالله بترك ما يحبه وتبدله بما يحب
الله لا بمجرد قولك وان من قصده سبع او عدو ليفترسه او
يقتله فقال اعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على
مكانه ان ذلك لا ينفعه بل لا يفيده الا تبديل المكان فكذلك من يتبع
الشهوات التي هي محاب الشيطان ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد
القول فليقرن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله عن شر الشيطان
وحصنه لا اله الا الله اذ قال لا اله الا الله حصني والمتحصن به
من لا معبود له سوى الله فاما من اتخذ الهه هواه فهو في ميدان
الشيطان لا في حصن الله ، واعلم ان من مكايده ان يشغلك في الصلاة
بفكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ما تقرأ فاعلم
ان كل ما شغلك عن معاني قراءتك فهو وسواس فان حركة اللسان
غير مقصود بل المقصود معانيها ، واما القراءة فالناس فيها ثلاثة
رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع
اللسان فيسمع ويفهم منه كانه يسمعه من غيره وهو درجة
اصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه الى المعاني اولا ثم يخدم اللسان قلبه
فيترجمه ففرق بين ان يكون اللسان ترجمان القلب ويكون معلم
القلب والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب

الحاكم في التاريخ وابو نعيم في الحلية من طريق اهل البيت حديثا كليا باسناد ضعيف جدا ه وقول ابي منصور الديلمي انه حديث ثابت مردود عليه ه ع

وتفصيل ترجمة المعاني انك اذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم
فانو به التبرك لابتداء القراءة لكلام الله تعالى وافهم ان معناه
ان الامور كلها بالله وان المراد بالاسم هاهنا هو المسمى واذا
كانت الامور بالله فلا جرم كان الحمد لله ومعناه ان الشكر
لله اذ النعم من الله ومن يرى من غير الله نعمه او يقصد غير الله بشكر
لا من حيث انه مسخر من الله ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر
التفاته الى غير الله فاذا قلت الرحمن الرحيم فاحضر في قلبك انواع لطفه
لتتضح لك رحمته فينبعث به رجاك ثم استثر من قلبك التعظيم

استشعر خ

والخوف بقولك مالك يوم الدين اما العظمة فلانه لا ملك الا له
واما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو ملكه ثم جدد
الاخلاص بقولك اياك نعبد وجدد العجز والاحتياج والتبري
عن الحول والقوة بقولك اياك نستعين وتحقق انه ما تيسرت
طاعتك الا باعانته وان له المنة اذ وفقك لطاعته واستخدمك
لعبادته وجعلك اهلا لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين
مع الشيطان اللعين ثم اذا فرغت عن التعويذ بقولك بسم الله
وعن التحميد وعن اظهار الحاجة الى الاعانة مطلقا فعين سؤالك
ولا تطلب الا اهم حاجاتك وقل اهدنا الصراط المستقيم الذي يسوقنا

الى جوارك ويفضي بنا الى مرضاتك وزده شرحا وتفصيلا وتأكيدا
واستشهد بالذين افاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين
والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين من
اليهود والنصارى والصابئين ثم التمس الاجابة وقل آمين فاذا
تلوت الفاتحة كذلك فتشبه ان تكون ممن قال الله تعالى فيهم
قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي
ولعبدي ما سأل يقول العبد الحمد لله رب العالمين فيقول الله
حمدني عبدي واثنى علي وهو معنى قوله سمع الله لمن حمده الحديث
الى آخره وان لم يكن لك من صلاتك حظ سوى ذكر الله لك في جلاله
وعظمته فناهيك به غنيمة فكيف بما ترجو من ثوابه وفضله
وكذلك ينبغي ان تفهم ما تقرأه من السور كما سيأتي في كتاب
تلاوة القرآن فلا تغفل عن امره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه
واخبار انبيائه وذكر منته واحسانه فلكل واحد حق فالرجاء
حق الوعد والخوف حق الوعيد والعزم حق الامر والنهي والاتعاظ
حق الموعظة والشكر حق ذكر المنة والاعتبار حق اخبار الانبياء
روي ان زرارة بن اوفى انتهى الى قوله فاذا نقر في الناقور فخر ميتا
وكان ابرهيم النخعي اذا سمع قوله اذا السماء انشقت اضطرب حتى

مسلم من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ع

تضطرب اوصاله وقال عبد الله بن واقد رايت ابن عمر
يصلي مغلولا وحق له ان يحترق قلبه بوعد سيده ووعيده فانه
عبد ذليل مذنب بين يدي جبار قاهر وتكون هذه المعاني
بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفا
القلب ودرجات ذلك لا تنحصر والصلاة مفتاح القلوب فيها
تنكشف اسرار الكلمات فهذا حق القراءة وهو حق الاذكار والتسبيحات
ايضا ثم يراعي الهيبة في القراءة فيرتل ولا يسرد فان ذلك ايسر
للتامل ويفرق بين نغماته في اية الرحمة والعذاب والوعد والوعيد
والتحميد والتعظيم كان النخعي اذا مر بمثل قوله ما اتخذ الله
من ولد وما كان معه من اله يغض صوته كالمستحي عن ان يذكره
بكل شيء ويقال لصاحب القران اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل
في الدنيا واما دوام القيام فهو تنبيه على اقامة القلب مع الله
على نعت واحد من الحضور قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
يقبل على المصلي ما لم يلتفت وكما تجب حراسة الراس والعين عن الالتفات
الى الجهات فكذلك تجب حراسة السر عن الالتفات الى غير الصلاة
فاذا التفت الى غيره فذكره باطلاع الله عليك وقبح التهاون بالمناجي
عند غفلة المناجي ليعود اليه والزم خشوع القلب فان الخلاص

عن الالتفات باطنا وظاهرا ثمرة الخشوع ومهما خشع الباطن
خشع الظاهر قال صلى الله عليه وقد راى مصليا يعبث بلحيته
اما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه فان الرعية بحكم الراعي
ولهذا ورد في الدعا اللهم اصلح الراعي والرعية وهو القلب
والجوارح وكان الصديق في صلاته كانه وتد وابن الزبير كانه
عود وبعضهم كان يسكن في ركوعه بحيث تقع عليه العصافير
كانه جماد وكل ذلك تقتضيه الطبع بين يدي من يعظم من ابنا الدنيا
فكيف لا تتقاضاه بين يدي ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك
ومن يطمئن بين يدي غير الله خاشعا ويضطرب اطرافه بين يدي الله فذلك
لقصور معرفته عن جلال الله وعن اطلاعه على سره وضميره قال
عكرمة في قوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين
قال قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه واما الركوع والسجود
فينبغي ان تجدد ذكر كبريا الله وترفع يديك مستجيرا بعفو الله
عن عقابه ومتبعا سنة نبيه ثم تستانف له ذلا وتواضعا
وخضوعا بركوعك وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك
وتستشعر ذلك وعز مولاك واتضاعك وعلو ربك وتستعين
على تقرير ذلك في قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وانه

اعظم من كل عظيم وكرر ذلك على قلبك لتوكده بالتكرار
ثم ترتفع عن ركوعك راجيا انه راحم ذلك ومؤكدا للرجا
في نفسك بقولك سمع الله لمن حمده اي اجاب الله لمن شكره ثم تردف
ذلك بالشكر المقتضي للمزيد فتقول ربنا لك الحمد وتكثر الحمد
بقولك ملأ السموات وملأ الارض ثم تهوي الى السجود وهو اعلى
درجات الاستكانة فتمكن اعز اعضايك وهو الوجه من اذل
الاشيا وهو التراب وان امكنك الا تجعل بينهما حايلا فتسجد
على الارض فافعل فانه اجلب للخضوع وادل على الذل واذا
وضعت نفسك موضع الذل فاعلم انك وضعته موضعه ورددت
الفرع الى الاصل فانك من التراب خلقت واليه رددت فعند هذا
جدد على قلبك عظمة الله وقل سبحان ربي الاعلى واكده بالتكرار
فان الكرة الواحدة ضعيفة الاثار واذا رق قلبك وظهر ذلك
فليصدق رجاك في رحمة ربك فان رحمته تتسارع الى الضعف
والذل لا الى التكبر والبطر وارفع راسك مكبرا وسايلا حاجتك
وقايلا رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وما اردت من الدعا ثم
اكد التواضع بالتكرار فعد الى السجود ثانيا كذلك ولما التشهد
فاذا جلست له فاجلس متادبا وصرح بان جميع ما تدلي به من

الصلوات والطيبات اي الاخلاق الطاهرة لله وكذلك
الملك لله وهو معنى التحيات واحضر في قلبك النبي صلى الله
عليه وسلم وشخصه الكريم وقل سلام عليك ايها النبي
ورحمة الله وليصدق املك في انه يبلغه ويرد عليك ما هو اوفى
منه ثم سلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين وتامل
ان يرد الله عليك سلاما وافيا بعدد عباده الصالحين ثم تشهد
له بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة لمحمد اعهد
الله باعادة كلمتي الشهادة ومستانفا للتحصن به ثم ادع في آخر
صلاتك بالدعا الماثور مع التواضع والخشوع والضراعة
والابتهال وصدق الرجا بالاجابة واشرك في دعايك ابويك
وساير المومنين واقصد عند التسليم السلام على الملايكة
والحاضرين وانو ختم الصلاة واستشعر شكر الله على توفيقه
لاتمام هذه الطاعة وتوهم انك مودع لها واستشعر قلبك الوجل
والحيا من التقصير في الصلاة وخف ان لا تقبل صلاتك وان تكون
ممقوتا بذنب ظاهر او باطن فترد صلاتك في وجهك فترجو مع ذلك
ان يقبلها بفضله وكرمه وكان يحيى بن وثاب اذا صلى مكث ما شا
الله يعرف عليه كآبة الصلاة وكان ابرهيم يمكث بعد الصلاة

ساعة كأنه مريض فهذا تفصيل صلاة الخاشعين الذين هم على
صلاتهم يحافظون والذين هم على صلاتهم دائمون والذين
هم يناجون الله على قدر استطاعتهم في العبودية فليعرض
الانسان نفسه على هذه الصلاة فبالقدر الذي تيسر له منه
ينبغي ان يفرح وعلى ما تفوته ينبغي ان يتحسر وفي مداواة ذلك ينبغي
ان يجتهد واما صلاة الغافلين فانها مخطرة الا ان يتغمده الله
برحمته والرحمة واسعة والكرم فايض فنسأل الله تعالى
ان يغمرنا برحمته ويتغمدنا بمغفرته اذ لا وسيلة لنا الا الاعتراف
بالعجز عن القيام بطاعته واعلم ان تخليص الصلاة عن الآفات
واخلاصها لوجه الله واداءها بالشروط الباطنة التي ذكرناها
من الخشوع والتعظيم والحياء سبب لحصول انوار في القلب تكون
تلك الانوار مفاتيح علوم المكاشفة فاولياء الله المكاشفون
بملكوت السموات والارض واسرار الربوبية انما يكاشفون
في الصلاة لا سيما في السجود اذ يقرب العبد بالسجود ولذلك قال
تعالى واسجد واقترب ويكون مكاشفة كل مصلٍّ على قدر صفائه عن
كدورات الدنيا ويختلف ذلك بالقوة والضعف والقلة والكثرة
وبالجلاء والخفاء حتى ينكشف لبعضهم الشيء بعينه وينكشف لبعضهم الشيء

بمثال كما كوشف بعضهم الدنيا في صورة جيفة والشيطان
في صورة كلب جاثم عليها يدعو اليها ويختلف ايضا بما فيه
المكاشفة فبعضهم ينكشف له من صفات الله وجلاله
ولبعضهم من افعاله ولبعضهم من دقائق علوم المعاملة ويكون
لتعيين تلك المعاني في كل وقت اسباب خفية لا تحصى واشدها
مناسبة الهمة فانها اذا كانت مصروفة الى شيء معين كان ذلك
اولى بالانكشاف ولما كانت هذه الامور لا تترائى الا في المرائي
الصقيلة وكانت المرآة كلها صدئة فاحتجب عنها الهداية لا لبخل
من جهة المنعم بالهداية بل لخبث متراكم على مصب الهداية تسارعت
الالسنة الى انكار مثل ذلك اذ الطبع مجبول على انكار غير الحاضر
ولو كان للجنين عقل لانكر امكان وجود انسان في متسع الهواء ولو
كان للطفل تمييز ما ربما انكر ما يزعم العقلاء ادراكه من ملكوت
السموات والارض وهكذا الانسان في كل طور يكاد ينكر ما
بعده ومن انكر طور الولاية لزمه ان ينكر طور النبوة وقد خلق
الخلق اطوارا فلا ينبغي ان ينكر كل واحد ما وراء درجته نعم لما
طلبوا هذا من المجادلة والمباحث المشوشة ولم يطلبوها من تصفية
القلب عما سوى الله فقدوه فانكروه ومن لم يكن من اهل المكاشفة

فلا اقل من ان يؤمن بالغيب ويصدقه الى ان يشاهد بالتجربة
ففي الخبر ان العبد اذا قام في الصلاة رفع الله الحجاب بينه
وبين عبده وواجهه بوجهه وقامت الملايكة من لدن منكبيه الى الهوا
يصلون بصلاته ويؤمنون على دعايه وان المصلي لينثر عليه البر من
عنان السماء الى مفرق راسه ويناديه مناد لو علم المصلي من يناجي
ما التفت وان ابواب السما تفتح للمصلين وان الله تعالى يباهي ملايكته
بصدق المصلي ففتح ابواب السما ومواجهة الله اياه بوجهه كناية
عن الكشف الذي ذكرناه وفي التوراة مكتوب يا ابن ادم لا تعجز ان
تقوم بين يدي مصليا باكيا فانا الله تعالى الذي اقتربت من قلبك
وبالغيب رايت نوري قال فكنا نرى ان تلك الرقة والبكا والفتوح
الذي يجده المصلي في قلبه من دنو الرب تعالى من القلب واذا لم يكن
هذا الدنو هو القرب بالمكان فلا معنى له الا الدنو بالهداية والرحمة
وكشف الحجاب ويقال ان العبد اذا صلى ركعتين عجب منه عشر
صفوف من الملايكة كل صف منهم عشرة الاف وباهى الله به مايه
الف ملك وذلك ان العبد قد جمع فيه بين القيام والقعود والركوع
والسجود وقد فرق ذلك على اربعين الف ملك والقايمون لا يركعون
الى يوم القيمة والساجدون لا يرفعون الى يوم القيمة وهكذا

الراكعون والقاعدون فان ما رزق الملايكة من القرب والرتبة
لازم لهم مستمر على حال واحد لا يزيد ولا ينقص ولذلك قالوا
وما منا الا له مقام معلوم وفارق الانسان الملايكة في الترقي
من درجة الى درجات فانه لا يزال يتقرب الى الله فيستفيد مزيدا
وباب المزيد مسدود عليهم وليس لكل واحد الا رتبته التي هي
وقف عليه وعبادته التي هو مشغول بها لا ينتقل الى غيرها
ولا يفتر عنها ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون
ومفتاح مزيد الدرجات هي الصلوات قال الله تعالى قد افلح
المومنون الذين هم في صلاتهم خاشعون فمدحهم بعد الايمان
بصلاة مخصوصة وهي المقرونة بالخشوع ثم ختم اوصاف
المفلحين بالصلاة ايضا فقال في اخرها والذين هم على صلاتهم يحافظون
ثم قال في ثمرة تلك الصفات اولئك هم الوارثون الذين يرثون
الفردوس فوصفهم بالفلاح اولا وبوراثة الفردوس اخرا وما عندي
ان هذرمة اللسان مع غفلة القلب تنتهي درجته الى هذا الحد
وكذلك قال في اضدادهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من
المصلين فالمصلون هم ورثة الفردوس وهم المشاهدون لنور الله
والمتمتعون بقربه ودنوه من قلبهم نسال الله تعالى ان يجعلنا منهم

منهم وان بعيدنا من عقوبة من ترتيب اقواله وقبحت افعاله انه
الكريم المنان القديم الاحسان ٥

حكايات واخبار في صلاة الخاشعين

اعلم ان الخشوع ثمرة الايمان ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله سبحانه
ومن رزق ذلك فانه يكون خاشعا في الصلاة وفي غير الصلاة بل في
خلوته وفي بيت الماء عند قضاء الحاجة فان موجب الخشوع معرفة
اطلاع الله على العبد ومعرفة جلاله ومعرفة تقصير العبد
فمن هذه المعارف تتولد الخشوع وليست مختصة بالصلاة
وكذلك روي عن بعضهم انه لم يرفع راسه الى السما اربعين سنة
حيا من الله وخشوعا له وكان الربيع بن خثيم من شدة غضه
للبصر واطراقه يظن بعض الناس انه اعمى فكان يختلف الى منزل
ابن مسعود عشرين سنة فاذا راته جاريته قالت لابن مسعود
صديقك ذاك الاعمى قد جا فكان يضحك ابن مسعود من قولها
وكان اذا دق الباب تخرج الجارية اليه فتراه مطرقا غاضا
بصره وكان ابن مسعود اذا نظر اليه يقول وبشر المخبتين اما
والله لو راك محمد لفرح بك وفي لفظ آخر لاحبك ومشي ذات
يوم مع ابن مسعود في الحدادين فلما نظر الى الاكوار تنفخ

والى

والى النيران تلتهب صعق وسقط مغشيا عليه وقعد ابن مسعود
عند راسه الى وقت الصلاة فلم يفق فحمله على ظهره الى منزله فلم
يزل مغشيا عليه الى الساعة التي صعق فيها ففاتته خمس صلوات
وابن مسعود عند راسه يقول هذا والله الخوف وكان الربيع
يقول ما دخلت في صلاة قط فاهمني فيها الا ما اقول وما يقال
لي وكان عامر بن عبد الله من خاشعي المصلين كان اذا صلى ضربت
ابنته بالدف وتحدث النسا بما يرون في البيت ولم يكن
يسمع ذلك ولم يعقله وقيل له ذات يوم هل تحدث نفسك في
الصلاة بشي قال نعم موقفي بين يدي الله تعالى ومنصرفي الى احد
الدارين قال فهل تجد شيا مما نجد من امور الدنيا فقال لان تختلف
الاسنة في احب الي من ان اجد في الصلاة ما تجدون وكان
يقول لو كشف الغطا ما ازددت يقينا وقد كان مسلم بن يسار
منهم ونقلنا انه لم يشعر بسقوط اسطوانة المسجد وقد اكل
طرف من اطراف بعضهم واحتيج الى القطع فلم يمكن منه فقيل انه
في الصلاة لا يحس بما يجري عليه فقطعت وهو في الصلاة وقال
بعضهم الصلاة من الاخرة فاذا دخلت في الصلاة خرجت من الدنيا
وقيل لاخر هل تحدث نفسك في الصلاة بشي من الدنيا قال لا

في الصلاة ولا في غيرها وسئل بعضهم هل يذكر في الصلاة شيئا
فقال وهل شيء احب الي من الصلاة فاذكره فيها وكان ابو الدردا
يقول من فقه الرجل ان يبدا بحاجته قبل دخوله في الصلاة
ليدخل في الصلاة وقلبه فارغ وكان بعضهم يخفف الصلاة خيفة
الوسواس روي ان عمار بن ياسر صلى صلاة فاخفها فقيل له
خففت يا ابا اليقظان فقال هل رايتموني نقصت من حدودها
شيا قالوا لا قال اني بادرت سهو الشيطان ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له نصفها
ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها وكان يقول
انما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها ويقال ان طلحة والزبير
وطايفة من الصحابة كانوا اخف الناس صلاة وقالوا نبادر
بها وسوسة الشيطان وروي ان عمر قال على المنبر ان
الرجل ليشيب عارضاه في الاسلام وما اكمل لله تعالى صلاته
قيل وكيف ذلك قال لا يتم خشوعها وتواضعها واقباله على الله
فيها وسيل ابو العالية عن قوله تعالى والذين هم عن صلاتهم
ساهون قال هو الذي يسهو في صلاته فلا يدري على كم ينصرف
اعلى شفع او على وتر وقال الحسن هو الذي يسهو عن وقت

الصلاة حتى يخرج وقال بعضهم هو الذي ان صلاها في اول
الوقت لم يفرح وان اخرها عن الوقت لم يحزن فلا يرى تعجيلها
برا ولا تاخيرها اثما واعلم ان الصلاة قد يحتسب بعضها ويكتب
دون بعض كما دلت الاخبار عليه وان كان الفقيه يقول
ان الصلاة في الصحة لا يتجزى ولكن ذلك له معنى اخر ذكرناه
وهذا المعنى دلت عليه الاحاديث اذ ورد جبران نقصان الفرايض
بالنوافل في الخبر وقال عيسى عليه السلام يقول الله تعالى
بالفرايض نجى مني عبدي وبالنوافل تقرب الي عبدي وقال صلى
الله عليه وسلم قال الله تعالى لا ينجو مني عبدي الا باداء ما
افترضت عليه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة فترك
من قراءته اية فلما انفتل قال ماذا قرات فسكت القوم فسال
ابي بن كعب فقال قرات سورة كذا وتركت اية كذا فما ادري انسخت
ام رفعت فقال انت لها يا ابي ثم اقبل على الاخرين فقال ما بال
اقوام يحضرون صلاتهم ويتمون صفوفهم ونبيهم بين ايديهم لا يدرون
ما يتلو عليهم من كتاب ربهم الا ان بني اسرائيل كذا فعلوا فاوحى
الله تعالى الى نبيهم ان قل لقومك تحضروني ابدانكم وتعطوني السنتكم
وتغيبون عني قلوبكم باطل ما تذهبون وهذا يدل على ان الاستماع

اصحاب السنن والحاكم ... من حديث ... ان اول ما يحاسب به العبد يوم القيامة ... فان انتقص من فريضته شيئا ... انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل به ما انتقص من الفريضة

رواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة مرسلا وابو منصور الديلمي من حديث ابي بن كعب ورواه النسائي مختصرا من حديث عبد الرحمن بن ابزي باسناد صحيح

الامام وفهمه يدل على قراءته السورة بنفسه وقال بعضهم ان
العبد يسجد السجدة عنده انه يتقرب بها الى الله تعالى ولو
قسمت ذنوبه في سجدته على اهل مدينته هلكوا قيل وكيف ذلك
قال يكون ساجدا عند الله وقلبه مصغ الى هوى ومشاهد الباطل
قد استولى عليه فهذه صفة الخاشعين فدلت هذه الحكايات
والاخبار مع ما سبق على ان الاصل في الصلاة الخشوع وحضور
القلب وان مجرد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى في المعاد

الباب الرابع في الامامة والقدوة

وعلى الامام وظايف قبل الصلاة وفي القراة وفي اركان
الصلاة وبعد ان يسلم اما الوظايف قبل الصلاة فستة
فاولها ان لا يتقدم الامام على قوم يكرهونه فان اختلفوا كان
الاقلون هم اهل الخير والدين فالنظر اليهم اولى وفي الحديث
ثلاثة لا تجاوز صلاتهم رؤوسهم العبد الابق وامرأة زوجها
ساخط عليها وامام قوم وهم له كارهون وكما ينهى عن تقدمه
مع كراهتهم فينهى عنه ان كان وراءه من هو افقه منه واقرا منه
الا اذا امتنع من هو اولى منه فله التقدم فان لم يكن شي من ذلك
فليتقدم مهما قدم وعرف من نفسه القيام بشروط الامامة

ويكره عند ذلك المدافعة فقد قيل ان قوما تدافعوا الامامة
بعد اقامة الصلاة فخسف بهم وما روي من مدافعة الامامة
بين الصحابة فسببه ايثارهم من رأوه اولى به او خوفهم على
انفسهم السهو وخطر ضمان صلاتهم فان الايمة ضمنا ولان من
لا يتعود ذلك ربما يشتغل قلبه ويتشوش عليه الاخلاص في
الصلاة حياء من المقتدين لا سيما في جهره بالقراة فكان لاحتراز
من احترز اسباب من هذا الجنس الثانية اذا خير المرء بين الاذان
والامامة فينبغي ان يختار الامامة فان لكل واحد فضلا ولكن
الجمع مكروه بل ينبغي ان يكون الامام غير المؤذن واذا تعذر الجمع
فالامامة اولى وقال قايلون الاذان اولى لما نقلناه في
فضيلة الاذان ولقوله صلى الله عليه وسلم الامام ضامن والمؤذن
مؤتمن فقالوا فيه خطر الضمان وقال ايضا الامام امين فاذا
ركع فاركعوا واذا سجد فاسجدوا وفي الحديث فان اتم فله ولهم
وان نقص فعليه ولا عليهم ولانه عليه السلام قال اللهم ارشد
الايمة واغفر للمؤذنين والمغفرة اولى بالطلب فان الرشد يراد
للمغفرة وفي الخبر من اذن في مسجد سبع سنين وجبت له الجنة
ومن اذن اربعين عاما دخل الجنة بغير حساب ولذلك نقل عن

ابو داود والترمذي

الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس بالشطر الاول نحوه قال الترمذي غريب

الصحابة انهم كانوا يتدافعون الامامة والصحيح ان الامامة
افضل اذ واظب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابو بكر وعمر والايمة نعم فيها خطر الضمان والفضيلة
مع الخطر كما ان رتبة الامارة والخلافة افضل لقوله صلى
الله عليه وسلم ليوم من سلطان عادل افضل من عبادة سبعين
سنة ولكن فيه خطر ولذلك وجب تقديم الافضل والافقه
قال صلى الله عليه وسلم ايمتكم وفدكم الى الله تعالى فان اردتم
ان تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم وقال بعض السلف ليس
بعد الانبيا افضل من العلما ولا بعد العلما افضل من الايمة المصلين
لان هولا قاموا بين الله وبين خلقه هذا بالنبوة وهذا بالعلم
وهذا بعماد الدين وهو الصلاة بهذه الحجة احتج الصحابة في
تقديم ابي بكر للخلافة اذ قالوا نظرنا فاذا الصلاة عماد الدين
فاخترنا لدنيانا من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا وما قدموا
بلالا احتجاجا بانه رضيه للاذان وما روي انه قال له رجل
يا رسول الله دلني على عمل ادخل به الجنة فقال كن مؤذنا قال
لا استطيع قال كن اماما قال لا استطيع قال صل بازاء
الامام فلعله ظن انه لا يرضى بامامته اذ الاذان اليه والامامة

الى الجماعة وتقديمهم لها ثم بعد ذلك توهم انه ربما يقدر
عليه الثالثة ان يراعي الامام اوقات الصلوات فيصلي في اوايلها
ليدرك رضوان الله ففضل اول الوقت على اخره كفضل الاخرة
على الدنيا هكذا روي عن رسول الله وفي الحديث ان العبد ليصلي
الصلاة في اخر وقتها ولم تفته ولما فاته من اول وقتها خير له
من الدنيا وما فيها ولا ينبغي ان يؤخر الصلاة لانتظار كثرة الجمع
بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة اول الوقت فهي افضل من كثرة
الجماعة ومن تطويل السورة وقد قيل كانوا اذا احضر اثنان في
الجماعة لم ينتظروا الثالث واذا احضر اربعة في الجنازة لم ينتظروا
الخامس وقد تاخر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الفجر
وكانوا في سفر وانما تاخر للطهارة فلم ينتظر وقدم عبد الرحمن
ابن عوف فصلى بهم حتى فاتت رسول الله ركعة فقام يقضيها قال
فاشفقنا من ذلك فقال قد احسنتم هكذا فافعلوا وقد تاخر
في صلاة الظهر فقدموا ابا بكر حتى جا وهم في الصلاة فقام الى جانبه
وليس على الامام انتظار المؤذن وانما على المؤذن انتظار الامام
للاقامة فاذا حضر فلا ينتظر غيره الرابعة ان يؤم مخلصا لوجه الله
مؤديا امانة الله في طهارته وجميع شروط صلاته اما الاخلاص

الدارقطني من حديث ابي هريرة نحوه باسناد ضعيف

متفق عليه من حديث المغيرة

متفق عليه من حديث سهل بن سعد

فبان لا ياخذ عليها اجره فقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
عثمان بن العاص الثقفي فقال واتخذ موذنا لا ياخذ على
الاذان اجرا والاذان طريق الى الصلاة فهي اولى بان لا يوخذ
عليه اجر فان اخذ رزقا من المسجد قد وقف على من يقوم بامامته
او من السلطان او من احاد الناس فلا يحكم بتحريمه ولكنه مكروه
والكراهة في الفرايض اشد منها في التراويح ويكون اجره له على مداومته
على حضور الموضع ومراقبته مصالح المسجد في اقامة الجماعة
لا على نفس الصلاة واما الامانة فهي الطهارة باطنا عن الفسوق
والكباير والاصرار على الصغاير فالمترشح للامامة ينبغي ان
يحترز عن ذلك جهده فانه كالوفد والشفيع للقوم فينبغي ان
يكون خير القوم وكذا الطهارة ظاهرا عن الحدث والخبث فانه
لا يطلع عليه سواه فان تذكر في اثنا صلاته حدثا او خرج
منه ريح فلا ينبغي ان يستحي بل ياخذ بيد من يقرب منه
وليستخلفه فقد تذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنابة
في اثنا صلاته فاستخلف واغتسل ثم رجع ودخل في الصلاة
قال سفين صل خلف كل بر وفاجر الا مدمن خمر او معلن بالفسق
او عاق لوالديه او صاحب بدعة او عبد ابق الخامسة الا يكبر

حتى تستوي الصفوف فيلتفت يمينا وشمالا فان راى خللا
امر بالتسوية قيل كانوا يتحاذون بالمناكب ويتضامون
في الكعاب ولا يكبر حتى يفرغ الموذن من الاقامة والموذن
يوخر الاقامة عن الاذان بقدر استعداد الناس ففي الخبر
ليتمهل الموذن بين الاذان والاقامة بقدر ما يفرغ الاكل
من طعامه والمعتصر من اعتصاره وذلك لانه نهى عن مدافعة
الاخبثين وامر بتقديم العشا على العشا طلبا لفراغ القلب
السادسة ان يرفع صوته بتكبيرة الاحرام وساير التكبيرات
ولا يرفع الماموم صوته الا بقدر ما يسمع نفسه وينوي الامامة
لينال الفضل فان لم ينو صحت صلاته وصلاة القوم اذا نووا
الاقتدا ونالوا فضل القدوة وهو لا ينال فضل الامامة وليوخر
تكبيره عن تكبيرة الامام فيبتدي بعد فراغه **وظايف القراة**
ثلاثة فاولها ان يسر بدعا الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد
ويجهر بالقراة بالفاتحة والسورة في جميع الصبح واولتي العشا
والمغرب وكذا المنفرد ويجهر بقوله امين في الصلاة الجهرية وكذا
الماموم ويقرن الماموم تامينه بتامين الامام معا لا تعقيبا
ويجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والاخبار فيه متعارضة واختيار

النهي عن مدافعة الاخبثين مسلم من حديث عايشة بلفظ لا صلاة ... والبيهقي لا يصلين احدكم ... الحديث

الدارقطني والحاكم من حديث ابن عباس ... مسلم من حديث انس صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر فلم اسمع احدا منهم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والنسائي ... والدارقطني

الشافعي الجهرية الثانية ان يكون للامام في القيام ثلث سكتات هكذا رواه سمرة بن جندب وعمران بن حصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اولهن اذا كبر وهو الطول منهن مقدار ما يقرا من خلفه فاتحة الكتاب وذلك وقت قراته لدعا الاستفتاح فانه ان لم يسكت يفوتهم الاستماع فيكون عليه ما نقص من صلاتهم فان لم يقروا الفاتحة في سكوته واشتغلوا بغيرها فكذلك عليهم لا عليه والسكتة الثانية اذا فرغ من الفاتحة ليتم من لم يقرا الفاتحة في السكتة الاولى فاتحته وهي نصف السكتة الاولى السكتة الثالثة اذا فرغ من السورة قبل ان يركع وهي اخفها وذلك بقدر ما ينفصل القراة عن التكبير فقد نهي عن الوصل فيه ولا يقرا المأموم ورا الامام الا الفاتحة وان لم يسكت الامام قرا الفاتحة معه والمقصر هو الامام وان لم يسمع الامام في الجهرية لبعد او كان في السرية فلا باس بقرآته للسورة الثالثة ان يقرا في الصبح سورتين من المثاني ما دون المايه فان الاطاله في قراة الفجر والتغليس بها سنة ولا يضره الخروج منها مع الاسفار ولا باس ان يقرا في الثانية باواخر السور نحو الثلثين والعشرين الى ان يختمها لان ذلك لا يتكرر على الاسماع كثيرا فيكون ابلغ في الوعظ وادعى

الى التفكر وانما كره بعض العلما قراة بعض اول السورة وقطعها وقد روي انه عليه السلام قرا بعض سورة يونس فلما انتهى الى ذكر موسى وفرعون قطع فركع وقد روي انه قرا في الفجر اية من البقرة وهي قوله قولوا امنا بالله وفي الثانية ربنا امنا بما انزلت وسمع بلالا يقرا من هاهنا وهاهنا فسأله عن ذلك فقال اخلط الطيب بالطيب فقال احسنت ويقرا في الظهر طوال المفصل الى ثلثين اية وفي العصر نصف ذلك وفي المغرب باواخر المفصل واخر صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب قرا فيها سورة والمرسلات ما صلى بعدها حتى قبض وبالجملة التخفيف اولى سيما اذا كثر الجمع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الرخصة اذا صلى احدكم بالناس فليخفف فان فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة واذا صلى لنفسه فليصل ما شا وقد كان معاذ بن جبل يصلي بقوم العشا فيقرا البقرة فخرج رجل من الصلاة واتم لنفسه فقالوا نافق الرجل فتشاكيا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزجر معاذا وقال افتان انت اقرا سورة سبح والسما والطارق والشمس وضحاها **وظايف الاركان** ثلاثة احدها ان يخفف الركوع والسجود ولا يزيد في التسبيحات على ثلثة فقد روي

بلغ

عن انس انه قال ما رأيت أخف صلاة من رسول الله في تمام
نعم وروى ايضا ان انس لمن مالك لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز
وكان اميرا بالمدينة قال ما صليت وراء احد اشبه بصلاة
رسول الله من هذا الشاب قال وكنا نسبح وراءه عشرا عشرا
وروى مجملا انهم قالوا كنا نسبح وراء رسول الله في الركوع والسجود
عشرا وذلك حسن ولكن الثلث اذا كثر الجمع احسن فاما اذا لم
يحضر الا المتجردون للدين فلا باس بالعشر هذا وجه الجمع بين
الروايات وينبغي ان يقول الامام عند رفع راسه من الركوع
سمع الله لمن حمده الثانية المأموم ينبغي الا يساوق الامام في
الركوع والسجود بل يتاخر فلا يهوي للسجود الا اذا وصلت جبهة
الامام موضع السجود هكذا كان اقتدا الصحابة برسول الله ولا يهوي
للركوع حتى يستوي الامام راكعا وقد قيل ان الناس يخرجون من الصلاة
على ثلاثة اقسام طايفة بخمس وعشرين صلاة وهم الذين يكبرون ويركعون
بعد ركوع الامام وطايفة بصلاة واحدة وهم الذين يساوقونه
وطايفة بلا صلاة وهم الذين يسبقون الامام وقد اختلف في
ان الامام في الركوع هل ينتظر لحوق من دخل لينال به فضل جماعتهم
وادراكهم لتلك الركعة ولعل الاولى ان ذلك مع الاخلاص لا باس به

اذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين فان حقهم مرعي في ترك
التطويل عليهم الثالثة لا تزيد في دعاء التشهد على مقدار التشهد
حذرا من التطويل ولا يخص في الدعا نفسه بل ياتي بصيغة الجمع
فيقول اللهم اغفر لنا ولا يقول اغفر لي فقد كره للامام
ان يخص نفسه ولا باس ان يستعيذ في تشهده بالكلمات الخمس
الماثورة عن رسول الله صلى الله عليه فيقول نعوذ بك من عذاب
جهنم وعذاب القبر ونعوذ بك من فتنة المحيا والممات ومن
فتنة المسيح الدجال واذا اردت بقوم فتنة فاقبضنا اليك
غير مفتونين وقيل سمي مسيحا لانه يمسح الارض بطولها وقيل لانه
ممسوح العين اي مطموسها وظايف التحلل ثلاثة اولها ان ينوي
بالتسليمتين السلام على القوم والملايكة الثانية ان يثبت عقيب السلام
كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وابو بكر وعمر فيصلي النافلة في
موضع آخر فان كان خلفه نسوة لم يقم حتى ينصرفن وفي الخبر
المشهور انه لم يكن يقعد الا قدر قوله اللهم انت السلام ومنك
السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام الثالثة اذا وثب فينبغي
ان يقبل بوجهه على الناس ويكره للمأموم القيام قبل الامام فقد
روي عن طلحة والزبير انهما صليا خلف الامام فلما سلما قالا للامام

ما احسن صلاتك واتمها الا شيء واحد انك لما سلمت لم تقبل
بوجهك ثم قال للناس ما احسن ما انكم انصرفتم قبل ان يقبل امامكم
ثم ينصرف الامام حيث شاء من يمينه وشماله واليمين احب هذه وظيفة
الصلاة اما الصبح فيزيد فيها القنوت فيقول اللهم اهدنا ولا يقول
اللهم اهدني ويؤمن المأموم فاذا انتهى الى قوله انك تقضي ولا يقضى
عليك فلا يليق به التأمين وهو ثنا فيقرأ معه او قال بلى وانا على ذلك
من الشاهدين او صدقت وبررت وما يشبه ذلك وقد روي حديث
في رفع اليدين في القنوت فاذا صح الحديث استحب ذلك وان كان
على خلاف الدعوات في اخر التشهد اذ لا يرفع بسببها اليد بل التعويل
على التوقيف وبينهما ايضا فرق وهو ان لليد وظيفة في التشهد وهو
الوضع على الفخذين على هيئة مخصوصة ولا وظيفة لهما هاهنا فلا
يبعد ان يكون رفع اليد هو الوظيفة في القنوت فانه لائق بالدعا
والله اعلم فهذه جمل اداب القدوة والامامة

الباب الخامس في فضل الجمعة وادابها

وسننها وشروطها فضيلة الجمعة اعلم ان هذا يوم عظم
الله به الاسلام وخص به المسلمين وقال تعالى اذا نودي للصلاة
من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله حرم الاشتغال بامور الدنيا

وبكل صارف عن السعي الى الجمعة وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله قد فرض عليكم الجمعة في يومي هذا في مقامي هذا وقال
صلى الله عليه وسلم من ترك الجمعة ثلثا من غير عذر طبع على قلبه
وفي لفظ اخر فقد نبذ الاسلام وراء ظهره واختلف رجل الى
ابن عباس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد جمعة ولا جماعة
فقال في النار فلم يزل يردد اليه شهرا يسأله عن ذلك وهو يقول
في النار وفي الخبر ان اهل الكتابين اعطوا يوم الجمعة فاختلفوا
فيه فصرفوا عنه وهدانا الله له واخره لهذه الامة وجعله
عيدا لهم فهم اولى الناس به سبقا واهل الكتابين لهم تبع
وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولامتك
من بعدك قلت فما لنا فيها قال لكم فيها خير ساعة من دعا فيها بخير
هو له قسم اعطاه الله او ليس له قسم ذخر له ما هو اعظم منه
او تعوذ من شر هو مكتوب عليه الا اعاذه الله تعالى من اعظم منه
وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه في الاخرة يوم المزيد قلت
ولم قال ان ربك اتخذ في الجنة واديا افيح من مسك ابيض فاذا كان
يوم الجمعة نزل من عليين على كرسيه فيتجلى لهم حتى ينظروا الى
وجهه وقال صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة

وفيه خلق ادم عليه السلام وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط الى
الارض وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد لذلك
تسميه الملايكة في السما وهو يوم النظر الى الله تعالى في الجنة
وفي الخبر ان لله عز وجل في كل جمعة ستماية الف عتيق من النار
وفي حديث انس انه صلى الله عليه وسلم قال اذا سلمت الجمعة
سلمت الايام وقال صلى الله عليه وسلم ان الجحيم تسعر في كل يوم
قبل الزوال عند استوا الشمس في كبد السما فلا تصلوا في هذه الساعة
الا يوم الجمعة فانه صلوة كله وان جهنم لا تسعر فيه وقال كعب
ان الله تعالى فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام
الجمعة ويقال ان الطير والهوام تلقى بعضها بعضا يوم الجمعة
كتب الله له اجر شهيد ووقي فتنة القبر **بيان** شروط الجمعة
اعلم انها تشارك ساير الصلوات في الشروط وتتميز عنها بستة
شروط الاول الوقت فلو وقعت تسليمة الامام في وقت العصر فاتت
الجمعة فعليه ان يتمها ظهرا والمسبوق اذا وقعت ركعته الاخيرة
خارجا من الوقت ففيه خلاف الثاني المكان فلا تصح في الصحاري
والبوادي وبين الخيام بل لا بد من بقعة جامعة لابنية لا تنقل
يجمع اربعين ممن يلزمهم الجمعة والقرية فيه كالبلد ولا تشترط حضور

السلطان ولا اذنه ولكن الاحب استيذانه الثالث
العدد فلا تنعقد باقل من اربعين ذكورا مكلفين احرارا مقيمين لا يظعنو
شتا ولا صيفا فاذا انفضوا حتى نقص العدد اما في الخطبة او في الصلاة
لم تصح الجمعة بل لا بد منهم من الاول الى الاخر الرابع الجماعة فلو صلى
اربعون في قرية او بلدة متفرقين لم تصح جمعتهم ولكن المسبوق لو ادرك
الركعة الثانية جاز له الانفراد بالركعة الثانية وان لم يدرك ركوع
الركعة الثانية اقتدى ونوى الظهر واذا سلم الامام تممه ظهرا
الخامس الا تكون الجمعة مسبوقة باخرى في تلك البلدة فان تعذر
اجتماعهم في جامع واحد جاز في جامعين وثلثة بقدر الحاجة وان لم تكن
حاجة فالصحيح الجمعة التي وقع بها التحرم اولا واذا تحققت الحاجة
فالافضل الصلاة خلف الافضل من الامامين فان تساويا فالمسجد
الاقدم فان تساويا ففي الاقرب ولكثرة الناس ايضا فضل يرعى
السادس الخطبتان فهما فريضتان والقيام فيهما فريضة والجلسة
بينهما فريضة وفي الاولى اربع فرايض التحميد واقله الحمد لله
الثانية الصلاة على رسول الله الثالثة الوصية بتقوى الله الرابعة
قراة اية من القران وكذا فرايض الثانية اربعة الا انه يجب فيه الدعا
بدل القراة واستماع الخطبة واجب من الاربعين واما السنن

فاذا زالت الشمس واذن المؤذن وجلس الامام على المنبر انقطعت
الصلاه سوى التحيه والكلام لا ينقطع الا بافتتاح الخطبه ويسلم
الخطيب على الناس اذا اقبل عليهم بوجهه ويردون عليه السلام فاذا
فرغ المؤذن قام مقبلا على الناس بوجهه لا يلتفت ويشغل يديه
بقايمة السيف او العنزه كيلا يعبث بهما او يضع احديهما على الاخرى
ويخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفه ولا يستعمل غريب اللغه
ولا يمطط ولا يتغنى ويكون الخطبة قصيرة بليغه جامعه ويستحب
ان يقرا ايه في الثانيه ولا يسلم من دخل والخطيب يخطب فان سلم
لم يستحق جوابا والاشاره بالجواب حسن ولا يشمت العاطس ايضا
هذه شروط الصحة فاما شروط الوجوب فلا تجب الجمعة الا
على كل ذكر عاقل بالغ مسلم حر مقيم في قرية تشتمل على اربعين
جامعين لهذه الصفات او في قرية من سواد البلد يبلغهما ندا
البلد من طرف يليها والاصوات ساكنه والمؤذن رفيع الصوت
لقوله تعالى اذا نودي للصلاة من يوم الجمعه فاسعوا ورخص لهولا
في ترك الجمعه بعذر المطر والوحل والفزع والمرض والتمريض اذا لم
يكن للمريض قيم ثم يستحب لهم تاخير الظهر الى ان يفرغ الناس من الجمعه

وان حضر الجمعة مريض او مسافر او عبد او امراة صحت جمعتهم
واجزاتهم عن الظهر **بيان** اداب الجمعة على ترتيب العاده وهي
على عشر جمل الاول ان يستعد لها يوم الخميس عزما عليها
واستقبالا لفضلها فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح
بعد العصر يوم الخميس لانها ساعة قوبلت بالساعة المبهمه
في يوم الجمعه قال بعض السلف ان لله فضلا سوى ارزاق العباد
لا يعطي من ذلك الفضل الا من ساله عشية الخميس ويوم الجمعه
ويغسل في هذا اليوم ثيابه ويبيضها ويعد الطيب ان لم يكن عنده
ويفرغ قلبه من الاشغال التي تمنعه من البكور الى الجمعه وينوي في
هذه الليله صوم يوم الجمعة فان له فضلا ولكن مضموما الى يوم
الخميس او السبت لا مفردا فانه مكروه وليشتغل باحيا هذه
الليله بالصلاه وختم القرآن فلها فضل كثير وينسحب عليها فضل
يوم الجمعة ويجامع اهله في هذه الليله او في يوم الجمعة فقد
استحب ذلك قوم وحملوا عليه قوله صلى الله عليه وسلم رحم الله
من بكر وابتكر وغسل واغتسل وهو حمل الاهل على الغسل وقيل
معناه غسل ثيابه فروي بالتخفيف واغتسل لجسده وبهذا يتم
ادب الاستقبال ويخرج عن زمرة الغافلين الذين اذا اصبحوا قالوا

اصحاب السنن وابن حبان والحاكم
وصححه من حديث اوس بن اوس
من غسل يوم الجمعة واغتسل وابكر
وابتكر الحديث وحسنه الترمذي
ع

ما هذا اليوم قال بعض السلف اوفر الناس نصيبا من يوم الجمعة
من انتظرها وراعاها من الامس واخسهم نصيبا من اصبح فيقول
ايش اليوم وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة في الجامع لاجلها الثاني
اذا اصبح ابتدأ بالغسل بعد طلوع الفجر وان كان لا يبكر فاقربه الى
الرواح احب ليكون اقرب عهدا بالنظافة والغسل مستحب استحبابا
مؤكدا وذهب بعض العلماء الى وجوبه قال صلى الله عليه وسلم غسل
الجمعة واجب على كل محتلم والمشهور من حديث نافع عن ابن عمر
من اتى الجمعة فليغتسل وقال صلى الله عليه من شهد الجمعة
من الرجال والنسا فليغتسلوا وكان اهل المدينة يتسابون بينهم
فيقولون لانت شر ممن لا يغتسل يوم الجمعة وقال عمر لعثمن لما
دخل وهو يخطب اهذه الساعة منكرا عليه ترك البكور فقال
ما زدت بعد ان سمعت الاذان على ان توضات وخرجت فقال والوضو
ايضا وقد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يامر بالغسل
وقد عرف جواز ترك الغسل بوضوء عثمان وبما روي انه صلى الله عليه
وسلم قال من توضا يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل
افضل ومن اغتسل للجنابة فليفض الما على بدنه مرة اخرى على نية غسل
الجمعة فان اكتفى بغسل واحد اجزاه وحصل له الفضل اذا نوى كليهما

ودخل غسل الجمعة في غسل الجنابة وقد دخل بعض الصحابة على ولده
وقد اغتسل فقال للجمعة فقال بل من جنابة فقال اعد غسلا ثانيا
وروى الحديث في غسل الجمعة على كل محتلم وانما امره به لانه لم يكن نواه
ولكن لا يبعد ان يقال المقصود النظافة وقد حصلت دون النية ولكن هذا
يقدح في الوضو ايضا وقد جعل في الشرع قربة فلا بد من طلب فضلها
ومن اغتسل ثم احدث توضا ولم يبطل غسله والاحب ان يحترز عن ذلك
الثالث الزينة وهي مستحبة في هذا اليوم وهي في ثلثة الكسوة والنظافة
وتطييب الرائحة اما النظافة فبالسواك وحلق الشعر وقلم الظفر
وقص الشارب وساير ما سبق في كتاب الطهارة قال ابن مسعود
من قلم اظفاره يوم الجمعة اخرج الله منه دا وادخل فيه شفا وان كان
قد دخل الحمام في الخميس والاربعا فقد حصل المقصود وليتطيب
في هذا اليوم باطيب طيب عنده ليغلب بها الروايح الكريهة ويوصل
بها الروح والرائحة الى مشام الحاضرين في جواره واحب طيب
الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه واحب طيب النسا ما ظهر لونه وخفي
ريحه روي ذلك في الاثر وقال الشافعي من نظف ثوبه قل همه
ومن طاب ريحه زاد عقله واما الكسوة فاحبها البيض من الثياب
اذ احب الثياب الى الله البيض ولا يلبس ما فيه شهرة ولبس السواد ليس

ابو داود والترمذي من حديث ابي هريرة والنسائي ... رضي الله عنه

من السنة ولا فيه فضل بل كره جماعة النظر اليه لانه بدعة
محدثة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمامه مستحبة في هذا
اليوم روى واثلة بن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله وملايكته يصلون على اصحاب العمايم يوم الجمعه فان اكربه
الحر فلا باس بنزعها قبل الصلاه وبعدها ولكن لا ينزع في وقت السعي
من المنزل الى الجمعه في وقت الصلاه وعند صعود الامام المنابر
وفي خطبته الرابع البكور الى الجامع ويستحب ان يقصد الجامع من
فرسخين وثلثه وليبكر ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر وفضل البكور
عظيم وينبغي ان يكون في سعيه الى الجمعة خاشعا متواضعا ناويا
للاعتكاف في المسجد الى الصلاه قاصدا للمبادرة الى جواب ندا الله
اياه الى الجمعة والمسارعه الى مغفرته ورضوانه وقد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من راح الى الجمعة في الساعة الاولى فكانما
قرب بدنه ومن راح في الساعة الثانيه فكانما قرب بقره ومن راح
في الساعة الثالثه فكانما قرب كبشا اقرن ومن راح في الساعة
الرابعة فكانما اهدى دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكانما
اهدى بيضة فاذا خرج الامام طويت الصحف ورفعت الاقلام
واجتمعت الملايكه عند المنبر يستمعون الذكر فمن جا بعد ذلك فانما

جا لحق الصلاه ليس له من الفضل شي والساعة الاولى الى طلوع
الشمس والثانية الى ارتفاعها والثالثه الى انبساطها حين ترمض
الاقدام والرابعه والخامسه بعد الضحى الاعلى الى الزوال وفضلهما
قليل ووقت الزوال حق الصلاه ولا فضل فيه وقال صلى
الله عليه وسلم ثلث لو يعلم الناس ما فيهن لركضوا الابل في
طلبهن الاذان والصف الاول والغدو الى الجمعة وقال احمد
ابن حنبل افضلهن الغدو الى الجمعه وفي الخبر اذا كان يوم الجمعة
قعدت الملايكه على ابواب المسجد بايديهم صحف من فضة واقلام
من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وجا في الاثر ان الملايكه
يتفقدون العبد اذا تاخر عن وقته يوم الجمعه فيسال بعضهم
بعضا عنه ما فعل فلان وما الذي اخره عن وقته فيقولون
اللهم ان كان اخره فقر فاغنه وان كان اخره مرض فاشفه
وان كان اخره شغل ففرغه لعبادتك وان كان اخره لهو فاقبل بقلبه
الى طاعتك وكان يرى في القرن الاول سحرا وبعد الفجر الطرقات مملوه
من الناس يمشون في السرج ويزدحمون فيها الى الجامع كايام العيد
حتى اندرس ذلك فقيل اول بدعة احدثت في الاسلام ترك البكور الى
الجامع وكيف لا يستحي المومنون من اليهود والنصارى وهم يبكرون الى

البيع والمكايس يوم للاحد وطلاب الدنيا كيف يبكرون الى رحاب
الجامع للبيع والربح فلم لا يسابقهم طالب الاخرة ويقال ان الناس
يكونون في قربهم عند النظر الى الله على قدر بكورهم الى الجمعة
ودخل ابن مسعود بكرة فراى ثلاثة نفر قد سبقوه بالبكور فاغتم
لذلك وجعل يقول لنفسه معاتبا لها رابع اربعة وما رابع اربعة
ببعيد الخامس في هيئة الدخول فينبغي الا يتخطى رقاب الناس ولا يمر
بين ايديهم والبكور يسهل عليه ذلك فقد ورد وعيد شديد في
تخطي الرقاب وهو انه يجعل جسرا يوم القيمة يتخطاه الناس
وروى ابن جريج مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم بينما هو
يخطب يوم الجمعة اذ راى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم
فجلس فلما قضى النبي صلاته عارض الرجل حتى لقيه فقال يا فلان
ما منعك ان تجمع اليوم معنا فقال يا نبي الله قد جمعت فقال الم
ارك تتخطى رقاب الناس اشار به الى انه احبط عمله وفي حديث
مسند انه قال ما منعك ان تصلي معنا فقال او لم ترني فقال رايتك
انيت واذيت اي تاخرت عن البكور واذيت الحضور ومهما كان
الصف الاول متروكا خاليا فله ان يتخطى رقاب الناس لانهم ضيعوا
حقهم وتركوا موضع الفضيلة قال الحسن تخطوا رقاب الناس

ما منعك ان تصلي معنا قال او لم ترني قال رايتك انيت واذيت ابو داود والنسائي وابن حبان والحاكم من حديث عبد الله بن بسر مختصرا

الذين يقعدون على ابواب الجامع يوم الجمعة فانه لا حرمة
لهم واذا لم يكن في المسجد الا من يصلي فينبغي الا يسلم فانه
تكليف جواب في غير محله السادس الا يمر بين يدي الناس ويجلس
هو الى قرب من اسطوانة او حايط حتى لا يمرون بين يديه اعني بين
يدي المصلين فان ذلك لا يقطع الصلاة ولكنه منهي عنه قال
صلى الله عليه وسلم لان يقف اربعين سنة خير له من ان يمر بين
يدي المصلي وقال لان يكون الرجل رمادا او مدرا تذروه
الرياح خير له من ان يمر بين يدي المصلي وروي في حديث اخر المار
والمصلي حيث صلى على الطريق او قصر في الدفع فقال لو يعلم المار
بين يدي المصلي ما عليهما في ذلك لكان ان يقف اربعين خير له من
ان يمر بين يديه والاسطوانة والحايط والمصلي المفروش حد
المصلي فمن اجتازه فينبغي ان يدفعه قال صلى الله عليه وسلم
ليدفعه فان ابى فليدفعه فان ابى فليقاتله فانه شيطان
وكان ابو سعيد الخدري يدفع من يمر بين يديه حتى يصرعه
فربما تعلق به الرجل فاستعدى عليه مروان فيخبره ان النبي صلى
الله عليه وسلم امره بذلك فان لم يجد اسطوانة فلينصب بين
يديه شيئا طوله قدر الذراع ليكون ذلك علامة لحده

ابو نعيم في تاريخ اصبهان وابن عبد البر في التمهيد موقوفا على عبد الله بن عمرو وزاد منهما والمصلي

متفق عليه

السابع ان يطلب الصف الاول فان فضله كثير كما رويناه
وفي الخبر من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الامام واستمع
كان له ذلك كفارة لما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة ايام وفي
لفظ آخر غفر الله له الى الجمعة الاخرى وقد اشترط في بعضها ولم
يتخط رقاب الناس ولا يغفل في طلب الصف الاول عن ثلاثة امور
اولها انه ان كان يرى بقرب الخطيب منكرا يعجز عن تغييره من لبس حرير
من الامام او غيره او صلاة في سلاح كثير ثقيل شاغل او سلاح مذهب
او غير ذلك مما يجب عليه الانكار فالتأخر له اسلم واجمع للهم
فعل ذلك جماعة من العلما طلبا للسلامة قيل لبشر بن الحرث نراك
تبكر وتصلي في آخر الصفوف فقال انما يراد قرب القلوب لا قرب
الاجساد واشار به الى ان ذلك اسلم لقلبه ونظر سفين الثوري الى
شعيب بن الحرث عند المنبر يستمع الى الخطبة من ابي جعفر فلما
فرغ من الصلاة قال شغل قلبي قربك من هذا هل امنت ان تسمع كلاما
يجب عليك انكاره فلا تقوم به ثم ذكر ما احدثوا من لبس السواد
قال يا ابا عبد الله اليس في الخبر ادن واستمع فقال ويحك ذاك
للخلفا الراشدين المهديين فاما هولا فكلما بعدت عنهم ولم تنظر
اليهم كان اقرب الى الله عز وجل وقال سعيد بن عامر صليت الى جنب ابي الدردا

اقرب الى

فجعل يتأخر في الصفوف حتى كنا في آخر صف فلما صلينا
قلت له اليس يقال خير الصفوف اولها فقال نعم الا ان هذه
امة مرحومة منظور اليها من بين الامم فان الله تعالى اذا نظر
الى العبد في الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس وانما تأخرت رجا ان
يغفر لي بواحد منهم ينظر الله اليه وروى بعض الرواة انه قال
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك فمن تأخر على هذه
النية ايثارا واظهارا لحسن الخلق فلا باس وعند هذا يقال
الاعمال بالنيات ثانيها انه ان لم يكن مقصورة عند الخطيب
مقتطع عن المسجد للسلاطين فالصف الاول محبوب والا فقد
كره بعض العلماء دخول المقصورة كان الحسن وبكر المزني لا يصليان
في المقصورة ورأوا انها قصرت على السلطان وهي بدعة احدثت
بعد رسول الله في المساجد والمسجد مطلق لجميع الناس وقد اقتطع
ذلك على خلافه مغويه وصلى انس بن مالك وعمران بن حصين في
المقصورة ولم يكرهوا ذاك لطلب القرب ولعل الكراهة تختص بحالة
التخصيص والمنع فاما مجرد المقصورة اذا لم يكن منع لا يوجب كراهة
ثالثها ان المنبر وما على طرفيه مقطوع وكان الثوري يقول الصف
الاول هو الخارج بين يدي المنبر وهو متجه لانه متصل ولان الجالس

يقطع بعض الصفوف وانما الصف الاول الواحد المتصل الذي في فنا المنبر

بينه يقابل الخطيب ويسمع ولا يبعد ان يقال الاقرب الى القبلة
هو الصف الاول ولا يراعى هذا المعنى وتكره الصلاة في الاسواق
والرحاب الخارجة من المسجد وكان بعض الصحابة يضرب الناس
ويقيمهم من الرحاب الثامن ان يقطع الصلاة عند خروج الامام
ويقطع الكلام ايضا بل يشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة
وقد جرت عادة بعض العوام بسجود عند قيام المؤذنين ولا يثبت
له اصل في اثر وخبر لكنه ان وافق سجود تلاوة فلا باس به للدعا
لانه وقت فاضل ولا يحكم بتحريم هذا السجود فانه لا سبب لتحريمه
وقد روي عن علي وعثمان رضي الله عنهما من استمع فانصت فله اجران
ومن لم يستمع وانصت فله اجر ومن سمع ولغا فعليه وزر واحد
ومن لم يستمع ولغا فعليه وزران وقال صلى الله عليه وسلم من قال
لصاحبه والامام يخطب انصت او صه فقد لغى ومن لغا والامام
يخطب فلا جمعة له وهذا يدل على ان الاسكات ينبغي ان يكون باشارة
او رمي حصاة لا بالنطق وفي حديث ابي ذر لما سال ابيا والنبي صلى
الله عليه وسلم يخطب فقال له متى نزلت هذه السورة فاومى اليه
ان اسكت فلما نزل صلى الله عليه وسلم قال له اذهب فلا جمعة
لك فشكاه ابو ذر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال صدق اي وان

كان بعيدا من الامام فلا ينبغي ان يتكلم في العلم وغيره بل
يسكت لان ذلك يتسلسل ويفضي الى هينمة تسري الى المستمعين
ولا يجلس في حلقة من يتكلم فمن عجز عن الاستماع بالبعد فلينصت
فهو المستحب واذا كان يكره الصلاة في وقت خطبة الامام
فالكلام اولى قال علي رضي الله عنه تكره الصلاة في اربع ساعات
بعد الفجر وبعد العصر ونصف النهار والصلاة والامام يخطب
التاسع ان يراعي في قدوة الجمعة ما ذكرناه في غيرها فاذا سمع
قراءة الامام لم يقرا سوى الفاتحة فاذا فرغ من الجمعة قرا
الحمد سبع مرات قبل ان يتكلم وقل هو الله احد سبعا والمعوذتين
سبعا سبعا فروي عن السلف ان من فعله عصم من الجمعة الى
الجمعة وكان حرزا له من الشيطان ويستحب ان يقول بعد صلاة
الجمعة اللهم يا غني يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود اغنني
بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك فيقال من داوم على هذا
الدعا اغناه الله عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب ثم يصلي بعد
الجمعة ست ركعات فقد روى ابن عمر انه عليه السلام كان
يصلي بعد الجمعة ركعتين وروى ابو هريرة اربعا وروى علي وعبد الله
ستا والكل صحيح في احوال مختلفة والاكمل افضل العاشر ان يلازم

مسلم اذا صلى احدكم الجمعة فليصل بعدها اربعا

البيهقي موقوفا على علي ... موقوفا عن ابن مسعود اربعا ولابي داود من حديث ابن عمر كان اذا كان بمكة صلى بعد الجمعة ستا

المسجد حتى يصلي العصر فان وقف الى المغرب فهو الافضل يقال
من صلى العصر في الجامع كان له ثواب الحج ومن صلى المغرب فله
ثواب عمرة فان لم يأمن التصنع ودخول الآفة عليه من نظر
الخلق اليه اعتكافه او خاف الخوض فيما لا يعني فالافضل ان يرجع
الى بيته ذاكرا لله تعالى مفكرا في آلائه شاكرا على توفيقه خائفا
من تقصيره مراقبا لقلبه ولسانه الى غروب الشمس حتى لا يفوته
الساعة الشريفة ولا ينبغي ان يتكلم في الجامع وغيره من المساجد
بحديث الدنيا قال صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان يكون
حديثهم في مساجدهم ليس لله فيهم حاجة فلا تجالسوهم

بيان الآداب

والسنن الخارجة عن الترتيب السابق الذي يعم جميع النهار وهي سبعة
الاول ان يحضر مجالس العلم بكرة او بعد العصر ولا يحضر مجالس القصاص
فلا خير في كلامهم ولا ينبغي ان يخلو المريد في جميع يوم الجمعة عن الخيرات
والدعوات حتى توافيه الساعة الشريفة وهو في خير ولا ينبغي
ان يحضر الحلق قبل الصلاة روى عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه
وسلم نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة الا ان يكون عالما
بالله يذكر بايام الله ويفقه في دين الله يتكلم في الجامع بالغداة
فيجلس اليه فيكون جامعا بين البكور واستماع العلم النافع في الآخرة

افضل من اشتغاله بالنوافل فقد روى ابو ذر ان حضور مجلس
علم افضل من صلاة الف ركعة قال انس بن مالك في قوله
فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله
اما انه ليس بطلب الدنيا ولكن عيادة مريض وشهود جنازة
وتعلم علم وزيارة اخ في الله وقد سمى الله العلم فضلا في مواضع
قال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقال
ولقد آتينا داود منا فضلا يعني العلم فتعليم العلم في هذا اليوم
وتعلمه القربات والصلاة افضل من مجلس القصاص اذ كانوا
يرونه بدعة ويخرجون القصاص من الجامع حضر ابن عمر الى
مجلسه في المسجد فاذا قاص يقص في موضعه فقال له قم عن مجلسي
فقال لا اقوم وقد جلست وسبقتك اليه فارسل ابن عمر الى
صاحب الشرطة فاقامه ولو كان ذلك من السنة لما حل اقامته
فقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقيمن احدكم اخاه من مجلسه ثم يجلس
فيه ولكن توسعوا وتفسحوا وكان ابن عمر اذا قام له الرجل من مجلسه
لم يجلس فيه حتى يعود اليه وروي ان قاصا كان يجلس بفناء حجرة
عائشة فارسلت الى ابن عمر ان هذا قد اذاني بقصصه وشغلني عن
سبحتي فضربه ابن عمر حتى كسر عصا على ظهره ثم طرده الثاني

ان يكون حسن المراقبه للساعة الشريفه ففي الخبر المشهور ان
في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسال الله تعالى فيها شيئا
الا اعطاه وفي خبر آخر لا يصادفها عبد يصلي واختلف فيها فقيل
انها عند طلوع الشمس وقيل عند الزوال وقيل مع الاذان وقيل
اذا صعد الخطيب المنبر واخذ في الخطبة وقيل اذا قام الناس الى
الصلاة وقيل آخر وقت العصر اعني وقت الاختيار وقيل قبيل
غروب الشمس وكانت فاطمة رضي الله عنها تراعي ذلك الوقت
وتامر خادمها ان تنظر الى الشمس فتوذنها بسقوطها فتاخذ
في الاستغفار والدعا الى ان تغرب الشمس وتخبر بان تلك الساعة
هي المنتظره وتاثره عن ابيها وقال بعض العلماء هي مبهمة في
جميع اليوم مثل ليلة القدر حتى تتوفر الدواعي على مراقبته
وقد قيل انها تنتقل في ساعات يوم الجمعه كتنقل ليلة القدر
وهذا هو الاشبه وله سر لا يليق بعلم المعاملة ذكره ولكن
ينبغي ان يصدق بما قال صلى الله عليه وسلم ان لربكم في ايام
دهركم نفحات الا فتعرضوا لها ويوم الجمعه من تلك الايام
فينبغي ان يكون العبد في جميع نهاره متعرضا له باحضار القلب
وملازمة الذكر والنزوع عن وسواس الدنيا فعساه يحظى بشيء

من تلك النفحات وقد قال كعب الاحبار انها في آخر ساعة من يوم
الجمعة وذلك عند الغروب فقال ابو هريره كيف تكون آخر
ساعة وقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يوافقها
عبد يصلي ولات حين صلاة فقال كعب الم يقل رسول الله
من قعد ينتظر الصلاة فهو في الصلاة قال بلى قال فذلك صلاة
فسكت ابو هريره وكان كعب مايلا الى انها رحمة من الله للقائمين
بحق اليوم وان ارسالها عند الفراغ من تمام العمل وبالجملة هذا
وقت شريف مع وقت صعود الامام المنبر فليكثر الدعا فيهما
الثالث يستحب ان يكثر الصلاة على رسول الله في هذا اليوم
فقد قال صلى الله عليه وسلم من صلى علي في يوم الجمعه ثمانين
مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف الصلاة
عليك قال تقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك
رضى ولحقه عنا اداء واعطه الوسيلة والمقام المحمود الذي وعدته
واجزه عنا ما هو اهله واجزه افضل ما جزيت نبيا عن امته وصل
على جميع اخوانه من النبيين والصالحين يا ارحم الراحمين تقول هذا
سبع مرات فقد قيل من قالها في سبع جمع في كل جمعة سبع مرات
وجبت له شفاعته صلى الله عليه وسلم وان اراد ان يزيد

اتى بالصلوات المأثورة فقال اللهم اجعل فضائل صلواتك
ونوامي بركاتك وشرايف زكواتك ورافتك ورحمتك وتحياتك
على محمد سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين ورسول رب
العالمين قايد الخير وفاتح البر ونبي الرحمة وسيد الامة اللهم
ابعثه مقاما محمودا تزلف به قربه وتقربه عينه تغبطه به الاولون
والاخرون اللهم اعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة
والدرجة الرفيعة والمنزلة الشامخة المنيفة اللهم اعط محمدا
سوله وبلغه مامولة واجعله اول شافع واول مشفع اللهم
عظم برهانه وثقل ميزانه وافلج حجته وارفع في اعلى المقربين درجته
اللهم احشرنا في زمرته واجعلنا من اهل شفاعته واحينا على
سنته وامتنا على ملته واوردنا حوضه واسقنا بكاسه غير خزايا
ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فاتنين ولا مفتونين امين
رب العالمين وعلى الجملة كل ما اتى به من الفاظ الصلاة
ولو المشهور في التشهد كان مصليا وينبغي ان يضيف اليه
الاستغفار فان ذلك ايضا مستحب في هذا اليوم الرابع
قراة القران فليكثر منه وليقرا سورة الكهف خاصة فقد روى
ابن عباس وابو هريرة من قرا سورة الكهف ليلة الجمعة ويوم

الجمعة اعطي نورا من حيث يقراها الى مكة وغفر له الى الجمعة
الاخرى وفضل ثلاثة ايام وصلى عليه سبعون الف ملك حتى يصبح
وعوفي من الداء والدبيلة وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة
الدجال ويستحب ان يختم القران في يوم الجمعة وليلته ان قدر
وليكن ختمه للقران في ركعتي الفجر ان قرا بالليل او في ركعتي المغرب
او بين الاذان والاقامة للجمعة فله فضل عظيم وكان العابدون
يستحبون ان يقرءوا يوم الجمعة قل هو الله احد الف مرة ويقال
ان من قراها في عشر ركعات او في عشرين فهو افضل من ختمه وكانوا
يصلون على النبي الف مرة ويقولون سبحان الله والحمد لله ولا اله الا
الله والله اكبر الف مرة وان قرا المسبحات الست في يوم الجمعة
او ليلتها فحسن وليس يروى انه صلى الله عليه وسلم كان يقرا
سورا باعيانها الا في يوم الجمعة وليلتها كان يقرا في صلاة العشا
الاخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة وسورة المنافقين وروي انه
كان يقراهما في ركعتي الجمعة وكان يقرا في الصبح يوم الجمعة سورة
سجدة لقمان وسورة هل اتى على الانسان الخامس الصلوات يستحب
اذا دخل الجامع الا يجلس حتى يصلي اربع ركعات يقرا فيهن قل هو
الله احد مائتي مرة في كل خمسين مرة فقد نقل عن رسول الله صلى

الله عليه وسلم ان من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة
او يرى له ولا يدع ركعتي التحية وان كان الامام يخطب ولكن يخفف
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وفي حديث غريب انه
صلى الله عليه سكت للداخل حتى فرغ فقال الكوفيون ان سكت له
الامام صلاهما ويستحب في هذا اليوم ان يصلي اربع ركعات باربع
سور الانعام والكهف وطه ويس فان لم يكن يحسن قرا يس وسجدة
لقمن وسورة الدخان وسورة الملك ولا يدع قراة هذه الاربع
سور في ليلة الجمعة ففيه فضل كبير ومن لا يحسن القرآن قرا
ما يحسن فهو له بمنزلة ختمه ويكثر من سورة الاخلاص ويستحب
ان يصلي صلاة التسبيح كما يأتي في باب التطوعات كيفيته روي
انه صلى الله عليه وسلم قال صلها في كل جمعة وكان ابن عباس
لا يدع هذه الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال وكان يخبر عن جلاله
فضلها والاحسن ان يجعل وقته الى الزوال للصلاة وبعد الجمعة
الى العصر لاستماع العلم وبعده الى المغرب للتسبيح والاستغفار
السادس الصدقة مستحبة في هذا اليوم خاصة فانها تضاعف
الا على من سال والامام يخطب وكان يتكلم في كلام الامام وهذا
مكروه قال صالح بن احمد سال مسكين يوم الجمعة والامام

يخطب وكان الى جنب ابي فاعطا رجل اي قطعة ولم يعرفه لينا وله
اياها فلم ياخذها منه ابي وقال ابن مسعود اذا سال الرجل
في المسجد فقد استحق ان لا يعطى واذا سال على القرآن فلا تعطوه
ومن العلما من كره الصدقة على سوال الجامع الذين يتخطون رقاب الناس
الا ان يسال قايما او قاعدا في مكان من غير تخطي وقال كعب الاحبار
من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيين مختلفين من الصدقة
ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعهما وخشوعهما ثم يقول اللهم اني
اسلك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا اله الا هو
الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم لم يسال الله تعالى شيا الا
اعطاه وقال بعض السلف من اطعم مسكينا يوم الجمعة ثم
غدا وابتكر ولم يوذ احدا ثم قال حين يسلم الامام بسم الله
الرحمن الرحيم الحي القيوم اسلك ان تغفر لي وترحمني وان تعافيني من
النار ثم دعا بما بدا له استجيب له السابع ان يجعل يوم الجمعة
للاخرة فيكف فيه عن جميع اشغال الدنيا ويكثر فيه الاوراد
ولا يبتدي فيه السفر فقد روي ان من سافر في ليلة الجمعة دعا
عليه ملكاه وهو بعد طلوع الفجر حرام الا اذا كانت الرفقة
تفوت وكره بعض السلف شرا الما في المسجد من السقايين لشربه

الدارقطني في الافراد من حديث ابن عمر وفيه ابن لهيعة وقال الازدي [illegible] والخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابي هريرة بسند ضعيف جدا ع

اوبيتشبله كى لا يكون متباعا فى المسجد فان البيع والشرى فى المسجد
مكروه وقالوا لا باس لو اعطى القطعه خارج المسجد ثم شرب او
سبل فى المسجد وبالجملة ينبغى ان يزيد فى الجمعة فى اوراده وانوا ع
خيراته فان الله اذا احب عبدا استعمله فى الاوقات الفاضله
بفواضل الاعمال واذا مقته استعمله فى الاوقات الفاضله بسيّى
الاعمال ليكون اوجع فى عقابه واشد لمقته لحرمانه بركة الوقت
وانتهاكه حرمة الوقت ويستحب فى الجمعة دعوات وسياتى فى
كتاب الدعوات

الباب السادس

فى مسايل متفرقة تعم البلوى بها ويحتاج المريد الى معرفتها
فاما المسايل التى تقع نادره فقد استقصيناها فى كتب الفقه

مسئلة الفعل القليل وان كان لا يبطل الصلاه فهو مكروه الا
لحاجة وذلك فى دفع المار او قتل العقرب الذى يخاف ويمكن قتلها
بضربه او ضربتين واذا صارت ثلثا كثر وبطلت الصلاه وكذلك
القملة والبرغوث مهما تاذى بهما كان له دفعهما وكذى حاجته الى
الحك الذى يشوش عليه الخشوع كان معاذ ياخذ القمله والبراغيث
فى الصلاه وابن عمر كان يقتل القمله فى الصلاه حتى يظهر الدم على يديه
وقال النخعى ياخذها ويوهمها ولا شى عليه ان قتلها وقال ابن
المسيب ياخذها فيخدرها ثم يطرحها قال مجاهد الاحب الى ان
يدعها الا ان يوذيه فتشغله عن صلاته فيوهنها قدر ما لا تؤذى
ثم يلقيها وهذه رخصة والا فالكمال الاحتراز عن الفعل وان قل
وقال بعضهم لا يطرد الذباب وقال لا اعود نفسى ذلك فيفسد
على الصلاه وقد سمعت ان الفساق يصبرون بين يدى الملوك على
اذى كثير ولا يتحركون ومهما تثاوب فلا باس ان يضع يده على فمه
وهو الاولى وان عطس حمد الله فى نفسه ولم يحرك لسانه وان تجشا
فينبغى ان لا يرفع راسه الى السما وان سقط رداه فلا ينبغى ان يسويه
وكذا طرف عمامته فكل ذلك مكروه الا لضرورة **مسئلة** الصلاة
فى النعلين جايز وان كان نزع النعلين سهلا فليست الرخصة فى
الخف لعسر النزع بل هذه النجاسة معفو عنها وفى معناها المداس
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نعليه ثم نزع فنزع الناس
نعالهم فقال لم خلعتم قالوا رايناك خلعت فخلعنا فقال ان جبريل
اتانى فاخبرنى ان بهما خبثا فاذا اراد احدكم المسجد فليقلب نعليه
ولينظر فيهما فان راى خبثا فليمسحه بالارض وليصل بهما وقال بعضهم
الصلاه فى النعلين افضل لانه قال لم خلعتم نعالكم وهذه مبالغة
فانه انما لم يبين لهم سبب خلعه اذ علم انهم خلعوا على موافقته

احمد وابو داود والحاكم واللفظ له وصححه من حديث ابى سعيد ع

وقد روى عبد الله بن السايب ان النبى صلى الله عليه وسلم
خلع نعليه فاذن قد فعل كليهما فمن خلع فينبغى الا يضع عن يمينه
ولا يساره فيضيع ويقطع الصف بل يضعه بين يديه ولا يتركه وراءه
فيكون قلبه ملتفتا اليه ولعل من راى الصلاة فيه افضل راعى هذا
المعنى وهو التفات القلب اليه وروى ابو هريرة عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال اذا صلى احدكم فليجعل نعليه بين رجليه وقال
ابو هريرة لغيره اجعلهما بين رجليك ولا تؤذ بهما مسلما ووضعه
رسول الله صلى الله عليه على يساره وكان اماما فللامام ان يفعل
ذلك اذ لا يقف احد على يساره والاولى لا يضعهما بين قدميه
فيشغلاه ولكن قدام قدميه ولعله المراد بالحديث وقد قال
جبير بن مطعم وضع الرجل نعليه بين قدميه بدعة **مسئلة**
اذا بزق فى صلاته لم تبطل صلاته لانه فعل قليل وما يحصل به من
صوت لا يعد كلاما وليس على شكل حروف الكلام الا انه مكروه
فينبغى ان يحترز عنه الا كما اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيه اذ روى بعض الصحابة انه عليه السلام راى فى القبلة نخامة
فغضب غضبا شديدا ثم حكها بعرجون كان فى يده وقال ائتونى
بعبير فلطخ اثرها بزعفران ثم التفت الينا فقال ايكم يحب ان يبزق

فى وجهه فقلنا لا اينا قال فان احدكم اذا دخل فى صلاته فان الله
عز وجل بينه وبين القبلة وفى لفظ اخر واجهه الله تعالى فلا
يبزقن احدكم تلقاء وجهه ولا عن يمينه ولكن عن شماله وتحت
قدمه اليسرى فان بدرته بادرة فليبصق فى ثوبه وليقل به هكذى
ودلك بعضه ببعض **مسئلة** لوقوف المقتدى سنة وفرض
اما السنة فان يقف الواحد عن يمين الامام متاخرا عنه قليلا
والمراة الواحدة تقف خلف الامام فان وقفت بجنب الامام لم تضر
ولكن خالفت السنة فان كان معها رجل وقف الرجل عن اليمين وهى خلف
الرجل ولا يقف احد خلف الصف منفردا بل يدخل فى الصف او
يجر الى نفسه واحدا من الصف فان وقف منفردا صحت صلاته
مع الكراهة واما الفرض فاتصال الصف وهو ان يكون بين المقتدى
والامام رابطة جامعة فانهما فى جماعة فان كانا فى مسجد
كفى ذلك جامعا لانه بنى له فلا يحتاج الى اتصال الصف بل الى ان
يعرف افعال الامام صلى ابو هريرة على ظهر المسجد بصلاة الامام
واذا كان المأموم على سطح المسجد او فى طريق او صحراء مشتركة فليس
بينهما اختلاف بناء متفرق فيكفى القرب بقدر غلوة سهم وهى
رابطة اذ يصل فعل احدهما الى الاخر وانما يشترط اذا وقف فى

فيبصق

رواه مسلم

صحن دار على يمين المسجد او يساره وبابها لا فى المسجد فالشرط
ان يمتد صف المسجد فى دهليزه من غير انقطاع الى الصحن ثم تصح
صلوة من فى ذلك الصف ومن خلفه دون من تقدم عليه وهكذا
حكم الابنية المختلفة فاما البناء الواحد والعرصة الواحدة
فكالصحرا **مسئلة** المسبوق اذا ادرك آخر صلوة الامام
فهو اول صلاته فليوافق الامام وليبن عليه وليقنت فى الصبح
فى آخر صلاة نفسه وان قنت مع الامام وان ادرك مع الامام
بعض القيام فلا يشتغل بالدعا وليبدا بالفاتحة وليخففها
فان ركع الامام قبل تمامها وقدر على لحوقه فى اعتداله عن الركوع
فليتم وان عجز فوافق الامام ركع وكان لبعض الفاتحة حكم جميعها
فيسقط عنه بالسبق وان ركع الامام وهو فى السورة فليقطعها
وان ادرك الامام فى السجود او التشهد كبر للاحرام وجلس ولم
يكبر بخلاف ما اذا ادركه فى الركوع فانه يكبر ثانيا فى الهوى لان
ذلك انتقال محسوب له والتكبيرات للانتقالات الاصلية
فى الصلاة للعوارض بسبب القدوة ولا يكون مدركا للركعة ما لم
يطمئن فى الركوع والامام بعد فى حد الراكعين فان لم يتم
طمانينته الا بعد مجاوزة الامام حد الراكعين فاتته تلك

الركعة **مسئلة** من فاته الظهر الى وقت العصر فليصل الظهر
اولا ثم العصر فان ابتدا بالعصر اجزاه ولكن ترك الاولى واقتحم
شبهة الخلاف فان وجد اماما فليصل العصر ثم ليصل الظهر
بعد فان الجماعة بالاداء اولى فان صلى منفردا فى اول الوقت ثم
ادرك جماعة صلى بالجماعة ونوى صلاة الوقت والله يحتسب
اكملها له فان نوى فائتة او تطوعا جاز وان كان قد صلى بالجماعة
فادرك جماعة اخرى فلينو الفائتة او النافلة فاعادة المؤداة
بالجماعة مرة اخرى لا وجه له وانما احتمل ذلك لدرك فضيلة
الجماعة **مسئلة** من صلى ثم راى على ثوبه نجاسة فالاحب
قضاء الصلاة ولا يلزمه ولو راى النجاسة فى اثناء الصلاة رمى الثوب
واتم والاحب الاستيناف واصل هذا قصة خلع النعلين حيث
اخبره جبريل بان عليه نجاسة فانه صلى الله عليه وسلم لم يستانف
الصلاة **مسئلة** ترك التشهد الاول او القنوت او ترك
الصلاة على رسول الله فى التشهد الاول او فعل فعلا سهوا او كان
يبطل الصلاة بفعله عمدا او شك فلم يدر اصلى ثلثا ام اربعا
اخذ باليقين وسجد سجدتى السهو قبل السلام فان نسى فبعد السلام
مهما تذكر على القرب فان سجد بعد السلام واحدث بطلت صلاته
بسجوده

فانه لما رعب في السجود كانه جعل سلامه نسيا نا في غير محله
فلم يحصل التحلل به وعاد الى الصلاة فلذلك بينا انه السلام
بعد السجود وان تذكر سجود السهو بعد خروجه من المسجد او
بعد طول الفصل فقد فات **مسئله** الوسوسه في نية
الصلاة سببه خبل في العقل او جهل بالشرع لان امتثال امر الله
مثل امتثال امر غيره وتعظيمه كتعظيم غيره في حق القصد
ومن دخل عليه عالم فقام له فقال نويت ان انتصب قائما تعظيما
لدخول زيد الفاضل لاجل فضله متصلا بدخوله مقبلا عليه
بوجهي سفه في عقله بل كما يراه ويعلم فضله تنبعث داعية
التعظيم فيقيمه ويكون معظما الا اذا قام لشغل آخر او في غفلة
واشتراط كون الصلاة ظهرا اذا او فرضا في كونه امتثالا كاشتراط
كون القيام مقرونا بالدخول مع الاقبال بالوجه على الداخل
وانتفاء باعث آخر سواه وقصد التعظيم به ليكون تعظيما فانه لو
قام مدبرا عنه او صبر فقام بعد ذلك بمدة لم يكن معظما
ثم هذه الصفات لا بد وان تكون معلومة وان تكون مقصودة ثم
لا يطول حضورها في النفس في لحظة وانما تطول بطم الالفاظ الدالة
عليها اما تلفظا باللسان واما تفكرا بالقلب فمن لم يفهم نية الصلاة

على هذا الوجه فكانه لم يفهم النية فليس فيها الا انك دعيت
الى ان تصلي في وقت فاجبت وقمت فالوسوسة محض الجهل في
هذه المقصود وهذه العلوم تجتمع في النفس في حالة واحدة
ولا يكون مفصلا الاحاد في الذهن بحيث تطالعها النفس وتتاملها
وفرق بين حضور الشيء في النفس وبين تفصيله بالفكر والحضور مضاد
للعزوب والغفلة وان لم يكن مفصلا فان من علم الحادث مثلا
فيعلمه بعلم واحد في حالة واحدة وهذا العلم متضمن علوما هي
حاضرة وان لم يكن مفصله فان من علم الحادث فقد علم الموجود
والمعدوم والتقدم والتاخر والزمان وان التقدم للعدم وان
التاخر للوجود فهذه العلوم منطوية تحت العلم بالحادث بدليل
ان العالم بالحادث اذا لم يعلم غيره لو قيل له هل علمت التقدم فقط
او التاخر او العدم او تقدم العدم او تاخر الوجود او الزمان
المنقسم الى المتقدم والمتاخر فقال ما عرفته قط كان كاذبا
وكان قوله مناقضا لقوله اني اعلم الحادث ومن الجهل بهذه الدقيقة
يثور الوسواس فان الموسوس يكلف نفسه ان يحضر في قلبه الظهرية
والادائية والفرضية في حالة واحدة مفصلة بالفاظها وهو
يطالعها وذلك محال ولو كلف نفسه ذلك في القيام لاجل

العالم لتعذر عليه فبهذه المعرفة يندفع الوسواس وهو ان يعلم
ان امتثال امر الله في النية كامتثال غيره ثم ازيد عليه على سبيل
التسهيل والرخصة واقول لو لم يفهم الموسوس النية الا باحضار
هذه الامور مفصلة ولم يتمثل في نفسه الامتثال دفعة واحدة
واحضر جملة ذلك في اثناء التكبير من اوله الى اخره بحيث لم يفرغ من
التكبير الا وقد حصل النية كفاه ذلك ولا يكلفه ان يقرن الجميع
باول التكبير او اخره فان ذلك تكليف شطط ولو كان مامورا
به لوقع للاولين سؤال عنه ولوسوس واحد من الصحابة في النية
فعدم وقوع ذلك دليل على ان الامر على التساهل فكيف ما تيسرت
النية للموسوس ينبغي ان يقنع به حتى يتعود ذلك ويفارقه
الوسواس ولا يطالب نفسه بتحقيق ذلك فان التحقيق يزيد فيه
وقد ذكرنا في الفتاوى وجوها من التحقيق في تفصيل العلوم
والقصود المتعلقة بالنية يفتقر العلماء الى معرفته فاما العامي
فربما يضره سماعه ويهيج عليه الوسواس فلذلك تركناه

مسئلة لا ينبغي ان يتقدم المأموم على الامام في الركوع
والسجود والرفع منهما وفي سائر الاعمال ولا ينبغي ان يساوقه بل يتبعه
ويقفو اثره فهذا معنى الاقتداء فان ساوقه عمدا لم تبطل صلاته

كما لو وقف بجنبه غير متاخر عنه فان تقدم عليه بركن ففي
بطلان صلاته خلاف ولا يبعد ان يقضى بالبطلان تشبيها
كما لو تقدم في الموقف على الامام بل هذا اولى لان الجماعة اقتداء
في الفعل لا في الموقف فالتبعية في الفعل اهم وانما شرط ترك
التقدم في الموقف تسهيلا للمتابعة في الفعل وتحصيلا لصورة
التبعية اذ اللائق بالمقتدي ان يتقدم فالتقدم عليه في الفعل
لا وجه له الا ان يكون سهوا ولذلك شدد رسول الله صلى
الله عليه وسلم النكير وقال اما يخشى الذي يرفع راسه قبل الامام
ان يحول الله راسه راس حمار واما التاخر عنه بركن واحد
فلا يبطل الصلاة وذلك بان يعتدل الامام عن ركوعه وهو بعد
لم يركع ولكن التاخر الى هذا الحد مكروه فان وضع الامام جبهته
على الارض وهو بعد لم ينته الى حد الراكعين بطلت صلاته وكذا
ان وضع الامام جبهته للسجود الثاني وهو بعد لم يسجد السجود
الاول **مسئلة** حق على من حضر الصلاة اذا راى من غيره
اساءة في صلاته ان يغيره وينكر عليه وان صدر عن جهل رفق بالجاهل
وعلمه فمن ذلك الامر بالتسوية للصفوف ومنع المنفرد بالوقوف
خارج الصف والانكار على من يرفع راسه قبل الامام الى غير ذلك

متفق عليه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ع

من الأمور فقد قال صلى الله عليه وسلم ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه وقال ابن مسعود من راى من يسي صلاته فلم ينهه فهو شريكه في وزرها وعن بلال بن سعد انه قال الخطيئة اذا اخفيت لم تضر الا صاحبها فاذا اظهرت فلم تغير اضرت العامة وجاء في الحديث ان بلالا كان يسوي الصفوف ويضرب عراقيبهم بالدرة وعن عمر قال تفقدوا اخوانكم في الصلاة فاذا فقدتموهم فان كانوا مرضى فعودوهم وان كانوا اصحا فعاتبوهم والعتاب انكار على ترك الجماعة ولا ينبغي ان يتساهل فيه وقد كان الاولون يبالغون فيه حتى كان بعضهم يحمل الجنازة الى باب من تخلف عن الجماعة اشارة الى ان الميت هو الذي يتاخر عن الجماعة دون الحي ومن دخل المسجد ينبغي ان يقصد يمين الصف وكذلك تزاحم الناس عليه في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قيل له تعطلت الميسرة فقال عليه السلام من عمر ميسرة المسجد كان له كفلان من الاجر ومهما وجد غلاما في الصف ولم يجد لنفسه مكانا فله ان يخرجه الى خلف ويدخل فيه اعني اذا لم يكن بالغا فهذا ما اردنا ان نذكره من المسايل التي يعم بها البلوى وسياتي احكام الصلوات المتفرقة في كتاب

الاوراد ان شاء الله تعالى

الباب السابع

في النوافل من الصلوات اعلم ان ما عدا الفرايض من الصلوات ينقسم الى ثلثة اقسام من سنن ومستحبات وتطوعات ونعني بالسنن ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه المواظبة عليه كالرواتب عقيب الصلوات وصلاة الضحى والوتر والتهجد وغيره لان السنة عبارة عن الطريقة المسلوكة ونعني بالمستحبات ما ورد الخبر بفضله ولم ينقل المواظبة عليه كما سننقله في صلوات الايام والليالي في الاسبوع وكالصلاة عند الخروج من المنزل والدخول فيه وامثاله ونعني بالتطوعات ما وراء ذلك مما لم يرد في عينه خبر ولكنه تطوع به العبد من حيث رغب في مناجاة الله بالصلاة التي ورد الشرع بفضلها مطلقا وكانه متبرع به اذا لم يندب الى تلك الصلاة بعينها وان ندب الى الصلاة مطلقا والتطوع عبارة عن التبرع ويسمى الاقسام الثلاثة نوافل من حيث ان النفل هو الزيادة وجملتها زايدة على الفرايض فلفظة النافلة والمستحب والسنة والتطوع اردنا الاصطلاح فلا مشاحة في الالفاظ بعد فهم المقاصد وكل قسم من هذه الاقسام تتفاوت درجاتها في الفضل بحسب ما ورد فيها من الاخبار

او يتكرر بتكرر الاسبوع او يتكرر بتكرر السنة فالمتعلق بالاوقات اربعة اقسام

والآثار المعروفة لفضلها وبحسب طول مواظبة رسول الله
عليها وبحسب صحة الاخبار الواردة فيها واشتهارها وكذلك
نقول سنن الجماعات افضل من سنن الانفراد وافضل سنن
الجماعه صلاه العيد ثم الخسوف ثم الاستسقا وافضل
سنن الانفراد الوتر ثم ركعتا الفجر ثم ما بعدهما من الرواتب
على تفاوتها واعلم ان النوافل باعتبار الاضافه الى متعلقاتها
تنقسم الى ما يتعلق باسباب كالخسوف والاستسقا والى ما
يتعلق باوقات والمتعلق بالاوقات ينقسم الى ما يتكرر بتكرر
اليوم والليله القسم الاول ما يتكرر بتكرر الايام والليالي
وهي ثمانيه خمسة هي رواتب الصلاه الخمس وثلثه وراها وهي
صلاه الضحى واحيا ما بين العشايين والتهجد الاول راتبه الصبح
وهي ركعتان قال صلى الله عليه وسلم ركعتا الصبح خير من الدنيا
وما فيها ويدخل وقتها بطلوع الفجر الصادق وهو المستطير دون
المستطيل وادراك ذلك بالمشاهدة عسير في اوله الا بتعلم
منازل القمر اذ يعلم اقتران طلوعه بالكواكب الظاهرة للبصر
فيستدل بالكواكب عليه ويعرف بالقمر في ليلتين من الشهر
فان القمر يطلع من الفجر ليلة ست وعشرين ويطلع الصبح مع غروب

القمر ليلة اثني عشر من الشهر هذا هو الغالب ويتطرق اليه
تفاوت في بعض البروج وشرح ذلك يطول وتعلم منازل
القمر من المهمات للمريد حتى يطلع به على مقادير الاوقات بالليل
وعلى الصبح ويفوت وقت ركعتي الفجر بفوات وقت فريضة الصبح
وهو طلوع الشمس ولكن السنه اداؤهما قبل الفرض فان دخل
المسجد وقد قامت الصلاه فليشتغل بالمكتوبة قال صلى الله عليه
اذا اقيمت الصلاه فلا صلاه الا المكتوبة ثم اذا فرغ من المكتوبة
قام اليهما وصلاهما والصحيح انه اداً ما وقع قبل طلوع الشمس
لانه تابع للفرض في وقته وانما الترتيب بينهما سنه في التقديم
والتأخير اذا لم يصادف جماعه فاذا صادفها انقلب الترتيب
وبقي ادا والمستحب ان يصليهما في المنزل ويخففهما ثم يدخل المسجد
ويصلي ركعتي التحية ثم يجلس ولا يصلي الى ان يصلي المكتوبة فيما بين
الصبح الى طلوع الشمس لا احب فيه الا الذكر والفكر والاقتصار على
ركعتي الفجر والفريضة الثانيه راتبه الظهر وهي ست ركعات
ركعتان بعدها وهي سنه موكده واربعه قبلها وهي ايضا سنه
وان كانت دون الركعتين الاخيرتين روى ابو هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال من صلى اربع ركعات بعد زوال الشمس

وبقيتا

ذكره عبد الله بن حبيب بلاغا من حديث ابن مسعود ورواه ابن عدي من حديث ابي هريرة

لحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون الف
ملك يستغفرون له حتى الليل وكان صلى الله عليه وسلم
لا يدع اربعا بعد الزوال يطيلهن ويقول ان ابواب السما تفتح في
هذه الساعة فاحب ان يرفع لي فيها عمل رواه ابو ايوب الانصاري
فانفرد به ودل عليه ايضا ما روت ام حبيبة زوجة النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال من صلى في يوم كل يوم اثنتي عشرة ركعة غير
المكتوبة بني له بيت في الجنة ركعتين قبل الفجر واربعا قبل الظهر
وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعد المغرب وقال
ابن عمر حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل يوم
عشر ركعات فذكر ما ذكرته ام حبيبة الا ركعتي الفجر فانه
قال تلك الساعة لم يكن يدخل فيها على رسول الله ولكن حدثتني
اختي حفصة انه كان يصلي ركعتين في بيته ثم يخرج وقال في حديثه
ركعتين قبل الظهر وركعتين بعد العشا فصار الركعتان قبل الظهر
اكد من جملة الاربعة ويدخل وقت ذلك بالزوال والزوال يعرف
بزيادة ظل الاشخاص المنصبة مايلا الى جهة المشرق اذ يقع للشخص
ظل عند الطلوع في جانب الغرب مستطيل فلا يزال الشمس ترتفع
والظل ينقص وينحرف عن جهة المغرب الى ان تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها

متفق عليه واللفظ للبخاري ولم يذكر كل يوم

وهو قوس نصف النهار فيكون ذلك منتهى نقصان الظل فاذا
زالت الشمس عن منتهى الارتفاع اخذ الظل في الزيادة فمن حيث
صارت الزيادة مدركة بالحس دخل وقت الظهر ويعلم قطعا ان الزوال
في علم الله وقع قبله ولكن التكليف لا يرتبط الا بما يدخل تحت
الحس والقدر الباقي من الظل الذي منه ياخذ في الزيادة يطول في
الشتا ويقصر في الصيف ومنتهى طوله بلوغ الشمس اول الجدي
ومنتهى قصره بلوغها اول السرطان ويعرف ذلك بالاقدام والموازين
ومن الطرق القريبة من التحقيق لمن احسن مراعاته ان يلاحظ القطب
الشمالي بالليل ويضع على الارض لوحا مربعا وضعا مستويا بحيث يكون
احد اضلاعه من جانب القطب بحيث لو توهمت سقوط حجر من القطب
الى الارض ثم توهمت خطا من مسقط الحجر الى الضلع الذي يليه من
اللوح لقام الخط على الضلع على زاويتين قائمتين اي لا يكون الخط
مايلا الى احد الضلعين ثم تنصب عمودا على اللوح نصبا مستويا في
موضع علامة ه وهو بازاء القطب فيقع ظله على اللوح في اول
النهار مايلا الى جهة المغرب في صوب خط ا ثم لا يزال يميل الى ان
ينطبق على خط ب بحيث لو مد راسه لانتهى على الاستقامة الى
مسقط الحجر ويكون موازيا للضلع الشرقي والغربي غير مايل الى احدهما

واذا ميله الى الجانب الغربي فالشمس في منتهى الارتفاع فاذا انحرف
الظل عن الخط الذي على اللوح الى جانب الشرق فقد زالت الشمس
وهذا يدرك بالحس تحقيقا في وقت هو قريب من اول الزوال
في علم الله ثم تعلم على راس الظل عند انحرافه علامه فاذا صار
الظل من تلك العلامة مثل العمود دخل وقت العصر فهذا القدر
لا باس بمعرفته في علم الزوال الثالثة راتبة العصر وهي اربع
ركعات قبل العصر روى ابو هريرة عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال رحم الله عبدا صلى اربعا قبل العصر ففعل ذلك على
رجا الدخول في دعوة رسول الله مستحب استحبابا موكدا
فان دعوته تستجاب لا محاله ولم يكن مواظبته على السنة
قبل العصر كمواظبته على ركعتين قبل الظهر الرابعة راتبة
المغرب وهما ركعتان بعد الفريضه لم تختلف الرواية فيهما
واما ركعتان قبلها بين اذان الموذن واقامته على سبيل المبادرة
نقل عن جماعة من الصحابة كابي بن كعب وعبادة بن الصامت
وابو ذر وزيد بن ثابت وغيرهم قال عبادة او غيره كان الموذن
اذا اذن لصلاة المغرب ابتدر اصحاب رسول الله عليه السلام
السواري يصلون ركعتين فقال بعضهم كنا نصلي الركعتين قبل

المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب انا صلينا فيسال اصليتم
المغرب فذلك يدخل في عموم قوله بين كل اذانين صلاة لمن
شا وكان احمد بن حنبل يصليهما فعابه الناس فتركهما فقال
لم ار الناس يصلونهما فتركتهما وقال ان صلاهما الرجل
في بيته او حيث لا يراه الناس فحسن ويدخل وقت المغرب بغيبوبة
الشمس عن الابصار في الاراضي المستويه التي ليست محفوفة
بالجبال فان كانت محفوفه بها في جهة المغرب فيتوقف الى ان
يرى اقبال السواد من جانب الشرق قال النبي صلى الله عليه وسلم
اذا اقبل الليل من هاهنا وادبر النهار من هاهنا فقد افطر الصايم
والاحب المبادرة في صلاة المغرب خاصه وان اخر وادى قبل
غيبوبة الشفق وقع ادا ولكنه مكروه اخر عمر صلاة المغرب
ليلة حتى طلع نجم فاعتق رقبته واخر ابن عمر حتى طلع كوكبان
فاعتق رقبتين الخامسة راتبة العشا الاخرة فاربع ركعات بعد
الفريضة قالت عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يصلي بعد العشا الاخرة اربع ركعات ثم ينام واختار
بعض العلما من مجموع الاخبار ان يكون عدد الرواتب سبعة عشر
كعدد المكتوبة ركعتان قبل الصبح واربع قبل الظهر وركعتان بعده

متفق عليه من حديث انس ع

متفق عليه من حديث عبد الله ابن مغفل ع

متفق عليه من حديث عمر ع

ابو داود من حديث الوتر بثلاث بعد العشاء واحمد واللفظ له والنسائي من حديث عايشة كان لا يوتر بثلاث لا يفصل بينهن ع

وأربع قبل العصر وركعتان بعد المغرب وثلث بعد العشا هو
الوتر ومهما عرف الاحاديث الواردة فيه فلا معنى للتقدير
فيه فقد قال صلى الله عليه وسلم الصلاة خير موضوع فمن
شاء اكثر ومن شا اقل فاذن اختيار كل مريد من هذه الصلوات
بقدر رغبته في الخير وقد ظهر فيما ذكرناه ان بعضها اكد من
بعض وترك الاكد ابعد لاسيما والفرايض تكمل بالنوافل فمن لم
يستكثر منها يوشك ان لا تسلم له فرايضه من غير جابر
السادسة الوتر قال انس بن مالك كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوتر بعد العشا بثلث ركعات يقرا في الاولى سبح
اسم ربك الاعلى وفي الثانية قل يا ايها الكافرون وفي الثالثة
قل هو الله احد وجا في خبر انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي
بعد الوتر جالسا ركعتين وفي بعضها متربعا وفي بعض الاخبار
اذا اراد ان ياوي الى فراشه زحف اليه وصلى فوقه ركعتين قبل
ان يرقد يقرا فيهما اذا زلزلت وسورة الهاكم التكاثر وفي رواية
اخرى قل يا ايها الكافرون ويجوز الوتر مفصولا وموصولا
بتسليمة وتسليمتين وقد اوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بركعة وثلث وخمس وهكذا في الاوتار الى احدى عشر والرواية

مترددة في ثلث عشر وفي حديث شاذ سبع عشر ركعة وكانت
هذه الركعات اعني ما سميناه جملته وترا صلاته بالليل وهو التهجد
والتهجد بالليل سنة موكدة وسياتي فضلها في كتاب الاوراد
وفي الافضل خلاف فقيل ان الايتار بركعة فردة افضل اذ صح
انه عليه السلام كان يواظب على الايتار بركعة فردة وقيل
الموصول افضل للخروج عن شبهة الخلاف لاسيما الامام اذ
قد يقتدي به من لا يرى الركعة الفردة فان صلى موصولا نوى بالجميع
الوتر وان اقتصر على ركعة واحدة بعد ركعتي العشا او بعد فرض
العشا نوى الوتر وصح لان شرط الوتر ان يكون في نفسه وترا
وان يكون موترا لغيره مما سبق قبله وقد اوتر الفرض ولو اوتر قبل
العشا لم يصح اي لا ينال فضيلة الوتر الذي هو خير من حمر النعم
كما ورد به الخبر والا فركعة فردة صحيحة في اي وقت كان
وانما لم يصح لانه خرق اجماع الخلق في الفعل ولانه لم يتقدم
ما يصير به وترا فاما اذا اراد ان يوتر بثلثة مفصولة ففي نيته
في الركعتين نظر فانه ان نوى به التهجد او سنة العشا لم يكن هو
من الوتر وان نوى الوتر لم يكن هو في نفسه وترا وانما الوتر ما
بعده ولكن الاظهر انه ينوي الوتر كما ينوي في الثلث الموصولة الوتر

ولكن للوتر معنيان احدهما ان يكون في نفسه وترا والاخر
ان ينشا ليجعل وترا بما بعده فيكون مجموع الثلثة وترا
والركعتان من جملة الثلث الان وترتيبه موقوفة على الركعة
الثالثة واذا كان هو على عزم ان يوترهما بثالثة كان
له ان ينوي به الوتر فالركعة الثالثة وتر في نفسها وموترة
لغيرها والركعتان لا يوتران غيرهما وليستا وترا بانفسهما ولكنهما
موتران بغيرها والوتر ينبغي ان يكون اخر صلاة الليل فيقع بعد
التهجد وسياتي فضايل الوتر والتهجد وكيفية الترتيب بينهما
في كتاب ترتيب الاوراد السابعة صلاة الضحى فالمواظبة عليها
من عزايم الافعال وفواضلها اما عدد ركعاتها فالاكثر ما نقل
فيه ثماني ركعات روت ام هاني اخت علي رضي الله عنه انه
صلى الضحى ثماني ركعات اطالهن وحسنهن ولم ينقل هذا العدد
غيرها فاما عايشة فانها ذكرت انه صلى الله عليه وسلم كان
يصلي الضحى اربعا ويزيد ما شا الله فلم يحد الزيادة اي انه كان
يواظب على الاربع ولا ينقص منه وقد يزيد زيادات وروي في
حديث مفرد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى ست
ركعات واما وقتها فقد روي عن علي رضي الله عنه انه صلى
الله عليه وسلم كان يصلي الضحى ستا في وقتين اذا اشرقت
الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين وهو اول الورد الثاني
من اوراد النهار كما سياتي واذا انبسطت الشمس وكانت في
ربع السما من جانب المشرق صلى اربعا فالاول انما يكون اذا
ارتفعت الشمس قيد نصف رمح والثاني اذا مضى من النهار
ربعه بازا صلاة العصر فان وقته ان يبقى من النهار ربعه والظهر
على منتصف النهار ويكون الضحى على منتصف ما بين طلوع
الشمس الى الزوال كما ان العصر على منتصف ما بين الزوال الى
الغروب هذا افضل الاوقات ومن وقت ارتفاع الشمس الى
ما قبل الزوال وقت للضحى على الجملة الثامنة احيا ما بين
العشاين سنة موكدة ومما نقل عدده من فعله صلى الله عليه
وسلم بين العشاين ست ركعات ولهذه الصلاة فضل عظيم
وقيل انها المراد بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقد
روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى ما بين المغرب
والعشا فانها من صلاة الاوابين وقال صلى الله عليه وسلم
من عكف نفسه ما بين المغرب والعشا في مسجد جماعة لم يتكلم
الا بصلاة او قران كان حقا على الله ان يبني له قصرين في الجنة

الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث علي كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا زالت الشمس من مطلعها قيد رمح او رمحين كقيد صلاة العصر من مغربها صلى ركعتين ثم امهل حتى اذا ارتفع الضحى صلى اربع ركعات لفظ النسائي وقال الترمذي حسن. ع

ابن عدي في الصحابة والطبراني في الاوسط والاصغر من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف والترمذي وضعفه من حديث ابي هريرة من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن له بعبادة ثنتي عشرة سنة. ع

مسيرة كل قصر منهما مائة عام وبعز له بينهما غراسا لو
طافه اهل الدنيا لوسعهم وسيأتي بقية فضايلها في كتاب
الاوراد ، القسم الثاني ما يتكرر بتكرر الاسابيع وهي
صلوات ايام الاسبوع ولياليه لكل يوم ولكل ليلة ، اما
الايام فنبدا منها بيوم الاحد روى ابوهريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من صلى يوم الاحد اربع ركعات يقرا في
كل ركعة فاتحة الكتاب وامن الرسول مرة كتب الله له بعدد
كل نصراني ونصرانية حسنات واعطاه ثواب نبي وكتب له حجة
وعمرة وكتب له بكل ركعة الف صلاة واعطاه الله في الجنة
بكل حرف مدينة من مسك اذفر ، وروى علي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الاحد
فانه سبحانه واحد لا شريك له من صلى يوم الاحد بعد صلوة
الظهر اربع ركعات بعد الفريضة والسنة يقرا في الركعة الاولى
فاتحة الكتاب وتنزيل السجدة وفي الثانية فاتحة الكتاب
وتبارك الملك ثم يتشهد ويسلم ثم قام يصلي ركعتين اخريين يقرا
فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة وسال الله حاجته كان
حقا على الله ان يقضي حاجته ، يوم الاثنين روى جابر عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى يوم الاثنين عند
ارتفاع النهار ركعتين يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة
واية الكرسي وقل هو الله احد والمعوذتين مرة مرة فاذا سلم
استغفر الله عشر مرات وصلى على النبي عشر مرات غفر الله له
ذنوبه كلها وروى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من صلى يوم الاثنين اثنتي عشرة ركعة يقرا في كل ركعة
فاتحة الكتاب واية الكرسي مرة فاذا فرغ قرا قل هو الله احد
اثنتي عشرة مرة واستغفر الله اثنتي عشرة مرة ينادى به يوم القيمة
اين فلان بن فلان فليأخذ ثوابه من الله فاول ما يعطى من الثواب
الف حلة ويتوج ويقال له ادخل الجنة فيستقبله مائة الف
ملك مع كل ملك هدية يشيعونه حتى يدور على الف قصر من نور
يتلألأ ، الثلثا يزيد الرقاشي عن انس بن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الثلثا عشر ركعات
عند انتصاف النهار وفي حديث اخر عند ارتفاع النهار يقرا في
كل ركعة فاتحة الكتاب واية الكرسي مرة وقل هو الله احد ثلاث
مرات لم يكتب عليه خطيئة الى سبعين يوما فان مات الى سبعين
يوما مات شهيدا وغفر له ذنوب سبعين سنة ، الاربعا ، ابو

ابو موسى المديني من حديث جابر عن عمر مرفوعا وهو حديث منكر ٥ ع

ذكره ابو موسى المديني بغير اسناد وهو منكر ٥ ع

ابو موسى المديني باسناد ضعيف ولم يقل عند انتصاف النهار والافضل ارتفاعه ٥ ع

ادريس الخولانى عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من صلى يوم الاربعا اثنى عشر ركعة عند ارتفاع النهار يقرا
فى كل ركعة فاتحة الكتاب واية الكرسى مرة وقل هو الله احد ثلث
مرات والمعوذتين ثلث مرات نادى به ملك عند العرش يا عبد الله
استانف العمل فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك ودفع الله عنك
عذاب القبر وضيقه وظلمته ورفع عنك شدايد القيامة ورفع
له من يومه عمل نبى، الخميس عن عكرمة عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الخميس بين الظهر
والعصر ركعتين يقرا فى الاولى فاتحة الكتاب مرة واية الكرسى مايه
مرة وفى الثانية الفاتحة مرة وقل هو الله احد مايه مرة ويصلى
على مايه مرة اعطاه الله ثواب من صام رجب وشعبان ورمضان
وكان له من الثواب مثل حاج البيت وكتب له بعدد كل من آمن بالله
وتوكل عليه حسنة، الجمعة روى عن على بن ابى طالب رضى الله
عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يوم الجمعة صلاة ما
من عبد مؤمن قام اذا استقلت الشمس وارتفعت قيد رمح او
اكثر من ذلك فتوضا ثم اسبغ الوضو فصلى تسبيحة الضحى ركعتين ايمانا
واحتسابا الا كتب الله له مايتى حسنة ومحى عنه مايتى سيئة ومن صلى

اربع ركعات رفع الله له فى الجنة اربع مائة درجة ومن صلى ثمان
ركعات رفع الله له فى الجنان ثمان مائة درجة وغفر له ذنوبه
كلها ومن صلى اثنى عشر ركعة كتب الله الفا ومايتى حسنة
ومحا عنه الفا ومايتى سيئة ورفع له فى الجنة الفا ومايتى درجة
وعن نافع عن ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من دخل
الجامع يوم الجمعة فصلى اربع ركعات قبل صلاة الجمعة قرا فى
كل ركعة الحمد لله وقل هو الله احد خمسين مرة لم يمت حتى يرى
مقعده من الجنة او يرى له، السبت روى ابو هريرة ان النبى صلى
الله عليه وسلم قال من صلى يوم السبت اربع ركعات يقرا فى
كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل يا ايها الكافرون ثلث مرات
فاذا فرغ قرا اية الكرسى كتب الله له بكل حرف حجة وعمرة
ورفع له بكل حرف اجر سنة صيام نهارها وقيام ليلها واعطاه
الله بكل حرف ثواب شهيد وكان تحت ظل عرش الله مع النبيين
والشهداء، اما الليالى فقد روى انس بن مالك فى ليلة الاحد
قال من صلى ليلة الاحد عشرين ركعة قرا فى كل ركعة الحمد لله مرة
وقل هو الله احد خمسين مرة والمعوذتين مرة مرة واستغفر الله
مايه مرة واستغفر لنفسه ولوالديه مايه مرة وصلى على النبى مايه

الدارقطني في غرايب مالك وقال لا يصح

ابو موسى المديني في كتاب وظايف الايام والليالي باسناد ضعيف جدا

ذكره ابو موسى المديني بغير اسناد ومن قبله وروى ابو موسى من حديث انس في فضل الصلاة فيها ست ركعات واربع ركعات وكلاهما ضعيف

مرة وتبرا من حوله وقوته والجا الى حول الله وقوته ثم قال اشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان ادم صفوة الله
وفطرته وابرهيم خليل الله وموسى كليم الله وعيسى روح الله ومحمد
حبيب الله كان له من الثواب بعدد من دعا لله ولدا ومن لم يدع لله
ولدا وبعثه الله يوم القيامة مع الامنين وكان حقا على الله ان
يدخله الجنة مع النبيين ، ليلة الاثنين روى الاعمش عن
انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة
الاثنين اربع ركعات تقرا في الركعة الاولى الحمد لله وقل هو الله احد
عشر مرات وفي الركعة الثانية الحمد لله وقل هو الله احد عشرين
مرة وفي الثالثة الحمد لله مرة وقل هو الله احد ثلثين مرة وفي
الرابعة اربعين مرة ثم تسلم وتقرا قل هو الله احد خمسا وسبعين مرة
واستغفر لنفسه ولوالديه خمسا وسبعين مرة ثم يسال الله
حاجته كان حقا على الله ان يعطيه سوله ما سال وهي تسمى
صلاة الحاجة ، ليلة الثلثا يصلي ركعتين يقرا في كل ركعة فاتحة
الكتاب وقل هو الله احد والمعوذتين خمس عشرة مرة ويقرا
بعد التسليم خمسة عشر مرة اية الكرسي واستغفر الله خمس
عشرة مرة ، ليلة الاربعا روت فاطمة قالت قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الاربعا ستة ركعات ثلث
تسليمات يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل اللهم
مالك الملك الاية فاذا فرغ من صلاته تقول سبعين مرة جزا
الله محمدا عنا ما هو اهله غفر له ذنوب سبعين سنة وكتب له براه
من النار ، ليلة الخميس قال ابو هريرة قال النبي صلى الله
عليه وسلم من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشا ركعتين
يقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب واية الكرسي خمس مرات وقل
هو الله احد خمس مرات والمعوذتين خمس مرات فاذا فرغ من
صلاته استغفر الله خمسة عشر مرة وجعل ثوابه لوالديه
فقد ادى حق والديه عليه وان كان عاقا لهما واعطاه الله ما
يعطي الصديقين والشهدا ، ليلة الجمعة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشا
اثني عشر ركعة فقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو
الله احد عشر مرات فكانما عبد الله اثني عشر سنة صيام نهارها
وقيام ليلها وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى
ليلة الجمعة صلاة العشا الاخرة في جماعة وصلى ركعتي السنة
ثم صلى بعدها عشر ركعات قرا في كل ركعة الحمد لله وقل هو الله

احد والمعوذتين مرة مرة ثم اوتر بثلث ركعات ونام على جنبه
الايمن ووجهه الى القبلة فكانما احيا ليلة القدر وقال
صلى الله عليه وسلم اكثروا من الصلاة علي في الليلة الغرا
واليوم الازهر ليلة الجمعة ويوم الجمعة ، ليلة السبت قال
انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة السبت
بين المغرب والعشا اثنى عشرة ركعة بنى له قصر في الجنة وكانما
تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وتبرا من اليهود وكان حقا على الله
ان يغفر له ، القسم الثالث ، ما يتكرر بتكرر السنين وهو
اربعة صلاة العيدين والتراويح وصلاة رجب وصلاة ليلة
نصف شعبان ، الاول صلاة العيدين وهي سنة مؤكدة وشعار
من شعاير الدين وينبغي ان يراعى فيها سبعة امور الاول التكبيرات
ثلثا نسقا فيقول الله اكبر الله اكبر الله اكبر كبيرا والحمد
لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا ، لا اله الا الله وحده
لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ويفتتح ليلة الفطر
الى الشروع في صلاة العيد وفي العيد الثاني يفتتح التكبير عقيب
الصبح يوم عرفة الى آخر النهار يوم الثالث عشر هذا اكمل
الاقاويل ويكبر عقيب الصلوات المفروضة وعقيب النوافل

وعقيب الفرايض اكد ، الثاني اذا اصبح يوم العيد يغتسل
ويتزين ويتطيب كما ذكرناه في الجمعة والردا والعمامة هو
الافضل للرجال وليجنب الصبيان الحرير والعجايز التزين عند
الخروج ، الثالث ان يخرج من طريق ويرجع من طريق اخر هكذي
فعل رسول الله وكان رسول الله يامر باخراج العواتق وذوات
الخدور ، الرابع المستحب الخروج الى الصحرا الا بمكة وبيت المقدس
وان كان يوم مطر فلا باس بالصلاة في المسجد ويجوز في يوم الصحو
ان يامر الامام رجلا يصلي بالضعفة في مسجد ويخرج بالاقويا
مكبرين ، الخامس ان يراعى الوقت فوقت العيد ما بين طلوع الشمس
الى الزوال ووقت الذبح للضحايا ما بين ارتفاع الشمس بقدر
ركعتين وخطبتين الى آخر اليوم الثالث عشر ويستحب تعجيل صلاة
الاضحى لاجل الذبح وتاخير صلاة الفطر لاجل تفريق صدقة الفطر
قبلها هذه سنة رسول الله ، السادس في كيفية الصلاة فليخرج
الناس مكبرين في الطريق واذا بلغ الامام المصلى لم يجلس ولم
يتنفل وللناس التنفل ثم ينادي منادي الصلاة جامعة ويصلي الامام
ركعتين يكبر في الاولى سوى تكبيرة الاحرام والركوع سبع تكبيرات
يقول بين كل تكبيرتين سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله

مسلم من حديث ابي هريرة

متفق عليه من حديث ام عطية

الشافعي من رواية ابي الحويرث مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى عمرو بن حزم ... عجل الاضحى واخر الفطر

والله اكبر ويقول وجهت وجهي عقيب تكبيرة الافتتاح ويؤخر
الاستعاذة الى ما وراء الثامنة ويقرأ سورة ق في الاولى
بعد الفاتحة واقتربت في الثانية والتكبيرات الزوائد في الثانية
خمس سوى تكبيرة القيام والركوع وبين كل تكبيرتين ما ذكرناه
ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة ومن فاتته صلاة العيد قضاها
السابعة ان يضحي بكبش ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بكبش وذبح بيده فقال بسم الله والله اكبر هذا عني وعمن لم
يضح من امتي وقال من راى هلال ذي الحجة واراد ان يضحي فلا
ياخذن من شعره ولا من اظفاره وقال ابو ايوب الانصاري
كان الرجل يضحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالشاة عن اهل بيته فياكلون ويطعمون وله ان ياكل من
الضحية بعد ثلثة ايام فما فوق وردت فيه الرخصة بعد النهي
عنه وقال سفين الثوري يستحب ان يصلي بعد عيد الفطر
اثني عشر ركعة وبعد عيد الاضحى ست ركعات وقال هو من
السنة ٥ في التراويح وهي عشرون ركعة وكيفيتها مشهور وهي
سنة مؤكدة وان كانت دون العيدين واختلفوا في ان الجماعة
فيها افضل ام الانفراد وخرج رسول الله فيها ليلتين او ثلثا

للجماعة ثم لم يخرج وقال اخاف ان توجب عليكم وجمع عمر
الناس عليها في الجماعة حيث امن من الوجوب بانقطاع الوحي
فقيل ان الجماعة افضل لفعل عمر ولان الاجتماع بركة وله
فضيلة بدليل الفرايض ولانه ربما يكسل في الانفراد وينشط
عند مشاهدة الجمع وقيل الانفراد افضل لان هذه سنة ليست
من الشعاير كالعيدين فالحاقها بصلاة الضحى وتحية المسجد
اولى ولم يشرع فيها جماعة وقد جرت العادة ان يدخل المسجد
جمع معا ثم لم يصلوا التحية بالجماعة ولقوله صلى الله عليه وسلم
فضل صلاة التطوع في بيته على صلاته في المسجد كفضل صلاة
المكتوبة في المسجد على صلاته في البيت وروي انه قال صلاة
في مسجدي هذا افضل من مائة صلاة في غيره من المساجد وصلوة
في المسجد الحرام افضل من الف صلاة في مسجدي وافضل من
ذلك كله رجل يصلي في زاوية ركعتين لا يعلمها الا الله وهذا
لان الرياء والتصنع ربما يتطرق اليه في الجمع ويامن منه في
الوحدة فهذا ما قيل فيه والمختار ان الجماعة افضل كما
رآه عمر فان بعض النوافل قد شرع فيها الجماعة وهذا اجدر
بان يكون من الشعاير التي تظهر واما الالتفات الى الرياء في

الجماعة والكسل في الانفراد عدول عن مقصود النظر في فضيلة الجمع
من حيث انه جماعة وكان والله يقول الصلاة خير من تركها
بالكسل والاخلاص خير من الرياء فلنفرض المسئلة فيمن يثق بنفسه
انه لا يكسل لو انفرد ولا يرائي لو حضر الجمع فايهما افضل له
فمدار النظر بين بركة الجمع وبين مزيد قوة الاخلاص وحضور القلب
في الوحدة فيجوز ان يكون في تفضيل احدهما على الاخر تردد ومما
يستحب القنوت في الوتر في النصف الاخير من رمضان ٥ اما
صلاة رجب فقد روي بالاسناد عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ما من احد يصوم اول خميس من رجب ثم يصلي ما بين العشا
والعتمة اثنى عشر ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرا في كل
ركعة فاتحة الكتاب مرة وانا انزلناه في ليلة القدر ثلث مرات
وقل هو الله احد اثنى عشر مرة فاذا فرغ من صلاته صلى علي سبعين
مرة ويقول اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى اله ثم يسجد ويقول
في سجوده سبعين مرة سبوح قدوس رب الملئكة والروح ثم
يرفع راسه ويقول سبعين مرة رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم
انك انت الاعلى الاعظم ثم يسجد سجدة اخرى ويقول فيها مثل ما
قال في السجدة الاولى ثم يسال الله حاجته في سجوده فانها تقضى

قال رسول الله لا يصلي احد هذه الصلاة الا غفر له جميع ذنوبه
ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وورق الاشجار
ويشفع يوم القيمة في سبع مائة من اهل بيته ممن قد استوجب النار
فهذه صلاة مستحبة وانما اوردناها في هذا القسم لانها تتكرر
بتكرر السنين وان كان لا يبلغ رتبتها رتبة التراويح وصلوة العيد
لان هذه الصلاة نقلها الاحاد ولكني رايت اهل القدس باجمعهم
يواظبون عليها ولا يسمحون بتركها فاحببت ايرادها ٥ اما صلاة
شعبان فليلة الخامس عشر منه يصلي مائة ركعة كل ركعتين
بتسليمة يقرا في كل ركعة بعد الفاتحة عشر مرات قل هو الله احد
وان شا صلى عشر ركعات يقرا في كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة قل
هو الله احد فهذا ايضا مروي في جملة الصلوات كان السلف يصلون
هذه الصلاة ويسمون هذه الصلاة صلاة الخير ويجتمعون فيها وربما
صلوها جماعة روي عن الحسن انه قال حدثني ثلثون من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم ان من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله تعالى
اليه سبعين نظرة قضى له بكل نظرة سبعين حاجة ادناها المغفرة
القسم الرابع من النوافل ما يتعلق باسباب عارضة ولا يتعلق بالمواقيت
وهي تسعة كصلاة الخسوف والكسوف والاستسقا وتحية
والجنازة

حديث صلاة ليلة شعبان حديث باطل ولابن ماجه من حديث علي اذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها واسناده ضعيف

المسجد وركعتا الوضو وركعتان بين الاذان والاقامة وركعتان
عند الخروج من المنزل والدخول فيه ونظاير لذلك فنذكر منها ما
يحضر الان، الاولى صلاة الخسوف قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الشمس والقمر آيتان من ايات الله لا يخسفان لموت
احد ولا لحياته فاذا رايتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله والى الصلاة
قال ذلك لما مات ولده ابرهيم وكسفت الشمس فقال الناس
انما كسفت لموته والنظر في كيفيتها ووقتها اما الكيفية فاذا
خسفت الشمس في وقت مكروه او غير مكروه نودي الصلاة جامعة
وصلى الامام بالناس في المسجد ركعتين وركع في كل ركعة ركوعين
اوايلها اطول من اواخرها ولا يجهر فيقرا في الاولى من قيامي الركعة
الاولى الفاتحة والبقرة وفي الثانية الفاتحة وال عمران وفي الثالثة
الفاتحة وسورة النسا وفي الرابعة الفاتحة والمايدة او مقدار
ذلك من القران من حيث اراد ولو اقتصر على الفاتحة في كل قيام
اجزاه ولو اقتصر على سور قصار فلا باس ومقصود التطويل
دوام الصلاة الى الانجلا ويسبح في الركوع الاول قدر ماية اية
وفي الثاني قدر ثمانين وفي الثالث قدر سبعين وفي الرابع قدر
خمسين وليكن السجود على قدر الركوع في كل ركعة ثم يخطب

خطبتين بعد الصلاة بينهما جلسة ويامر الناس بالصدقة
والعتق والتوبة وكذلك يفعل بخسوف القمر الا انه يجهر فيها لانها
ليلية اما وقتها فعند ابتدا الخسوف الى تمام الانجلا ويخرج
وقتها بان تغرب الشمس خاسفة ويفوت خسوف القمر بان يطلع
قرص الشمس اذ يبطل سلطان الليل ولا يفوت بغروب القمر خاسفا
لان الليل كله سلطان القمر وان انجلى في اثنا الصلاة اتمها
مخففة وان ادرك الركوع الثاني مع الامام فقد فاتته تلك
الركعة لان الاصل هو الركوع الاول، الثانية صلاة الاستسقا
فاذا غارت الانهار وانقطعت الامطار او انهارت قناة فيستحب
للامام ان يامر الناس اولا بصيام ثلاثة ايام وما اطاقوا من الصدقة
والخروج من المظالم والتوبة من المعاصي ثم يخرج بهم يوم الرابع
وبالعجايز وبالصبيان متنظفين في ثياب بذلة واستكانة
متواضعين بخلاف العيد وقيل يستحب اخراج الدواب لمشاركتهم
في الحاجة ولقوله صلى الله عليه وسلم لولا صبيان رضع
ومشايخ ركع وبهايم رتع لصب عليكم العذاب صبا، ولو خرج
اهل الذمة متميزين ايضا لم يمنعوا فاذا اجتمعوا في المصلى الواسع
من الصحرا نودي الصلاة جامعة وصلى بهم الامام ركعتين مثل

البيهقي وضعفه من حديث ابي هريرة رضي الله عنه

صلاة العيد بغير فرق ثم تخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة
وليكن الاستغفار معظم الخطبتين وينبغي في وسط الخطبة
الثانية ان يستدبر الناس ويستقبل القبلة ويحول رداءه في
هذه الساعة تفاؤلا بتحويل الحال هكذا فعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيجعل اعلاه اسفله وما على اليمين على الشمال
وما على الشمال على اليمين وكذلك تفعل الناس ويدعون في
هذه الساعة سرا ثم يستقبلهم فيختم الخطبة ويدعون اردیتهم
محولة كما هي حتى ينزعونها متى نزعوا الثياب ويقول في هذا
الدعا اللهم امرتنا بدعائك ووعدتنا اجابتك فقد دعوناك
كما امرتنا فاجبنا كما وعدتنا اللهم فامنن علينا بمغفرة ما
قارفنا واجابتك في سقيانا وسعة رزقنا ولا باس بالدعا
ادبار الصلوات في الايام الثلثة قبل الخروج ولهذا الدعا
اداب وشروط باطنة من التوبة ورد المظالم وغيرها وسياتي
ذلك في كتاب الدعوات. الثالثة صلاة الجنازة وكيفيتها
مشهورة واجمع دعاء ما تؤثر ما روي في الصحيح عن عوف بن
مالك قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة
فحفظت من دعائه اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه واكرم

نزله واوسع مدخله واغسله بالما والثلج والبرد ونقه من
الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس وابدله دارا خيرا
من داره واهلا خيرا من اهله وزوجا خيرا من زوجه وادخله
الجنة واعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار حتى قال
عوف تمنيت ان اكون ذلك الميت ومن ادرك التكبيرة الثانية من صلاة
الجنازة فينبغي ان يراعي ترتيب صلاة نفسه ويكبر مع تكبيرات الامام
فاذا سلم الامام قضى تكبيرة الذي فات كفعل المسبوق فانه لو
بادر التكبيرات لم يبق للقدوة في هذه الصلاة معنى فالتكبيرات
هي الاركان الظاهرة وجدير بان تقام مقام الركعات في ساير
الصلوات هذا هو الاوجه عندي وان كان غيره محتملا والاخبار
الواردة في فضل صلاة الجنازة وتشييعها مشهورة فلا يطول بايراد
وكيف لا يعظم فضلها وهي من فرايض الكفايات انما تصير نفلا في
حق من لم يتعين عليه بحضور غيره ثم ينال به فضل فرض الكفاية
وان لم يتعين لانهم بجملتهم قاموا بما هو فرض واسقطوا الحرج عن
غيرهم فلا يكون ذلك كنفل لا يسقط به فرض عن احد ويستحب
طلب كثرة الجمع تبركا بكثرة الهمم والادعية واشتماله على
دعوة مستجابة لما روى كريب عن ابن عباس انه مات ابن له فقال

يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس قال فخرجت فاذا ناس
قد اجتمعوا له فاخبرته فقال تقول هم اربعون قال قلت
نعم قال اخرجوه فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه
يقول ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته اربعون رجلا
لا يشركون بالله الا شفعهم الله فيه واذا شيع الجنازة فوصل
المقابر او دخلها ابتدا قال السلام على اهل الديار من المومنين
والمسلمين ورحم الله المستقدمين منا والمستاخرين وانا ان
شاء الله بكم للاحقون والاولى ان لا يسير حتى يدفن الميت فاذا
سوى على الميت قبره قام عليه وقال اللهم عبدك رد اليك
فارؤف به وارحمه اللهم جاف الارض عن جنبيه وافتح ابواب
السما لروحه وتقبله منك بقبول حسن اللهم ان كان محسنا
فضاعف له في احسانه وان كان مسيا فتجاوز عنه الرابعة
تحية المسجد ركعتين وصاعدا سنه موكده حتى انها لا تسقط
وان كان الخطيب في الخطبة يوم الجمعه مع تاكد وجوب الاصغا
الى الخطيب ولو اشتغل بفرض او قضا تادى به التحية وحصل
الفضل اذ المقصود ان لا يخلو ابتدا دخوله عن العبادة الخاصه
بالمسجد قياما بحق المسجد ولهذا يكره ان يدخل المسجد على غير

وضوء فاذا دخل لعبور او جلوس فليقل سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر يقولها اربع مرات يقال انها
عدل ركعتين في الفضل ومذهب الشافعي انه لا يكره التحية في
اوقات الكراهية وهي بعد العصر والصبح ووقت الزوال ووقت
الطلوع والغروب لما روي انه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين
بعد العصر فقيل له اما نهيتنا عن هذا فقال هما ركعتان كنت
اصليهما بعد الظهر فشغلني عنهما الوفد فافاد هذا الحديث
فايدتين احداهما ان الكراهية مقصوره على صلاه لا سبب لها
ومن اضعف الاسباب قضا النوافل اذ اختلف العلما في ان النوا
فل هل تقضى واذا فعل مثل ما فاته هل يكون قضاء فاذا انتفت
الكراهة باضعف الاسباب فبالحرى ان ينتفي بدخول المسجد وهو
سبب وكذلك لا يكره صلاة الجنازة اذا حضرت ولا صلاة
الخسوف والاستسقا في هذه الاوقات لان لها اسبابا
الفايدة الثانيه قضا النوافل اذ قضى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفيه اسوه حسنه وقالت عايشه رضي الله عنها كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غلبه نوم او مرض فلم يقم تلك
الليلة صلى من النهار اثنى عشر ركعة وقد قال العلما من كان

في الصلاة ففاته جواب المؤذن فاذا سلم قضى واجاب وان
كان المؤذن قد سكت ولا معنى الآن لقول من يقول ان
ذلك مثل الاول وليس بقضا اذ لو كان كذلك لما صلاها رسول
الله صلى الله عليه وسلم في وقت الكراهية نعم من كان له
ورد ففاته عن ذلك عذر فينبغي الا يرخص لنفسه في تركه
بل يتداركها في وقت آخر كيلا تميل نفسه الى الدعة والرفاهية
وتداركه حسن على سبيل المجاهدة ولانه عليه السلام قال
احب الاعمال الى الله ادومها وان قل فيقصد به الا يبتر به دوام
عمله وروت عايشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من عبد الله عبادة ثم تركها ملالة مقته الله فيحذر
ان يدخل تحت هذا الوعيد وتحقيق هذا الخبر انه مقته الله
فتركها ملالة فلولا المقت والابعاد لما سلطت الملالة عليه
الخامسة ركعتان بعد الوضوء مستحبتان لان الوضوء قربة ومقصودها
الصلاة والاحداث عارضة فربما يطرى الحدث قبل صلاة
فينتقض الوضوء ويضيع السعي فالمبادرة الى ركعتين استيفا
لمقصود الوضوء قبل الفوات اولى وعرف ذلك بحديث بلال اذ
قال صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فرايت بلالا فيها فقلت

بم سبقتني الى الجنة فقال بلال لا اعرف شيئا الا انى لا
احدث وضوءا الا اصلي عقيبه ركعتين او كما قال السادسة
ركعتان عند دخول المنزل وعند الخروج منه روى ابو سلمة
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرجت
من منزلك فصل ركعتين يمنعانك مخرج السو واذا دخلت الى منزلك
فصل ركعتين يمنعانك مدخل السو وفي معنى هذا كل امر يبتدا به
مما له وقع وكذلك ورد ركعتان عند الاحرام وركعتان عند ابتدا
السفر وركعتان عند الرجوع من السفر في المسجد قبل دخول البيت
وكل ذلك ماثور فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
بعض الصالحين اذا اكل اكلة صلى ركعتين واذا شرب شربة صلى
ركعتين وكذلك في كل امر يحدثه وبداية الامور ينبغي ان يتبرك
فيها باسم الله وهي على ثلث مراتب بعضها يتكرر مرارا كالاكل
والشرب فيبدا فيها باسم الله قال صلى الله عليه وسلم كل امر
ذي بال لم يبدا فيه باسم الله فهو ابتر الثانية ما لا يكثر تكرره
وله وقع كعقد النكاح وابتدا النصيحة والمشورة فالمستحب فيها
ان يصدر بحمد الله سبحانه فيقول المزوج الحمد لله والصلاة على
رسول الله زوجتك ابنتي ويقول القابل الحمد لله والصلاة على

رسول الله قبلت النكاح وكانت عادة الصحابه فى ابتدا ادا
الرساله والنصيحة والمشورة تقديم التحميد الثالثه ما لا يكرر
كثيرا واذا وقع دام وكان له وقع كالسفر وشرا دار جديد
والاحرام وما يجرى مجراه فيستحب تقديم ركعتين عليه وادناه
الخروج من المنزل والدخول فيه فانه نوع سفر خفيف السابعه
صلاة الاستخارة لمن هم بامر وكان لا يدرى عاقبته ولا يعرف
ان الخير فى تركه او فى الاقدام عليه فقد امره رسول الله صلى الله
عليه وسلم بان يصلى ركعتين يقرا فى الاولى فاتحه الكتاب وقل يا ايها
الكافرون وفى الثانيه الفاتحه وقل هو الله احد فاذا فرغ دعا
وقال اللهم انى استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك
فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم ان
كنت تعلم ان هذا الامر خير لى فى دينى ودنياى وعاقبه امرى
وعاجله واجله فقدره لى ثم بيسره لى وان كنت تعلم ان هذا
الامر شر لى فى دينى ودنياى وعاقبه امرى وعاجله واجله فاصرفنى
عنه واصرفه عنى وقدر لى الخير اينما كان انك على كل شئ قدير رواه
جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا
الاستخارة فى الامور كما يعلمنا السورة من القران وقال اذا

[هامش: حديث ... رواه البخارى من حديث جابر وقال احمد حديث منكر ع]

اذا هم احدكم بامر فليصل ركعتين ثم يسمى الامر ويدعو بما ذكرناه
وقال بعض الحكما من اعطى اربعا لم يمنع اربعا من اعطى الشكر
لم يمنع المزيد ومن اعطى التوبة لم يمنع القبول ومن اعطى الاستخارة
لم يمنع الخيره ومن اعطى المشوره لم يمنع الصواب الثامنه صلاة
الحاجة فمن ضاق عليه الامر ومست حاجته فى صلاح دينه
ودنياه الى امر تعذر عليه فليصل هذه الصلاه فقد روى عن
وهيب بن الورد انه قال ان من الدعا الذى لا يرد ان يصلى العبد
اثنى عشر ركعة يقرا فى كل ركعة بام القران واية الكرسى وقل
هو الله احد فاذا فرغ خر ساجدا ثم قال سبحان الذى لبس العز
وقال به سبحان الذى تعطف بالمجد وتكرم به سبحان الذى احصى
كل شى بعلمه سبحان الذى لا ينبغى التسبيح الا له سبحان ذى
المن والفضل سبحان ذى العز والكرم سبحان ذى الطول اسلك
بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمه من كتابك وباسمك
الاعظم وجدك الاعلى وكلماتك التامات التى لا يجاوزهن
بر ولا فاجر ان تصلى على محمد ثم يسئل حاجته التى لا معصية فيها
فيجاب ان شا الله قال وهيب وبلغنا انه كان يقال لا
تعلموها سفهاكم فيتقووا بها على معصية الله تعالى التاسعه

[هامش: والنعم]

[هامش: حديث ابن مسعود فى صلاة الحاجة اثنى عشر ركعة ، ابو منصور الديلمى فى مسند الفردوس باسناد ضعيف جدا فيها عمر بن هارون البلخى رواه الترمذى وابن ماجة من حديث عبد الله ابن ابى اوفى وقال الترمذى حديث غريب وفى اسناده مقال ، ع]

صلاة التسبيح وهذه الصلاة ماثور على وجهها ولا تختص بوقت ولا
سبب ويستحب الا يخلو الاسبوع عنها مرة واحدة او
الشهر فقد روى عكرمة عن ابن عباس انه قال صلى الله عليه
وسلم لعباس ابن عبد المطلب الا اعطيك الا امنحك الا احبوك
بشى اذا انت فعلته غفر الله لك ذنبك اوله واخره قديمه
وحديثه خطاه وعمده سره وعلانيته تصلى اربع ركعات تقرا
في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فاذا فرغت من القراة
في اول الركعة وانت قايم قلت سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها عشرا ثم
ترفع راسك فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع
راسك من السجود فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم
ترفع راسك من السجود فتقولها عشرا فذلك خمس وسبعون
في كل ركعة تفعل ذلك في اربع ركعات ان استطعت ان تصليها
في كل يوم فافعل فان لم تفعل ففي كل جمعة مرة فان لم تفعل
ففي كل شهر مرة وفي رواية اخرى انه تقول في اول الصلاة
سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله
غيرك ثم تسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراة وعشرة بعد القراة

والباقي كما سبق عشرة عشرة ولا تسبح بعد السجدة الاخيرة
قاعدا وهذا هو الاحسن وهو اختيار ابن المبارك والمجموع
في الروايتين ثلثماية تسبيحة فان صلاها نهارا فبتسليمة
واحدة وان صلاها ليلا فبتسليمتان احسن اذ ورد ان صلاة
الليل مثنى مثنى وان زاد بعد التسبيح قوله ولا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم فهو حسن فقد ورد ذلك في بعض الروايات
فهذه هي الصلوات الماثورة ولا تستحب شي من هذه النوافل
في الاوقات المكروهة الا تحية المسجد وما اوردناه
قبلها وما اوردناه بعد التحية من ركعتي الوضوء وصلاة السفر
والخروج من المنزل والاستخارة فلا لان النهي موكد وهذه
الاسباب ضعيفة فلا تبلغ درجة الخسوف والاستسقا والتحية
وقد رايت بعض المتصوفة يصلي في الاوقات المكروهة ركعتي الوضو
وهو في غاية البعد لان الوضو لا يكون سببا للصلاة بل الصلاة
سبب الوضو فينبغي ان يتوضا ليصلي لا انه يصلي لانه يتوضا وكل
محدث يصلي في وقت الكراهية فلا سبيل له الا ان يتوضا ويصلي
فلا يبقى للكراهة معنى ولا ينبغي ان ينوي ركعتي الوضو كما ينوي
ركعتي التحية بل اذا توضا صلى ركعتين تطوعا كيلا يتعطل وضوه

كما كان يفعله بلال فهو تطوع محض يقع عقيب الوضوء وحديث
بلال لم يدل على ان الوضوء سبب كالخسوف والتحية حتى ينوي ركعتي
الوضوء فيستحيل ان ينوي بالصلاة الوضوء بل ينبغي ان ينوي بالوضوء
الصلاة وكيف ينتظم ان يقول في وضوئه اتوضأ لصلاتي وفي صلاته
يقول اصلي لوضوئي بل من اراد ان يحرس وضوءه عن التعطل في
وقت الكراهية فلينو قضاء ان كان يجوز ان في ذمته قضاء صلاة
تطرق الخلل اليها بسبب من الاسباب فان قضاء الصلوات في
اوقات الكراهة غير مكروهة فاما نية التطوع فلا وجه له
ففي النهي في اوقات الكراهية مهمات ثلثة احدها التوقي عن
مضاهاة عبدة الشمس والثاني الاحتراز من انتشار الشياطين
اذ قال عليه السلام ان الشمس لتطلع ومعها قرن الشيطان فاذا
طلعت قارنها فاذا ارتفعت فارقها فاذا استوت قارنها
فاذا زالت فارقها فاذا تضيفت للغروب قارنها فاذا غربت
فارقها ونهى عن الصلاة في هذه الاوقات ونبه به على العلة
والثالث ان سالكي طريق الاخرة لا يزالون يواظبون على الصلاة
في جميع الاوقات والمواظبة على نمط واحد من العبادات يورث
الملال ومهما منع منها ساعة زاد النشاط وانبعثت الدواعي والانسان

حريص على ما منع ففي تعطيل هذه الاوقات زيادة تحريض وبعث
على انتظار انقضاء الوقت فخصصت هذه الاوقات بالتسبيح
والاستغفار حذرا عن الملال بالمداومة وتفرجا بالانتقال من
نوع عبادة الى نوع اخر ففي الاستطراف والاستجداد لذة
ونشاط وفي الاستمرار استثقال وملال ولذلك لم تكن
الصلاة سجودا مجردا ولا ركوعا مجردا ولا قياما مجردا بل
رتبت العبادات من اعمال مختلفة واذكار متباينة فان القلب
يدرك من كل عمل منها لذة جديدة عند الانتقال اليها ولو واظب
على الشيء الواحد لتسارع اليه الملال فاذا كانت هذه امورا
مهمة في النهي عن اوقات الكراهية الى غير ذلك من اسرار اخر
ليس في قوة البشر الاطلاع عليها والله ورسوله اعلم بها فهذه
المهمات لا تترك الا باسباب مهمة في الشرع مثل قضاء الصلوات
وصلاة الاستسقاء والخسوف وتحية المسجد فاما ما ضعف
عنها فلا ينبغي ان يصادم بها مقصود النهي هذا هو الاوجه عندنا
والله اعلم بالصواب ○ تم كتاب الصلاة
بحمد الله وعونه وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين
يتلوه كتاب الزكاة وهو الخامس من كتب احياء علوم الدين